

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

التفسيح في

اللغة

رواية أبي الحسين عبد الله بن محمد
بن سفيان النحوي المتوفي سنة ٣٢٥ هـ

تحقيق الدكتور

عادل هادي العبيدي



www.dardjlah.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

التفسيح في اللغة

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

التفسح في اللغة

رواية

أبي الحسين عبد الله بن محمد بن سفيان النحوي

المتوفى سنة 325 هجرية

تحقيق

الدكتور عادل هادي العبيدي

الطبعة الأولى

2011



النحوي ، أبي الحسين عبد الله بن محمد .
التفسيح في اللغة / أبي الحسين عبد الله بن محمد بن سفيان النحوي، تحقيق
عادل هادي العبيدي . عمان: دار دجلة 2011.

(320 ص)

ر.أ: (2010/5/1707).

الواصفات: / اللغة العربية /

أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية

الطبعة الأولى 2011

دار دجلة



ناشرون وموزعون

المملكة الأردنية الهاشمية

عمان - شارع الملك حسين - مجمع الفحيص التجاري

تلفاكس: 0096264647550

خلوي: 00962795265767

ص. ب: 712773 عمان 11171 - الأردن

جمهورية العراق

بغداد - شارع السعدون - عمارة فاطمة

تلفاكس: 0096418170792

خلوي: 009647705855603

E-mail: dardjlah@yahoo.com

www.dardjlah.com

ISBN : 978-9957-71-170-2

جميع الحقوق محفوظة للناشر. لا يُسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب. أو أي جزء منه ، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات. أو نقله بأي شكل من الأشكال ، دون إذن خطي من الناشر.
All rights Reserved No Part of this book may be reproduced. Stored in a retrieval system. Or transmitted in any form or by any means without prior written permission of the publisher.

الإهداء

إلى /

زوجتي أمّ الحارث

لقاء صبيها

أولادي الأعداء

حارث

وهتمام

وتفاني

ومحبة

رَفَعُ
عبد الرحمن العجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

من أين أبدأ في القريض وأمدحُ
ولأني أسلوب جميل شائق..
في كل سطرٍ من سطورك حكمةً..
إنَّ التوسُّع في الكلامِ سياحةٌ
لغةُ التَّفْسِيحِ للعقولِ رياضةٌ..
ولأني بابٌ من كتابك افتحُ؟
ولأني فصلٌ من فصولك أشرحُ؟
تُزِنُ العقولَ الثاقباتِ وترجَحُ
.. تتلاقحُ الأفكارُ فيه وتجمَعُ
والضادُ يجمعُ في اللغاتِ ويطرَحُ

تقريظ المحقق

د. عادل العبيدي

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفهرس

9.....	مقدمة
11.....	المبحث الأول: المؤلف
15.....	المبحث الثاني: الكتاب
15.....	أولاً: اسم الكتاب
15.....	ثانياً: الكتاب في كتب التراجم وسبب اختيارنا هذا العنوان له
16.....	ثالثاً: أهمية الكتاب
17.....	رابعاً: منهجي في التحقيق
18.....	خامساً: وصف المخطوط
21.....	مقدمة المؤلف
289.....	روافد البحث

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مقدمة

إنّ اللغة نظامٌ دقيق له ضوابط وأصول تحكمه وتجري أساليب التعامل معه على قواعد العرب التي قعدوها ووضعوا أصولها وأبانوا أحكامها بعد طول استقراء وتبع للكلام العربي نظمه ونثره، وهو الذي بنوا عليه قواعد العربية الكلية ثم خلصوا إلى أنّ اللغة العربية "أوسع من أن يحاط بها".

فالعربية لغة التصرف والمجاز، وهذا ظاهر في أعلى نصوصها الفصيحة والبليغة المعجزة، وشعراؤها أمراء الكلام يُصرفونه أئى شأؤوا، والعربي إذا قويت فصاحته وسمت طبيعته تصرّف وارتجل. ولما كانت اللغة لغة التوسّع والمجاز، فالتفّسح إذن ضربٌ من ضروب المجاز ولونٌ من ألوان التصرف في التعبير الذي وجدناه ماثلاً بجلاء في كتاب "التفّسح في اللغة" لأبي الحسين عبد الله بن محمد بن سفيان النحوي المتوفى سنة خمس وعشرين وثلاثمائة، وهو مخطوط وصفناه في محله من البحث، وذكرنا دواعي تحقيق مقدمته، فأهمية هذا الكنز اللغوي تتأتى من كونه النسخة الفريدة في العالم، فضلاً عن أن الكتاب هو الوحيد المتبقي من مؤلفات الرجل، إذ إنّ له اثني عشر كتاباً كلها مفقودة وبقي "التفّسح في اللغة" يتيماً، فوددت أن أكون كافل اليتيم.

أما موضوع الكتاب الموسوم بـ"التفّسح" فالمراد به التوسّع في التعبير لمعنى يريد، فأنت ترى الشاعر يعطف مرفوعاً على منصوب ولا يبالي بذلك فإذا سئل عن سرّ ذلك قال: على ما يسؤوك و ينؤوك، علينا ان نقول وعليكم أن تتأولوا، فالعربي لا يعدل من تعبيرٍ إلى تعبيرٍ إلاّ ويصحبه عدولٌ من معنى إلى معنى.

والذي يبدو أنّ الكتاب من كتب "المجاز اللغوي" فقد جاء الكتاب زاخراً،

ينثال اثنيالاً بالمجازات والاتساعات اللغوية والأدبية.

وقد تصدى هذا الكتاب لكثير من الردود على الطاعنين في العربية وعلى جاحدي فائدة الإعراب فيها، فقد ردّ المؤلف - رحمه الله - مزاعم هؤلاء بنصوص من التنزيل وبشواهد من عيون الشعر العربي، فألفيته يذكر مواطن التوسّع والمجاز في كل آية يذكرها أو بيت شعر يوجهه.

وبعد:

فكتاب النفسح لا كالكتب، بل هو بحثٌ جمّ الفوائد، كثيرُ المنافع، متعدّدُ الوجوه، كتابٌ يتردّدُ فيه النحو والصرف والإعراب والقراءات واللهجات، فضلاً عن الفصاحة والبلاغة والبيان.

المبحث الأول المؤلف

اسمه وكنيته:

عبد الله بن محمد بن سفيان⁽¹⁾ وكنيته أبو الحسين⁽²⁾.

ألقابه:

تعددت ألقاب الرجل فهو النحوي⁽³⁾ البغدادي⁽⁴⁾ الخزاز⁽⁵⁾ ولكن الشائع منها، والأكثر دوراناً بين كتب التراجم التي ترجمت للمؤلف هو النحوي، ويبدو ان هذا اللقب جاءه من عنايته بالنحو خاصة.

أما البغدادي، فلقب جاءه من نشأته في بغداد، وتلقيه العلم عن بعض علماء اللغة والأدب من أهل بغداد.

أما لقبه الثالث: (الخرّاز) فيُظن أنه لقب لأبيه أو جده من بيع الخرز، تلك الألقاب الثلاثة هي التي ذكرتها المصادر التي ترجمت له ولم نقف على لقب آخر

(1) الفهرست 128، معجم المؤلفين 6/120.

(2) صفحة العنوان من المخطوط، وانظر: الفهرست 128 والبداية والنهاية 11/118 وبغية الوعاة 2/55، ومعجم المؤلفين 6/120 وفيه: (أبو الحسن).

(3) الفهرست 128، تاريخ بغداد 10/123، انباه الرواة 2/130، نزهة الألباء 180، المنتظم 6/290، الكامل في التاريخ 8/339 النجوم الزاهرة 3/263.

(4) هدية العارفين 6/445.

(5) الفهرست 128، والصاحي 100 وتاريخ بغداد 10/123 والمنتظم 6/290 وانباه الرواة 2/130 والبداية والنهاية 11/188، وبغية الوعاة 2/55.

أجمع عليه من ترجموا له، إلا إننا وقفنا على إشارة للخطيب البغدادي⁽¹⁾ يلقبه (الوراق) وهي حرفة معروفة عمل بها كثير من العلماء.

شيوخه:

عاش أبو الحسين في عصر ازدهرت فيه الثقافة وازدحم فيه طلاب العلم وكثرت حلقات الدرس، إذ كانت بغداد آنذاك قبلة الطالبين ومركزاً للإشعاع الفكري ولا سيما في القرنين الثالث والرابع، فبرز علماء كبار من أمثال ابن قتيبة، والمبرد، وثعلب، وابن دريد، وابن مجاهد، والطبري، وسواهم من العلماء الأفاضل الذين اثروا الفكر العربي والإسلامي بمؤلفاتهم وأبحاثهم الرصينة. ومع كثرة العلماء في ذلك العصر، إلا أن أبا الحسين لم يأخذ العلم إلى من ثلاثة علماء سُمّتهم لنا المصادر وهم:

1. إسماعيل بن إسحاق القاضي، المتوفى (282هـ).
 2. محمد بن يزيد المبرد، المتوفى (286هـ).
 3. أحمد بن يحيى المشهور بـ(ثعلب) المتوفى (291هـ).
- فهؤلاء الثلاثة هم الذين تواتر النقل على تلمذته لهم.

تلاميذه:

لم تذكر المصادر غير اثنين من تلاميذه هما:

1. عيسى بن علي بن عيسى بن الجراح؛ ذكره الخطيب البغدادي⁽²⁾
2. أبو الحسين أحمد بن علي الأحول، ذكره ابن فارس⁽³⁾

(1) انظر تاريخ بغداد 10/ 123

(2) انظر تاريخ بغداد 10/ 123، وأبناه الرواة 2/ 131 .

(3) الصاحي 100 .

مؤلفاته:

بعد طول تتبع واستقراء لجميع المصادر التي ترجمت لأبي الحسين النحوي، تبين أن له مؤلفات في اللغة والنحو وعلوم القرآن وغيرها. ومن الجدير بالذكر أن كتب التراجم لم تذكر لنا كل مؤلفاته، فقد انفرد كتابه (التفسيح في اللغة) بذكر مصادر لم تذكرها المصادر التي ترجمت له، ويبدو أن جميع مؤلفاته مفقودة وليس موجود منها سوى كتاب (التفسيح) هذا الذي تحقق مقدمته، وتلك هي المؤلفات:

1. أخبار أعيان الحكام⁽¹⁾.
2. أعياد النفوس في العلم⁽²⁾.
3. إقامة الألفاظ على حدودها⁽³⁾.
4. البصائر⁽⁴⁾.
5. رمضان وما قيل فيه⁽⁵⁾.
6. السراري الذهبيات والمسكيات⁽⁶⁾.
7. الفصاحة⁽⁷⁾.

(1) الفهرست 128، إنباه الرواد 2/135.

(2) الفهرست 128، إنباه الرواة 2/135.

(3) مخطوط التفسيح في اللغة، ورقة (39/و).

(4) مخطوط التفسيح في اللغة، ورقة (39/ظ).

(5) الفهرست 128، إنباه الرواد 2/135.

(6) إنباه الرواد 2/135، الفهرست 128.

(7) مخطوط التفسيح في اللغة، ورقة (23/ظ).

8. المختصر في العلم العربية⁽¹⁾.

9. المختصر في النحو⁽²⁾.

10. المذكر والمؤنث⁽³⁾.

11. معاني القرآن⁽⁴⁾.

12. المقصور والممدود⁽⁵⁾.

وفاته:

أجمعت المصادر⁽⁶⁾ التي ترجمت لأبي الحسين النحوي، انه قد توفي يوم الثلاثاء لليلة بقيت من ربيع الأول سنة خمس و عشرين و ثلاثمائة.

(1) الفهرست 128، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء 181 .

(2) بغية الوعاة 55/2، وطبقات المفسرين 248 .

(3) الفهرست 128، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء 181.

(4) مخطوط التفسخ في اللغة، ورقة 64/و.

(5) الفهرست 128 ونزهة الألباء في طبقات الأدباء 181، وبغية الوعاة 55/2 وطبقات المفسرين 248.

(6) تاريخ بغداد 123/10، ونزهة الألباء 181، انباه الرواة 131/2 والمتنظم 290/6 و معجم المؤلفين 120/6 .

المبحث الثاني الكتاب

أولاً: اسم الكتاب

حمل الكتاب في صفحته الأولى اسماً طويلاً بعنوان:
(كتاب التَّفْسُح في منشور اللغة و منظومها وإعراب القرآن الشاهد بذلك لها)
رواية

أبي الحسين عبد الله بن محمد بن سفيان النحوي

ثانياً: الكتاب في كتب التراجم وسبب اختيارنا هذا العنوان له

ورد ذكر كتاب (التفسح) في كتب التراجم وعدد من مصادر العربية الأخرى بعنوانات مختلفة، ولكنها أكثر إيجازاً واختصاراً من عنوان المؤلف نفسه، فمما ذكر منها:

الفسيح في علم اللغة و منظومها⁽¹⁾، وعلم اللغة و منظومها⁽²⁾ والتفسح في منشور اللغة و منظومها⁽³⁾ وتفسيح اللغة⁽⁴⁾، والفسيح في اللغة⁽⁵⁾، والتفسخ في اللغة⁽⁶⁾.

(1) الفهرست 128، وطبقات المفسرين 248.

(2) أنباء الرواة 2/135.

(3) شرح أبيات المغني 4/229.

(4) خزانة الأدب 11/58.

(5) هدية العارفين 6/445.

(6) خزانة الأدب 1/26، 5/391، 9/532، 11/58.

ولقد آثرنا أن يكون الأخير عنواناً لكتابنا للأسباب الآتية:

1. طول عنوان المؤلف الذي يتنافى مع مضمون الكتاب القائم على الإيجاز والاختصار والتوسع في التعبير والتفسيح فيه.
2. إجماع مَنْ ترجوا للمؤلف على اختصار وإيجاز هذا العنوان الطويل.
3. الوثوق بما نقله (عبد القادر البغدادي ت 1093هـ) عن المخطوط الذي كان بحوزته، الذي لا يبعد أن يكون هذا المخطوط بنفس العنوان الذي أثبتته البغدادي وهو (التفسيح في اللغة).

ثالثاً: أهمية الكتاب

تكمن أهمية الكتاب في كونه أقدم المؤلفات المستقلة في هذا الموضوع - على ما نعلم - إذ لم نقف على مؤلف آخر يتكلم على الاتساعات العربية بكتاب مستقل غيره.

فالتفسيح معناه التوسع في التعبير، وهذا المصطلح لم يضع القدماء له حداً ولم يوضّحوا بصورة دقيقة حقيقة هذا المصطلح، إذ بقي عائماً على الرغم من وجود إشارات متفرقة له في بطون الكتب، فيصرّحون بالتوسّع تارة ويلمّحون به تارة أخرى ولكنهم، كانوا يردّدون ويذكرون أنّ هذا التوسع (في اللغة أوسع من أن يحاط به)⁽¹⁾، على أن أول من ذكر مصطلح التوسع هو سيبويه (ت 180هـ) في كتابه، فكان أول من أصّل لمفهوم التفسيح والتوسع وبقي إلى ان جاء ابن جني

(1) انظر: الأصول في النحو 2/266، والخصائص 2/310، وانظر: كتابنا التوسع في كتاب

سيبويه/9.

(ت392) فرند هذا المصطلح بأمثلة وشواهد من كلام العرب أودعها كتابه
"الخصائص".

رابعاً: منهجي في التحقيق

حققتُ النصَّ وفق الخطوات الآتية:

1. ضبطت النصَّ ضبطاً دقيقاً، وأشكلت ما يُشكل وما لا يُشكل منه
ولكنني بريء من تبعات الحاسوب الذي يمتنع في بعض الأحيان عن
إخراج الحركات، وتزيين الكلمات بها.
2. خرَّجتُ الآيات القرآنية الواردة في النص، وكذا الحديث النبوي
الشريف.
3. خرَّجتُ كلَّ بيت شعري ورد ذكره، ونسبته ما استطعت إلى قائله،
وذكرتُ بجره الشعري.
4. شرحت غوامض الكلمات التي وردت، بالرجوع إلى كتب المعجمات
اللغوية الأصيلة.
5. اجتهدت في إظهار بعض الحروف الرابطة المطموسة التي يختل الكلام
من دونها، كالفاءات، والواوات، وغيرهما.
6. سرت على الطريقة الحديثة في علامات الترقيم و ضبط الكلمات.
7. رددت الأقوال والآراء، التي لم تنسب؛ إلى أصحابها، مع ذكر المصدر
ان توفر.
8. أدخلت أرقام المخطوط الأصل داخل النص، فرمزت لوجه الورقة
بالرمز (/ و) ورمزت لظهر الورقة بالرمز (/ ظ) والفراغ الذي قبل

- الخُطيط هو مكان رقم الصفحة من المخطوط وحصرت ذلك بين قوسين.
 9. ترجمت لجميع الأعلام من النحاة واللغويين والشعراء.
 10. خرّجت النصوص التي أحال عليها المصنف وقابلتها بالمصادر المحال عليها متى توفرت.

خامساً: وصف المخطوط

اعتمدت في تحقيق هذا الكتاب على نسخة فريدة مصورة عن المخطوطة الوحيدة المحفوظة في مكتبة جامعة "ييل" الأمريكية برقم "429". وليس هناك مَنْ أشار إلى وجود هذا المخطوط غير الأستاذ "كوركيس عواد" في كرّاسه "جولة في دور الكتب الأمريكية"⁽¹⁾ الذي نشره سنة 1951م.

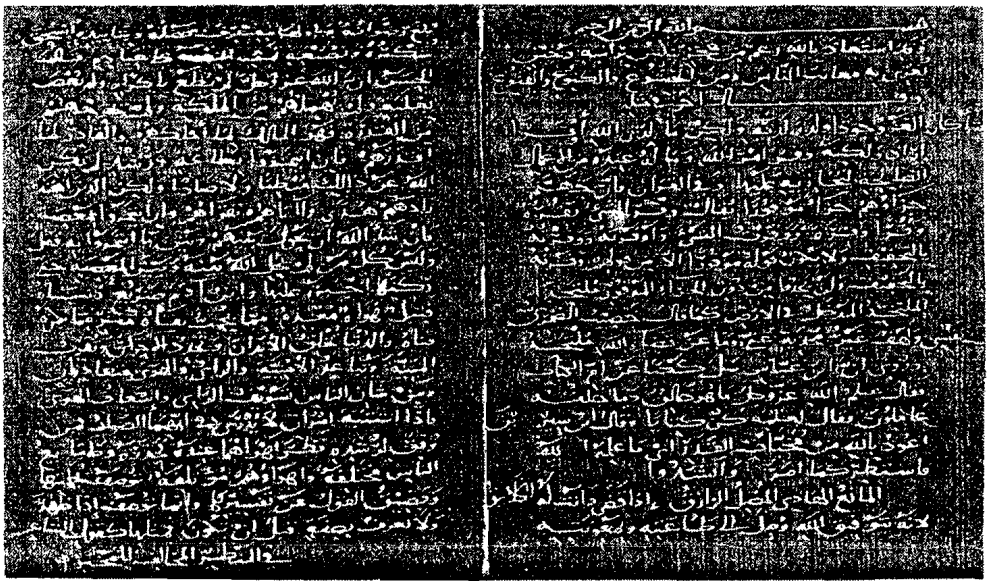
وعدد أوراق المخطوط كاملاً "سبع وتسعون ورقة"، تحتوي الورقة الواحدة على صفحتين، وتحتوي الصفحة على عشرين سطراً وعدد كلمات السطر الواحد ثمانين كلمة غالباً. أما عدد أوراق المقدمة التي حققناها، فتقع في "ثمان عشرة" ورقة، كل ورقة بصفتين وتحمل المواصفات نفسها التي يمتاز بها المخطوط في أعلاه.

وبعد: فسأكفُّ أنا عن الحديث والإطراء وتعداد مزايا وسمات هذا الكتاب الفريد، وسأتركه يتكلم، ليميط اللثام ويكشف النقاب عن أسرار وعجائب هذه اللغة السرمدية التي لا يحيط بها إلا نبيّ كما يقول الإمام الشافعيّ.

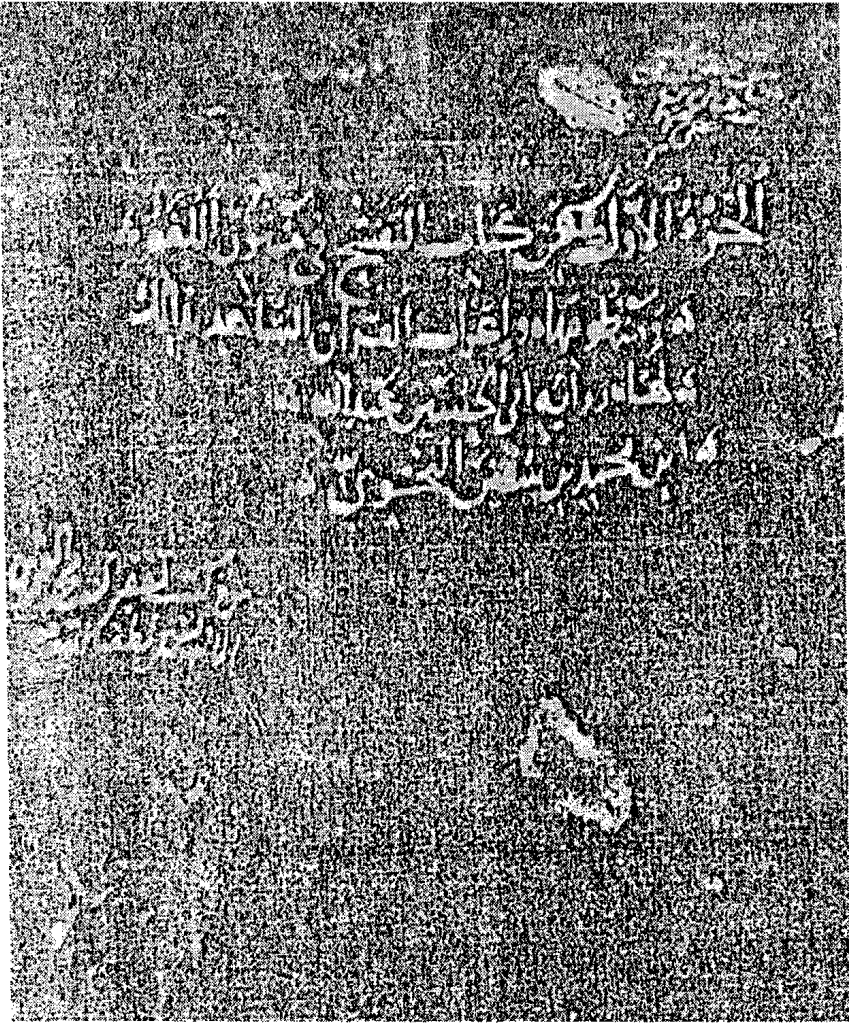
(1) ص 78/ وانظر: المخطوطات العربية في دور الكتب الأمريكية لكوركيس عواد: 22



الورقة الأخيرة من المخطوط



نهاية الجزء الأول وبداية الجزء الثاني من المخطوط
 يقابل ورقة (61/و) من المخطوط، وصفحة 142 من الكتاب



صفحة العنوان

[مقدمة المؤلف]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(3/ و) الحمدُ لبارئِ النَّسَمِ⁽¹⁾، ذي الجود والكرم، البادئ بالتَّعَمِّ الدَّالِّ بالتعليم والقلم، وبالعقل والفهم على انتراع بوادع الحِكم، دلَّ اللهُ بها من اختاره من خير الأمم العالمين، بأنَّ الحمدَ فريضةٌ واجبةٌ، وتركه خطيئةٌ مُحِيطَةٌ إذ لا تُحصى نِعْمُهُ ولا تُوازي مِثْلَهُ.

حَمْدُهُ، مُبْتَدِئاً بِالْحَمْدِ إِظْهَاراً لَشُكْرِهِ وَاسْتِدْأَمَةً لِنِعْمَتِهِ، حَمْدُاً لَا يَعْرِفُ كُلُّ الْمَخْلُوقِينَ قَدْرَهُ، وَلَا يُحْصِيهِ لَجَلَالَتِهِ غَيْرُهُ، وَأَوْمَنُ بِهِ إِقْرَاراً بِوَحْدَانِيَّتِهِ، وَأَكْبَرُهُ خُضُوعاً لِعَظَمَتِهِ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ مَكْتَفِياً بِمَعُونَتِهِ عَلَى إِیْضَاحِ الْحُجُجِ الْبَالِغَاتِ فِي إِیْقَاطِ الرَّاعِبِينَ عَنِ مَعْرِفَةِ حَقِيقَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمَفْضَلَةِ عَلَى جَمِيعِ اللُّغَاتِ الزَّاعِمِينَ أَنَّ اللُّغَةَ الْمُؤَيَّدَةَ بِالْأَعْرَابِ السَّالِكِ بِالْأَفْهَامِ مِنْ ذَوِي الْأَلْبَابِ، إِلَى غَوَامِضِ الْأَسْلَابِ لَيْسَ بِشَدِيدِ الْأَشْرَاقِ، وَلَا وَاضِحِ الْأَتْلَاقِ، وَلَا الْمَعْبُرُونَ عَنِ عِلَلِهِ بِحَدَّاقِ، وَأَنَّ الْعَرَبِيَّةَ رِوَايَةٌ مُسْتَفَادَةٌ، فَاصُولُهَا لَيْسَتْ بِمُنْقَادَةٌ، وَأَنَّ الْكَلَامَ لَمْ يُعَرَّبْ لِعِلَّةٍ وَلَا لِمَنْفَعَةٍ، وَأَنَّ الْمَعَانِي فِي الْقُرْآنِ تَسْتَعْنِي بِالْأَلْفَاظِ عَنِ الْإِعْرَابِ، وَأَنَّ مِنْ تَكَلُّفٍ فِي شَرْحِ أَصُولِهَا فِي تَبَابِ.

وهذا لا يكونُ من حَكِيمٍ ولا من ذِي فَهْمٍ عَليمٍ، أَنْ يَتَكَلَّفَ مَوْوَنَةً شَدِيدَةً لغيرِ مَنْفَعَةٍ رَشِيدَةٍ. فَمَنْ زَعَمَ مِنْهُمْ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ (3/ ظ) وَتَعَالَى أَهْمَهُمُ الْكَلَامِ عَلَى هَذَا الْأَعْرَابِ لَا لِمَنْفَعَةٍ، فَقَدْ وَصِفَ اللَّهُ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِغَيْرِ صِفَتِهِ. وَقَدْ

(1) جمع نَسَمَةٍ وهي النَّفْسُ، والنَّسَمَةُ: الإنسان وتُعْنِي النَّفْسُ وَالرَّبُّو، وفي الحديث: "تَكَلَّبُوا الْغُبَارَ فَمِنْهُ تَكُونُ النَّسَمَةُ". انظر الصحاح مادة: نسَم.

قال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ (إبراهيم/ 4) أي: بلسان قوم الرسول، كالتوراة بالعبرانية والإنجيل بالسريانية والقرآن بالعربية. فاللغات في الأمم مختلفات، وبعضها أوسع في التصرف من بعض، ولا تُعلم لغة أوسع تفسحاً وأدق تصرفاً من العربية. ولا أغمض مسلكاً ولا أخصر إيجازاً، ولا أقدح للأذهان إفهاماً. ألا ترى في القرآن: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ﴾ (البقرة/ 137).

كلمة واحدة تشتمل على ثلاثة أسماء: الياء الله عز وجل، والكاف الثانية للنبي، ﴿ ﷺ ﴾، والهاء والميم للكفار⁽¹⁾.
فالفصاحة في العربية وافرة غريزة، والرغبة في ملتسميها ضئيلة عزيزة لأنها تشتمل على ثلاثة أنحاء: على كلام مشطورٍ ومنتورٍ، وعلى كل شعرٍ بجواهرٍ من الحكيم منظوم، وفصول آيات العجز من الأثيان يمثلها معدوم
فصلى الله على نبيه الذي استنقذنا به من الهلكة واثناشنا⁽²⁾، ببركته من الضلالة، وهدانا بيمنه من الحيرة باللغة التي شرفها الله - عز وجل على جميع اللغات، وأنارها لعباده بالموضحات من الآيات المبينات المنزلات، فيها بيان ما

(1) أصل هذا الكلام سؤال وجهه الرشيد إلى المفضل الضبي بحضرة الكسائي قال المفضل الضبي قال لي الرشيد: كم اسم في (سيكفيكم الله)؟ قلت: ثلاثة أسماء يا أمير المؤمنين، أولهما اسم الله تبارك وتعالى لا إله إلا هو، والثاني اسم النبي ﴿ ﷺ ﴾ والثالث: اسم الكفرة، فالياء والكاف المتصلتان بالسين، لله جل وعز، والياء والكاف، المتصلتان بالهاء لنبي الله، والهاء والميم للكفرة. انظر مجالس العلماء 30.

(2) أي: أنقذنا واستخرجنا.

أمر به ونهى عنه ورغب فيه وحثر منه. فوجب للتمس علم القرآن باللغة، وليس بمطبوع عليها (4/ و)، أن يُعان بمعرفة الأعراب الجاري على:

لسن كريم منهم مكرم معلّم أي الهدي، معلّم
مبارك للأنبياء خاتم⁽¹⁾

فنذكر أولاً علة التطق بها، وذلك أن كلام العرب، وإن كثر الأتساع فيه، محظور بحروف معدودة معروفة، ومحصور بأوزان معلومة تلحقها الأفهام، ويشتمل عليها إعراب يتفق به ذوو الأذهان، ويسرع بالبرهان إلى توحيد الله المثلان. والكلام كله ثلاثة أقسام: اسم موضوع على جسم أو هيئة شخص أو عراض فالجسم: رجل، فرس. و[هيئة]⁽²⁾ الشخص: قائم، راكب. والعرض: سواد، بياض.

والقسم الثاني: أفعال دالة على زمان حركة المسمين، من حال وآت وماض كقولك: يأكل. و: سيأكل. و: قد أكل. وهذه الأفعال منها ما يلتبس بالاسم بنفسه، كقولك: خاط فلان فراشاً. لأن الخياطة وقعت على الثوب.

(1) البيتان من الرجز وهما للعجاج كما في ديوانه 299،

واليسن: بكسر الأول وتسكين السين: الكلام، واللغة، يقال لكل قوم لسن، قال المتنبي:

تجمّع فيه كل لسن وأمة فما يفهم الحداث إلا التراجم

انظر: معجز أحمد 3/ 427.

(2) زيادة يقتضيها التقسيم.

ومنها ما لا يلتبسُ بالاسم إلا برباطٍ، كقولك: نام فلانٌ على فراشٍ. ولا تقل: نام فراشاً. لأنَّ النوم فعلُ النائم في نفسه، فقولك: على - حرف (1): هو الموصولُ الفعلَ إلى الاسم (2). فكذلك الأعراب يوضحُ المرادَ به.

فالكلمة لا تكون أقلَّ من حرفين: حرفٌ للابتداء، وحرفٌ للوقوف، إلا أن يكونَ موصولاً بأطرافِ الكَلِمِ، مثل: (كاف) إياك، [و] هناك، فإذا تَمَّت الكلمةُ بحرفين انطلقَ بها (4/ظ) اللسان، ما لم يكنْ الحرفُ الثاني (واواً) أو (ياءً) نحو (فمّ، فمأ، فم)، والأصلُ (فو) كقول أمية (3):

* وما فاهوا به لهم مُقيمٌ (4) *

(1) هذا القسم الثالث من أقسام الكلام.

(2) نسب البطليوسي هذا الحدَّ إلى المبرد، وليس في المقتضب ولا في الكامل. انظر الحلل في إصلاح الخلل 75.

(3) ابن أبي الصلّت ابن ربيعة بن عوف بن عقدة بن ثقيف، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، ألحقه ابن سلام بشعراء الطائف، وقال: هو أشعرهم. وكان قد قرأ الكتب المتقدمة، ونال شيئاً من علم أهل الكتاب وأخبار دينهم ورغب عن عبادة الأوثان، وكان يخبر بان نبياً يُبعث قد أظل زمانه، ويؤمّل أن يموت ذلك النبي، فلما بلغه خروج رسول الله (ﷺ) وقصته كفرَ حسداً له، لما أنشد رسول (ﷺ) شعره قال: "أمنَ لسانه وكفرَ قلبه." وكان يمرض قريشاً بعد وقعة بدر، ويرثي من قُتل فيها.

وانظر: طبقات فحول الشعراء 1/262، 2/993، والشعر والشعراء 280، وجمهرة أشعار العرب 515.

(4) هذا عجز بيت، صدره:

* وفيها لحمٌ ساهرةٌ وبحرٍ *

فلو أعربوا (الواو) لا فقالوا: لَهُ فَوّْ واسعٌ. لصارت في اللفظ كأنها (فُن) والنون للثنوين وهو ساكن، وكانت النون ساكنة، واجتماع ساكنين يُبطل حياة النطق. فمن الحكمة أبدلوا (الواو) ميماً ليتمكّن الأعراب⁽¹⁾: وإذا جاوزوا الحرفين ردوا (الواو) لأمكان ذلك لهم وقد يُضاف في بعض اللغات، ولا تُردُّ الميم إلى (الواو) أتساعاً، كقول الشاعر:

* بَيْنَ فَمِ الْبَثْرِ وَبَيْنِ الْمُسْتَقَى ⁽²⁾ *

وأحسنُ نَظْمِ الحرفين أن يكونا مختلفين، نحو: قد. و: عن. و: هل. و: قط. فاما (دَدِ) فلا تستعمله العرب إلا في حكاية مُشتقة من الأسماء الأعجمية نحو: (صَصَة)⁽³⁾ اسم هندي. وإنما (دَدِ) حكاية صوت الأصابع، وليس بعربية مَحْضَة، ثم سُمِّي كُلُّ لَعْبٍ وَهُوَ (دَدِ)، فقال الشاعر⁽⁴⁾:

وهو من بحر الوافر، والساهرة: الفلاة، قال تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ (النازعات/14)، والبيت في: شعره 272، وجهرة أشعار العرب 130/1.

(1) وعن مثل هذا سأل سيبويه الخليل عن رجلٍ اسمه (فو) فقال: "إنَّ العرب قد كفتنا أمر هذا الاسم فقالوا في الأفراد: فَمَ، بأبدال الميم مكان الواو، حتى يصير على مثال تكون عليه الأسماء، ولكنّه افترض بعد ذلك لأنه من الهاء، قالوا: أفواه، كما قالوا: سوط وأسواط، أي أنه لو لم يرد في جمعه: أفواه، كما يقولون: سوط وأسواط". الكتاب (بولاق) 33/2 - 34، وانظر: مكانة الخليل بن أحمد في النحو العربي 81.

(2) هذا شطر بيت من الرجز.

(3) ذكر أنه هو الذي وضع الشطرنج لشهر أم ملك الفرس. ينظر معجم الأدباء 7/136.

(4) الطرمّاح بن حكيم الطائي، من فحول الشعراء الإسلاميين وفصحائهم، ولد في الشام ونشأ بها، ثم انتقل إلى الكوفة، واعتقد مذهب الشراة الأزارقة من الخوارج، اشتهر

واستطربت ظعنهم لما احزال بهم مع الضحى ناشطاً من داعيات دد⁽¹⁾
 ثم تئسع الألفاظ بزيادة الأسماء على حرفين، فتحتمل الإعراب الذي
 جعله الله دلائل على معرفته و قبول أمره ونهيهِ. فقد جمعت اللغة حُسنَ نظم
 الألفاظ و جمالَ حلية الأعراب، وبهدايتها خلصَ ذوو الألباب إلى معرفتهم بما
 كنزَ الله لعباده المخلصين من نِعَمِ هم صائرون (5/ و) إليها، ومن نِعمِ تحلُّ
 بالمعرضين عنها وعن التوقفِ عليها، كما قال ربيعة بن الحارث⁽²⁾:

يا أهلَ مكةَ خلّوا اللاتَ وأتبعوا محمداً خيرَ مَنْ يمشي على قدم
 من يأتيه يكنِ الأسلامُ شيمتهُ حتى يحلُّ بدارِ العزِّ و الكرمِ⁽³⁾

لأنَّ الناسَ، من قريشٍ وغيرِهِم، كانوا ثلاثةَ رَجَلَةٍ⁽⁴⁾ لما أنزلَ عليهم
 القرآنَ، منهم: الرجلُ أراد الله به خيراً، لعلمِهِ بانقياده للتقى، فوَقَّفه اللهُ لِطَرِقِ

بالحجاء، وكان صديقاً للكُميت، اختلف في سنة وفاته، فقبل توفي سنة 125 هـ وقيل:

112هـ.

(انظر: الشعر والشعراء 358، جهرة اشعار العرب 987، والمؤتلف والمختلف 219،

والموشح 208، ومعجم الشعراء المخضرمين والامويين 221 - 222.

(1) البيت من البحر البسيط وهو في ديوانه 157، ومعنى آحزال: ارتفع.

(2) ابن مرة بن زهير بن جشعم بن بكر بن حبيب بن كعب، وهو قائد معد يوم السُلان،

(ت سنة 23 هـ)، خزانة الادب 2/ 166، وانظر: الإصابه 1/ 506 والاستيعاب 2/ 490.

(3) البيتان من البحر البسيط.

(4) جمع (رَجُل). والمراد بال (رَجَلَةٍ) هنا، الأصناف، لأن الناس في عصر النبي كانوا أصنافاً

ثلاثة، منهم: كافرٌ مكذب، وآخر مؤمن مصدق و ثالث: شاكٌ مرتاب لا يدري كيف

هو. انظر تأويل مشكلة القرآن 211.

مناره فاهتدى. ورجلٌ لم يُعط ذلك فوكِلَ إلى اختيارِ نفسه ذات الهوى، فُضِّلَ وغوى وما اهتدى، فبقي متذبذباً بين الحيرة والردي، يقول: لستُ من الفئةِ المؤمنةِ ولستُ من الفئةِ الكافرة، فقال له بعضهم:

إذ أنت لم تؤمن ولم تك كافراً فأين - إذن - يا أحق الناس تذهب
وما الدهر إلا ليلة ونهارها وما المرء إلا مؤمن أو مكذب⁽¹⁾

فجعل الليل والنهار تمثيلاً لضياء الإيمان وإظلام الكفران ورجلٌ ثالثٌ لم يُنعمَ عليه بعلم الأول، وأن يُتلى بجهل الآخر، فقال: ما قبله الله ممن قاله إيماناً به، كلٌ من عند ربنا تسليماً له. إذ أتبع قومٌ ما تشابه منه ابتغاء الفتنه بتأويله ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ (آل عمران/7)، فأتبعوا بزيغ قلوبهم ما وقع في القرآن من ألفاظ جاءت على سعة الكلام، وعلى نفسح اللغة في افتنان النظام، فضاقت عن (5/ظ) فهمها قلوب العوام، فكانوا بعلمها كطغام نيام، كما قال طرفة⁽²⁾ - في ذي الحيرة منهم:

(1) البيتان من بحر الطويل.

(2) ابن العبد بن سفيان بن معد بن مالك، وطرفة، بالتحريك، واحد الطرفاء وهو الأثل، وبها لقب طرفة بن العبد، واسمه عمرو، وهو أشعر الشعراء بعد امرئ القيس. قال الشعر صغيراً ونبغ فيه وعد من فحوله وهو دون العشرين، عدّه ابن سلام في الطبقة الرابعة. صاحب المعلقة المشهورة:

لِحَوْلَةِ أَطْلَالٍ بِيَرْقَةِ نَهْمَدِ تَلُوحُ كِبَاقِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ

انظر: المؤلف والمختلف 146، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات 132.

طبقات فحول الشعراء 115، الشعر والشعراء 95، وجمهرة أشعار العرب 419، وخزانة الأدب 2/419.

الهيئتُ لا فؤادَ لهُ والشَّيئتُ تُبْتُهُ فهُمُّهُ (1)

فأجازوا صفةَ الخالق - جل ثناؤه - مجازَ صفةِ المخلوق، ولم يعلموا أنه من شَبَّه شيئاً من صفات خلقه بصفته فقد أخرجهُ من حدِّ الكمال ﴿عَلِمُوا الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ﴾ (الرعد/9) وخرجَ المشبَّه، لذلك، إلى حدِّ الكفر والضلال، فقال - جلَّ جلاله ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (القصص/88) وقال تعالى: ﴿وَيَقْنِي وَجْهَهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن/27) فشبهوا مَنْ لا يُشبههُ شيءٌ بما تُشبههُ الأشياءُ في خلقها وتبعُّضها، فتوهَّموا عليه جلَّ وعزَّ - التبعضُ والتصوير، كما توهَّم القرويُّ {طه} بلغته (رجلاً)، فقال القرشيُّ (2):

إِنَّ السَّفَاهَةَ طَه مِنْ خَلِيقَتِكُمْ لَا قُدْسَ اللَّهِ أَرْوَاحَ الْمَلَاعِينِ (3)

والله يقول: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ (6) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوْنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ (الانفطار/6-7-8)، والمُصَوِّرُ لا يكون كالمُصَوَّر، تعالى الله عن ذلك وقد قرأ بعضهم: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾

(1) البيت من بحر المديد، وهو في ديوانه 85، بتحقيق سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب.

(2) عبد الله بن جُدعان (بضم الجيم) ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة القرشي، وهو من أجواد قريش في الجاهلية، خزانة الأدب 366/8.

(3) البيت من بحر البسيط، وهو في الأضداد لابن الأنباري 404، والكشاف 48/3، ونقل الزمخشري قول بعضهم: إنَّ (طاها) في لغة عك - وعك كما في الصحاح: عك بن عدنان أخو سعد وهو اليوم في اليمن - فيمعى: يا رجل ولعلَّ (عكا) تصرفوا في (يا هذا) كأنهم في لغتهم قالون الباء طاءً فقالوا في (يا) (طا) واختصروا هذا واقتصروا على ها. ثم ذكر إنَّ البيت مصنوع.

(الحشر/24) بالنصب⁽¹⁾، [ب] معنى خلق المصور⁽²⁾. وأحدّمهم يقول لصاحبه: أكرم الله وجهك. فإذا قلت له: ما تعني؟ قال: أردتُ أكرمك الله، ولم أريد وجهه دون بدنه، بعضاً دون بعض. ولم يعلموا فضيلة اللغة، أن معنى قوله تعالى و تقدّس: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (القصص/88)(6/و) أي: كل شيء، غيره، من جميع المخلوقات هالك، إلا هو. وقد قال في كتابه: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَنْظُرُ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ (القيامة/22-25) فالوجوه لا تُظنّ، وإنما يعني بذلك أهلها. كما تقول: جاءني وجوه القوم. وقال: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ لَنَنْفَعَنَّ بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبِي خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾﴾ (العلق/15-16) فالناصية لا تكون كاذبة ولا خاطئة وإنما هو صاحبها. ولذلك كرهت العلماء أن يستخلف أحد بوجه الله مخافة - على العوام - الجهالة بمعنى ما يلفظون به. وقد جاء في الحديث: (إذا خَلَفْتُمْ فَأَخْلِفُوا بِاللَّهِ). حتى قال بعضهم: الخلف بغير الله من أعظم الذنوب. كما قال الزبير لعمر: سَبَقْتُكَ وَالْكَعْبَةَ / فقال له عمر: الكعبة رُبُّكَ فَتَحْلِفُ بِهَا؟. وقال بعضهم: هو الشُّرك الأصغر. ثم نهوا بعد هذا عن الخلف بوجه الله، لما خافوا على الخالف بذلك وعلى السامع له من الجهالة، فيتوهما فيه غير معناه.

وقد كان التشبيه فاشياً في بني إسرائيل لجهلهم بتعظيم خالقهم جلّ عن غفلة راقديهم، والله - عزّ وجلّ - قد جاد علينا بالنعم السوابغ وقطع العذر

(1) قال العكبري: "المصور" بكسر الواو ورفع الراء على أنه صفة، وفتحتها على أنه مفعول البارئ عزّ وجلّ، وبالجاء على التشبيه بـ (الحسن الوجه) على الأضافة. وقال ابن خالويه: المصور في هذه القراءة يكون الإنسان. انظر: املاء ما من به الرحمن، 259، القراءات الشاذة 154.

(2) قال ابن خالويه: المصور في هذه القراءة يكون: الإنسان. انظر القراءات الشاذة 154.

بالحجج البوالغ، فأتعظ قوم بالقرآن الوازع، والنور الساطع والعلم النافع، فبشروا - لما آمنوا وصدقوا - بجنة لا يبئد (6/ظ) نعيمها ولا يضمحل حبورها، ولا تئنث كنوزها كقوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ (السجدة/17) وقد ﴿وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (طه/98) أي: أحاط به. وكذلك في ابتدائه بالفضل على الذين استقاموا، كما روي في الحديث: (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، بله ما أطلعتهم عليه)⁽¹⁾ أي: دغ ما أطلعتهم عليه. وقال أبو زيد⁽²⁾:

* أَعْطَيْهِمُ الْجَهْدَ مَنِّي بَلَهَ مَا أَسَعُ *⁽³⁾

أي: أجود بإعطائي ما تناله يدي، فدغ كيف أصنع إذا وسعت الكثير. وضل قوم عاجزون غافلون عن الاستبصار، فصاروا جميعاً إلى دار قرار، ومقام في جنة أو نار، وجعل الله آخرين، لما نافقوا في الدرك الأسفل من النار، وبئس

(1) صحيح البخاري 68/4 والفاثق 127/1 واللسان (بله).

(2) المنذر بن حرمة الطائي، كان من المعمرين، عاش مائة وخمسين سنة وكان نصرانياً ومات على نصرانيته، ألحقه الجمحي بالطبقة الخامسة من شعراء الإسلام، وكان من زوار الملوك وخاصة ملوك العجم واستعمله عمر بن الخطاب على صدقات قومه ولم يستعمل نصرانياً غيره. وكان مغربى بوصف الأسد بعبارات مهولة تُزعج السامع حتى كأنه يشاهد الأسد في حضوره، مما جعل عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول: "أسكت قطع الله لسانك، قد أربعت قلوب المؤمنين". انظر: الشعر والشعراء 171، وخزانة الأدب 4/192-193، وكتاب الاختيارين 518.

(3) عجز بيت من البحر البسيط، صدره في شعره 109:

* حَمَالُ أَنْقَالِ أَهْلِ الْوَدِّ آوَنَةٌ *⁽³⁾

القرار. والله واسع المغفرة، شديد النعمة فيه الحول عن معصيته، ومنه العصمة في لزوم طاعته.

وللنطق بـ(الوجه) مذهب آخر على غاية من الإفصاح والبيان، [هو] أن يُعنى بـ(وجه الله) - عز وجل - جهةً لله فيما أمر به، حيث حُوِّلت القبلة، قال: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوْنَ فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ (البقرة/115) أي: جهة الله.

ومن ذلك: أن رجلاً قال لمعاذ بن جبل: أسألك بوجه الله إلا أعطيتني. فقال: ويحك! (7/و) سألتني بالله - عز وجل - أو بوجه الله؟ فقال الرجل: أوليسوا واحداً؟ فقال: لا، إن سألتني بالله أعطيتك الله، وأن سألتني بوجه الله تريد الطريق إليه، فليس لك قبلي حق. يعني بـ(وجه الله) جهته التي أمر بها. فـ(وجه الله) - جل ثناؤه - في أحدهما، إنه: الله، جل جلال الله. والآخر: جهته التي أمر بها، فقصد إليها. وقول إبراهيم - عليه السلام -: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ (الأنعام/79) أي: جعلتُ جهةً وجهي إلى عبادة ربي. ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجْهًا﴾ (الأحزاب/69)، يُقال رجلٌ وجيهٌ، أي: ذو وجهةٍ. والوجه: مستقبلُ كلِّ شيءٍ. هذا شائعٌ في اللغة، تقول: هذا وجه الصواب. وجهةٌ كلُّ شيءٍ: نحوه. [و] تقول: توجَّهوا إليك، ووجَّهوا. كلُّ يُقال، غير أن قولك: وجَّهوا إليك على معنى: ولَّوْا إليك وجوههم في الوقت دون الوقت. والتوجيه: الفعل اللازم. أي: جعلوك عمدتهم في أمورهم. والوجهاء والتَّجَاهُ: لغتان. والمواجهة: استقبالك بوجهك وجه الرجل بكلام هزيل أو جزيل، أو بوجه جميل كما قال الراجز⁽¹⁾:

(1) عبَّيد الله بن عمر بن الخطَّاب، انظر: عيون الأخبار 2/167، والأخبار الطوال 178.

سَيِّدَ قَرِيشٍ مَن مَضَى وَمَن غَبَرَ أَعْنَى رَسُولَ اللَّهِ ذَا الْوَجْهِ الْأَعْرَ (1)
 ويقال: أَوْجَهَهُ السُّلْطَانُ: إِذَا جَعَلَ لَهُ جَاهًا. وَالْجَاهُ: الْمَنْزَلَةُ الرَّفِيعَةُ. كَمَا
 قَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ (2):

(7/ ظ) وَنَادَمْتُ قَيْصَرَ فِي مُلْكِهِ فَأَوْجَهَنِي وَرَكِبْتُ الْبَرِيدَا (3).
 وَاللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، لَا تُذَكِّرُكَ الشُّوَاهِدُ، وَلَا تُحْوِيهِ الْمَشَاهِدُ، بَلْ هُوَ الْأَحَدُ
 الْوَاحِدُ لَا تُحْجِبُهُ السُّوَاتِرُ، وَلَا تُرَاهِ النَّوَاطِرُ، وَلَا يَتَنَاهَى فِي الْأَوْهَامِ إِلَى تَحْدِيدِ

(1) البيتان من الرجز، وهما في عيون الأخبار 2/ 167. وقال عبيد الله بن عمر:

أَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ يَثْمِينِي عَمْرُ خَيْرُ قَرِيشٍ مَن مَضَى وَمَن غَبَرَ
 بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ وَالشَّيْخِ الْأَعْرَ هَلَّا عُبَيْدَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ نَظَرَ

(2) ابن حُجْر بن عمرو الكندي، وهو من أهل نجد من الطبقة الأولى، وذكر بعض اللغويين
 أنَّ اسْمَهُ حُنْدُجٌ، وَأَمْرُو الْقَيْسِ لَقَبٌ لَهُ لُقِّبَ بِهِ لِجَمَالِهِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّاسَ "قَسُوا" إِلَيْهِ فِي
 زَمَانِهِ فَكَانَ أَفْضَلَهُمْ وَيُقَالُ لَهُ "ذُو الْقُرُوحِ" لِقَوْلِهِ: مِنَ الْبَحْرِ الطَّوِيلِ:
 وَبُذِلْتُ قَرْحًا دَاهِيًا بَعْدَ صَحَّةٍ فَيَا لَكَ مِنْ نَعْمَى تَحُولُنَّ أَبُوْسَا

كما يقال: 'الملك الضليل'، وذكر له ابن سلام مناقب سبق العرب اليها واستحسنتها
 العرب، وأتبعته فيها الشعراء، نحو: استسفاف صحبه والتبكاء في الديار، ورقة النسيب،
 وقيد الأوابد.

انظر: طبقات فحول الشعراء 1/ 55، الشعر والشعراء 41، وجهرة أشعار العرب 243،
 وخزانة الأدب 1/ 330-331.

(3) البيت من البحر المتقارب، وهو في ديوانه/ 381، وقد ورد مع بيت آخر في الشعر
 والشعراء لابن قتيبة 51، وقد غلط محققا الكتاب فنسبا البيتين إلى البحر الطويل، وهذا
 وهم منهما.

وتصوير، ولا يتمثل في الأفكار بتقدير، ولا تبلغه المقاييس بالتبصير، جلّ عنه شبه الخليفة وقد عرفهم الحقيقة، وجعل ألسنتهم بها طليقة، ودلهم بالأبصار على سنن الطريقة بلغات مختلفات على معانٍ مُشْتَبِهَاتٍ وواضحات، ليجعلهم في العلم طبقات، جرى بذلك القلم، وتمت به النعم.

فمن زعم أنّ الخلائق - من العرب والعجم - أعطوا قوةً وفهماً، فنطقوا بالكلام اختراعاً وابتداعاً، وأعربت العرب الألفاظ بغير انّظام على قدر ما فهموا من الأوضاع بينهم، فلقد حملوا أنفسهم مؤونةً شديدةً لغير منفعةٍ رشيدة. فكيف يكون هذا وقد وجدت العرب مجتمعة على إعراب واحد؟ يقولون: فعَلَّ عبد الله. فيجرون جميع أمثاله عليه، فيقولون: قام عبد الله. وقعد عبد الله. فإذا قالوا: ما قام أو: ما ذهب عبد الله. قالوا: ما جلس أخوك. وما تكلم أبوك. ويفعلون ذلك بكل ما قالوا (8/و) فيه: ما فعل. وكذلك كل بابٍ من العربية.

فلو كانوا لم يضعوه على قياسٍ به يقتدى، ولا لمنفعةٍ يهتدى بها لكثرت اختلافهم وفسد نظام كلامهم، ولا اضطرب المذهب الواحد في لغة الرجل الواحد، حتى يرفع ما ينصب غيره، وينصب ما يرفعه غيره، ويخفض في موضع ثم يرفع في ذلك الموضع بعد ساعة.

وإن كان الأعراب لا يُنتفعُ به ولا يدلُّ على معنى، فمتى تثبت حجةُ التأويل؟ ولو كان على غير قياسٍ من العربيّ الأوّل ولم يتبعه الآخر، ما وافق الحجازيُّ التميمي، والرعيُّ اليماني، وعسى أن يكون بينهم في المحال والأوطان المسير البعيد الأقطار، ولم يلتقوا قطّ.

فإن قيل: فإنهم قد اختلفوا في بعض الأشياء، إنهم لم يختلفوا في الأصول وإنما اختلفوا في بعض الفروع، فاختلفوا منها في الشاذ القليل، وقد ميزت

العلماء السليم من العليل. وكيف يكون الأعرابُ روايةً كلّه بغير سداد؟ ويكون قياسه غير مُنقادٍ؟ ونحن إذا سمعنا: يقومُ زيدٌ. قلنا: يجلسُ عمرو. وأن لم تكن سمعناه. وقسنا كل ما كان على هذا المثال. وإنما قالوا: ضَرَبَ أخاك. ليكون بينه وبين: ضَرَبَ أخوك - فصل، حتى يفهمه السامعُ، ويعرفُ المعنى (8/ظ) إذا هما اجتماعاً. ألا ترى أن الأعرابَ لو كان فيهما واحداً، فكانا جميعاً رفعاً، فقلت: ضَرَبَ أبوك أخوك. لم يعلم السامعُ أيهما الكافُ عن صاحبه. وكذلك: ما أحسنَ أخاك، في التعجب. و: ما أحسنَ أخيك؟ في الاستفهام، يريد: أي شيءٍ في أخيك حسنٌ؟. و: ما أحسنَ أخوك، في الإنكار. لو كان إعرابُ هذا كلّه واحداً، لم يعلم السامعُ ما تعني. فإن قيل: قد يجيء من هذا ما لا يلتبسُ، فما دعاهم إلى إعرابه؟ فالجواب: إنهم جعلوا مجرى الكلام واحداً لثلاثاً يختلف طبعاً أو إلهاماً، فلذلك قالوا: ضَرَبَني أخوك. و: ما ضَرَبَني أخوك. فالزموه الرفع، وليس معه ما يلتبسُ به، ليُعرفَ من هذا النحو موجبُه ومنفيُّه، لأنه نفى ما أوجب، واللفظ واحدٌ و(ما) نافية لا تعملُ إعراباً- وكذا ما أشبهه.

وإذا سَمِعْتَ منصوباً مع مرفوعٍ عرفتَ المعنى في فاعله و مفعوله بالعوامل، و(ما) النافية لا تعملُ إلا في المعنى. ولو لم يكن ذلك قد أوضح للسامع - قبل أن يجتمعا - لم يعرفَ معناهما إذا اجتمعا.

وأما قولك: ماتَ عدوُّ الله. و: عاشَ عبدُ الله. و: تحرقَ الثوبان. وما أشبه ذلك فيما يقال فيه: إنه (فعل) به في المعنى، فقد لُفِظَ به كما لُفِظَ بالفاعل⁽¹⁾. وكلُّ ما لُفِظَ به فدلَّ (9/و) على معنى ما يُريدون فهو صحيحٌ في القياس،

(1) يريد: أن ما هو فاعل في الظاهر هو في حقيقته مفعول به، إذ لا إرادة لعبد الله في موته أو للثوب في تحرقه. وهذا من المجاز.

فصيح في ألفاظ معاني الناس، ليكون كلامهم كلُّ ضَرْبٍ منه على إعراب يوضِّح حقيقة الصواب وهو أخفُّ عليهم وأهونُ من أن يتكلموا بما لم يُلفظ إلا قليلاً. ولا إشكالَ على السامع فيما أدَّاه الكلامُ إلى الأفهام، ولا خللَ فيما دلَّت عليه حركات الأعراب.

وأما قولهم: دعا زيدٌ ربّه. و: عبَدَ زيدٌ ربّه. فإنما أرادوا أن يفصلوا بين العابدِ والمعبود، وبين الداعي والمدعو، وإن كان السامع قد يعرف العابد من المعبود، ولكنَّهم أجروه على كلامهم السائر، ويُقاس ما كان من نحو ذا على ما سمع منه، وإن كان الذي لم يسمَع أكثر بأضعافٍ مُضاعفة. وكفى بقول رسول الله (ﷺ): (أعربوا القرآن يد لكم على معناه، وأعربوا كلامكم لِتُعربوا كتاب الله) ⁽¹⁾، روى ذلك محمد بن علي بن الحسين عن آبائه المرضيين وقال (لولا كتابُ الله ما باليتُ كيف تكلمتُ)، لأنَّ مُرادَه التفهيمُ لأمرِ الله ونهيه وفرضه ووعظه، مع ما يُكسيه من الجمال، كما قال عمر: عليكم بالعربية فإنها تُثبِتُ العقلَ وتزيدُ في المروءة والكمال ⁽²⁾. و: الأعراب حليُّ السان فلا تمنعوا ألسنتكم حليها ⁽³⁾. وقيل:

وإذا طلبت من العلوم أجلها فأجلها منها مقيم الألسن ⁽⁴⁾

(1) الجامع الصغير 46/1

(2) طبقات الزبيدي 13 و معجم الأدباء 19/1 و صبح الأعشى 168/1.

(3) الكلمة لما لك بن انس كما في طبقات الزبيدي 13 و صبح الاعشى 169/1.

(4) البيت من البحر الكامل، وقبله:

النحو ييسط من لسان الألكن والمرء تُكرمُهُ إذا لم يَلْحَن

(9/ظ) والقرآن الذي هو الدليل، مُقَيَّد بالأعراب الذي به يُرْجَعُ إلى معرفة الحلال والحرام، وَيُحْتَجُّ فِيهِمَا بِاللُّغَةِ الَّتِي فَضَّلَهَا اللَّهُ بِ⁽¹⁾ عَلَى غَيْرِهَا مِنَ الْكَلَامِ، مَذْكُورَةٌ⁽²⁾ بِالْبَيَانِ وَالْأَفْصَاحِ وَكَثْرَةِ الْفَوَائِدِ وَالْإِيضَاحِ.

والنحويون بالتقريب يَرشُدون، وبالقياس يَهْتَدون، كما قيل:

مَا فِي الْأَنْامِ نَظِيرٌ كَالْمَازِنِيِّ الْأَرِيْبِ
إِذَا تَبَاعَدَ عِلْمٌ أَتَى بِهِ مِنْ قَرِيْبِ⁽³⁾

وإن كان الأول قد تكلَّم بلغات مختلفة الأوزان، فإنَّما ذلك على قدر ما اعتادته ألسنتهم. ولم يَخْرُجْ ذلك عن صواب مفهوم وقياس معلوم، لأنَّ (العرب كالأشجار، وكلامهم لهم كالثمار، فهم بالبلاغة يُثمرون، والناس لألفاظهم يجتنون، وبكلامهم المُعَرَّبَ يَنطِقون وبفهمهم يَحْتَجُّون، وإلى معانيهم يصيرون وبها يَقتَدون)⁽⁴⁾.

(1) أي الاعراب

(2) يعني اللغة.

(3) البيتان من مجزوء الرمل، وهما للجمَّاز البصري بمدح بهما أبا عثمان المازني النحوي الصرفي المعروف وهما من قصيدة يقول فيها:

أَعْلَمُ النَّاسِ بِنَحْوِ وَيَشْعُرُ وَغَرِيْبِ
وَبِأَيَّامِ جَمِيعِ النَّاسِ بَكَرٍ مِنْ حَيْبِ

انظر: نور القبس 220، وأبو عثمان المازني 33.

(4) أصل هذا الكلام للإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) نقله المؤلف وتصرّف فيه وهو موجود في كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، لأبي حاتم الرازي 1/ 63.

ومع هذا [ف] إن الإعراب أدلّ على معنى اللفظ من سماع اللفظ عارياً منه، وذلك (10/ و) أن الفهم من المخاطبين إن سمع ثم نسي، فأدار فكره فيما سمع كيف يكون كلاماً مفيداً ليُدرك ما فاتته، ترفق ناظراً بقلبه - كما روي في التوراة: رأس الرفق الفكرة. ويقال: الفكرُ بجرٍّ لؤلؤة الحكمة، ومرجائه الفطنة⁽¹⁾. - فلا ينظر إذا كان قد سمعه منصوباً إلا فيما ينصب، فقد رمى عن نفسه مؤونة شديدة. فكذا لو سمع الحرف مرفوعاً، لم ينظر فيما ينصب ويخفّض. فكلُّ هذا قد عظمت فيه منفعة الأعراب، ولم يذهب عن جملة الصواب، ألا ترى قول الله العزيز الوهاب: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ﴾ (الطلاق/ 1) فظاهرة: إذا طلقتموهن فافعلوا الطلاق. وإنما المعنى: إذا عزمتم، لأن بعد الطلاق لا يكون عليهما سبيل. فمن لم يعرف تصاريف المعاني المتفقات في اللفظ زلّ عن الفهم وعمي عن بصائر الحظ، بأن الله - عزّ وجلّ - يفتح بالقرآن آذان السامعين، ويفتق به أذهان العارفين بطرقات معاني التنزيل، فيحكمون فيها بما تستحقّ الفروع من حكم أصولها، وذلك سبيل الاستنباط بالأفهام من كتاب الله الحيّ القيّام⁽²⁾، لأنّ

(1) الكلمة في الفهرست 21 و البصائر والذخائر 252/1/2 ونسبها ابن النديم الى عبد الحميد (الكاتب)

(2) على وزن (فَيْعال) مثل: يَنْطار، وشَيْطان، وقد اجتمعت فيه الواو والياء، والسابق منها ساكن، فقلبت الواو ياءً وأدغمت في الياء فصارت (قِيّام).

أما (قِيّوم) فعلى وزن (فَيْعول) من قامَ يَقومُ، فلما اجتمعت الواو والياء وسُبقت الأولى بالسكون، قُلبت الواو ياءً وأدغمتا. وهي من صيغ مبالغة اسم الفاعل وأصلها: قِيّوم ثم صارت: قِيّوم.

المُسْتَبْطُ بصحيح التّية موفّق للعلم الذي هو مُسْتَحَقٌّ، ولمعناه مُسْتَوْجِبٌ. وَمَنْ ضَاقَ عن معرفة سعة اللغة جعل (10/ظ) معانيها ومعاني ما شاركها في مخارج ألفاظها واحداً، فيكثر زلّه وتبطل عِلّله.

فمعرفة اللغة العربية وإنزالها منازلها واجبة على أهل العلم، وبهم أكثر الحاجة إلى فهم تصاريفها في وجوه مقاصيدهم. ألا ترى قول الصادق القادر سبحانه: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ (الأنبياء/1) فاللفظ علمٌ للجميع في الظاهر، ثم قال: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ (الأنبياء/1)، فمن جعل معنى اللفظتين جميعاً عامّاً. إذ كانتا مُرسَلتين غير منعوتين بخصوصٍ ولا بعمومٍ. فقد أعظم القول، لأنّها نزلت ونبيُّ الله (ﷺ) في الناس.

فقد وضّح أنّه لم يدخل في المرادين بذلك، إذ لم يكن في غفلة وهو المحذّر من الأغفال، ولا من المعرضين عمّن اغتثر بالأمهال، ولا كان النّجباء من أصحابه يُنسَبون إلى الغفلة والأعراض. قال عبد الله بن الزبيرى⁽¹⁾ حين استنار له الهدى، وأفلت من الضلالة والردى:

وقد قرأ عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وعبد الله بن مسعود (الله لا إله إلا هو الحي القيّام) في آل عمران/2.

وذكر القراء أنّ أهل الحجاز أكثر ما يقولون: الفَيْعَالُ؛ فيقولون للصوّاغ: الصيّاغ. انظر: معاني القرآن 1/190، وإملاء ما من به الرحمن 1/106، والمبدع في التصريف 191، ومعجم مفردات الإبدال والإعلال في القرآن الكريم 227.

(1) ابن قيس بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب، شاعر مُفَلّق، كان مؤذياً لرسول الله (ﷺ) ثم أسلم واعتذر إليه، ثم مدحه، عدّه ابن سلام

إني وجدتك يا محمد عضةً للعالمين من العذاب الكارب⁽¹⁾
 أي: الذي كَرَبَ، أي: دنا واقترب مِمَّنْ لها قلبه بالغفلة واللعب. وهذا بادٍ
 ظاهره، غيرٌ مشكِلٍ على الذي هو باصِره.

وقال قوم: المعاني التي أنزل الله بها كتابه الذي هو أصل اللغة وعمود
 البرهان، (11/ و) وجعله احتجاجاً على جميع الأديان، أربعة أشياء: إباحة وحظر
 وأخبار وأمر.

واختلفوا في التُّطْقِ العربيِّ المُعْبَرِ عن هذه المعاني، أهو موضوعٌ للعرب
 طبعاً أو إعلماً أم قبلوه فكرةً وإلهاماً؟ وهل يجوزُ أن يكون ابتداءً به ولم يبلغ
 النهاية فيمكن أن يزدادَ فيه على ما هو عليه حتى يتلاغى قوم فيما بينهم كلاماً؟

فقال قوم: ألهمهم الله كلَّ لسانٍ أن ينطقَ بما هَجَسَ في نفسِ صاحبه، على
 قَدْرِ قُوَّةِ الطَّبَائِعِ وضعفها، لأنَّ الله تعالى: ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۚ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۚ ﴾
 (الرحمن/ 3-4) فاحتملَ أن يكونَ علِّمهُ: أن يُبيِّنَ لمثله ما يُريد، ويَتَّبِعَنَّ من مثله ما
 يُريد، لأنَّ البَيَانَ اسمٌ جامعٌ.

فإذا كانَ اللهُ - اللطيفُ بعبادِهِ - قد علِّمهم هذا، فذاكَ علِّمُ القلبِ، ولو
 كانَ البَيَانُ - هاهنا - يَخْصُ المنطقَ دون القلبِ، لكانَ الناسُ أجمعونَ ناطقينَ

ابن سلام من شعراء مكة قال: "وبمكة شعراء. فأبرعهم شعراً؛ عبد الله بن الزُّبَيْرِ بن
 قيس.

انظر: طبقات فحول الشعراء 230، ومعجم الشعراء المخضرمين والأمويين 247،
 والأعلام/ 4/ 87، والبيان والتبيين 1/ 108.

(1) البيت من البحر الكامل.

بكلّ كلام، ولكنّ الإنسان علّم التميّز الذي به يستبين ويُبين، فكلّ شيء بينه المُستبين فهو بيان، كما أنّ كلّ شيء تبيّنته من مُبين فهو بيان. ولو كان إنّما يُبين لغيره ولا يستبين من غيره، لم يكن له علم بالبيان، لأنه لا يعلم كيف يُبين وهو لا يستبين. فالألسن تُعبرُ عن (11/ظ) الضمائر، وإنّ اختلفت اللغات والبصائر. فهذه عطية من الله، وتفهم لكتابه المقرون بالأعراب، كالحليّ على الأثراب، فكيف يجوز أن تُسلب الحيلة التي هي دليّة على مخابى الفطن ومنافع السنن؟ وأول من فهم العربية ونطق بها عاد، ثمّ تكلمت بها ثمود، ثمّ طسم وجديس والعماليق، وكلّ لزم الأعراب بتحقيق وتدقيق. فمن عرف النعمة في نطق اللسان، كان - بفضل النعمة من الله - في بيان الإعراب أعرف، كما قال إعرابي لقوم سمعهم يذكرون فضل العربية: فداكم أبي و أمي، أنتم خضّان الشرف.

فمن أبصر رثق الكلام وفتقه أذرك البلاغة في المقال، ولا شيء أقعد بامرئ عن مكرمة من صغر همة بأخمال سنيّ طلبته، ومن غلب على براعة المنطق فليجلب على الصمت، فإنه سبيل البلغاء، ومن غلب على العلم فليجلب على العمل فإنه سبيل العلماء، ومن لم يكن له فهم فليلزم زاوية السكوت، ولا ينبغي أن يدعي فهماً بقلب مسبوت، كما قيل في المثل:

لا تدعي الفهم لما لا تفهم إن كنت لم تعلم فقل لا أعلم⁽¹⁾

ولا علم لنا بأنّ آدم وحواء ميّزا بينهما كلاماً كهذا التميّز من غير أن يكون الله - عزّ وجلّ - جعل (12/و) فيهما إلاّ القوة على ذلك، وكان التميّز لهما والله هو الذي علمهما أن يميّزا ويبيّنا، فكيف كان حال النطق منهما، فهو

(1) البيت من الرجز لم أقف على قائله.

من تعليم الله - جلّ ذكره -، كما علم عباده صور الخط فصارت دالةً لأبصارِ
العيون، على مثل ما دلّ عليه النطق المسموع، وزاد نفعاً بانتشاره في الأخبار عن
كلّ مُطلقٍ و ممنوعٍ، وكلّ تابعٍ و متبوعٍ.

قال الأصمعي⁽¹⁾: سألتُ أبا مالك الغنوي⁽²⁾، ما قولُ الشاعر:

فمن يَسْمَعُ الصوتَ لا يَسْتَجِيبُ وَمَنْ يَسْتَجِيبُ فلا يَسْمَعُ ؟
فَقَالَ: مَنْ يَسْمَعُ فلا يَسْتَجِيبُ: الأذن، ولكن يَعي، وَمَنْ يَسْتَجِيبُ ولا
يَسْمَعُ اللسان، أنطقه الله بالبيان.

والخطّ مُقيّدٌ لنتائج الأفكارِ، ومُنزّهٌ لعيونِ النُّظَّارِ، ومُخبرٌ عمَّنْ غابَ عن
الأبصارِ، وذلك من هبات الواحد القهارِ، بما جعلَ في هذه الجوارح من القدرة
والاقتدار. والأعرابُ مُزِينٌ للخطوطِ نظراً وخبراً، ومعقودٌ بجميعة كَمَلًا،
ومُشتمِلٌ عليه دليلاً ورائضاً، ولذلك قالت الحكماءُ: الخطُّ قيمُ الحكمة، صورته

(1) عبد الملك بن قُريب بن أصمع بن مظهر أبو سعيد الباهلي الأصمعي إمام في النحو
واللغة والأشعار والأخبار والمُلح، وكان صدوقاً في الحديث وكان يجالس هارون
الرشيد، وقد جُمع بينه وبين الكسائي وهما عند الرشيد فقال الأصمعي للكسائي ما
معنى قول الراعي:

قتلوا ابن عفانَ الخليفة مُحرمًا ودعا فلم أرَ مثله مَخذولا ؟

قال الكسائي: كان مُحرمًا ؛ كان في حرمة الإسلام، وقوله محرمًا في كسرى يعني: حُرمة
العهد الذي كان له في أعناق أصحابه.

انظر: أخبار النحويين البصريين 59-60، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة 129.

(2) أبو مالك الغنوي، لم أقف على ترجمته ولكن عدّه المرزباني من الشعراء المجهولين
والأعراب المغمورين، معجم الشعراء 513.

ضئيلة، ومعانيه جليلة. وكذا قالت الروم: الخطُّ هندسةٌ روحانيةٌ، وإن ظهرت بألةٍ جسمانية⁽¹⁾. وكذلك قالت العرب: الخطُّ أصيلٌ في الروح، وإن ظهرَ بحواس الجسد⁽²⁾. وقالوا: الخطوطُ رياضُ العلوم. ولا يمكنُ أن يُعملَ (12/ظ) كلامٌ عربيٌّ إلا من هذه الحروف التي في طَبَعِ الإنسان أن يؤديها وهو إذا أَلَفَ بعضها إلى بعضٍ، بينه وبين آخرٍ، على أي ترتيبٍ شاء، أخذت لغةً، وإن كثرَ مَنْ يتكلمُ بها صارت لائحةً بجميع اللغات، فهذا الذي يُوجبُ الطبع. وليس يدفعُ أن يكونَ الله - جلّ ذكره - أرشدَ العبادَ لذلك، وإذا أرشدَهُم فهو عَلمُهُم إياه وهو دَلَّهُم عليه وعلى معانيه وصورةِ مبانيه، قال الشاعر⁽³⁾:

تَرى حَلَلَ البِيانِ مُنْشَرَاتٍ تَبَحُّثُ وَسَطَها صَوْرُ المَباني⁽⁴⁾

فَاللِفظُ مُخْتَرَعٌ لِلطائِفِ المَعاني، وَالخَطُّ مُخْتَرَعٌ لصورِ المَباني، ذالٌ على أوزانها، والإِعرابُ حَلِيَّةٌ لها دالٌّ على مالِكها من مملوكها، فمالِكُها مرفوعاؤها لأنَّهُنَّ فاعلاتٌ، ومملوكُها مَخفوضاؤها، ومنصوباؤها تتصَرَّفُ بهنَّ الفاعلاتُ في كلِّ الجهاتِ، لُطْفٌ من مُدبِّرِ الأحياءِ والأمواتِ، لأنَّ الخَطوطَ صامتاتٌ، وكُلُّ صامتٍ فهو ناطقٌ من جهةِ الدلالةِ مُعَرَّبٌ من جهةِ صحَّةِ الشهادةِ، على ما فيه من التمييزِ والحكمةِ التي نصبها اللهُ دليلاً على حقيقته كما جَعَلَ القرآنَ عَلماً⁽⁵⁾

(1) هذه العبارة لاقليدس في أدب الكتاب 1/ 41، والفهرست 22.

(2) الكلمة باختلاف يسير في أدب الكتاب 1/ 41 والفهرست 22 منسوبة إلى النظام

(3) إبراهيم بن العباس الصولي (ت 243 هـ)

خزانة الأدب 3/ 63، 6,119.

(4) البيت من البحر الوافر.

(5) أي علامة.

لخليقته. فهو يدلهم بضربين: بلفظ مفسرٍ عن الشيء تصريحاً، وربما دلهم بعبارة عن غيره (13/ و) فاستدلوا بذلك استخراجاً للمعنى، ولفظ القرآن هو الدليلُ فلذلك قيل: الاستدلالُ غيرُ النص. ومثالُ على ذلك قوله - تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَكِيمٌ﴾ (هود/ 7) فعقل وفهم أنه: غيرُ سَفِيهٍ، فلو أن قارئاً قرأ: "إن إبراهيم غير سفيه" لكان مُبدِلاً للفظ لا للمعنى، ولو قال قائل: "إن إبراهيم لسفيه" لكان راداً لخبر الله. فهذا هو الدليلُ الذي يكونُ نصّاً على شيء يدلُّ على معناه. وقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ بِعُلْمٍ حَلِيمٍ﴾ (الصافات/ 101) أي: لا جاهلٍ. قال حسان بن ثابت⁽¹⁾:

لا يَنخَلُونَ و إن حاولتَ جهلَهُمُ في فضل أحلامهم عن ذاك مُتَسَعِّمُ
إن كانَ في الناسِ سَباقونَ بَعْدَهُمُ فكلُّ سَبَقٍ لأدنى سَبَقِهِمُ تَبَعٌ⁽²⁾

(1) ابن المنذر الأنصاري وأمه الفريضة بنت خالد النقيسي الخزرجية، يكنى أبا عبد الرحمن وأبا الوليد، وهو فحل من فحول الشعراء، قيل: إنه أشعر أهل المدن، وهو أحد المعمرين من المخضرمين عاش مائة وعشرين سنة: ستين في الجاهلية، ومثلها في الإسلام، وجعله ابن سلام في طليعة طبقة شعراء القرى العربية، وكان في جاهليته يفد على ملوك غسان بالشام فيمدحهم، وفي إسلامه أضحى شاعر الرسول (ﷺ) والدعوة الإسلامية، عمي في آخر عمره ومات في خلافة معاوية (سنة 54 هـ).

الشعر والشعراء 174، وجمهرة أشعار العرب 621، وطبقات فحول الشعراء/ 215، وتاريخ خليفة بن خياط 202، الأعلام 2/ 175، معجم الشعراء المخضرمين والأمويين/ 102. الأنصاري، الشاعر الإسلامي المعروف كان يلقب بالحسام، انظر معجم ألقاب الشعراء/ 65، والمؤتلف والمختلف 89.

(2) البيتان من البحر البسيط وهما في ديوانه 152، والأول بلفظ (لا يجهلون وان حاولت جهلهم...) وفيها تقديم وتأخير، وهما من قصيدته المشهورة:

=

فكفى بقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ (هود/75). فالله - عز وجل - فضَّلَ بعضَ النبيِّينَ على بعضٍ، قال القائل⁽¹⁾:

والقومُ أشبَّاهَ وبينَ حُلومِهِم بَوْنُ كَذَاكَ تَفَاضُلِ الْأَشْيَاءِ⁽²⁾
وفي حديث مرفوع: (لا يكونُ العبدُ من المُتقينَ حتى يدعَ ما لا بأسَ به،
حَذراً لِمَا به البأسُ)، فهذا كلامٌ هو لِلحلمِ أساسٌ. وعلى ذلك قولُ الشاعر وهو
سويد⁽³⁾، أخذ بلحارث بن كعب:

إِنِّي إِذَا مَا الْأَمْرُ بَيْنَ شَكَّةٍ وَبَدَتْ بِصَائِرِهِ لِمَنْ يَتَأَمَّلُ
أَدَعُ الَّتِي هِيَ أَرْفَقُ الْخَلَاتِ بِي عِنْدَ الْحَفِيزَةِ لِلسَّيِّئِ أَجْمَلِ⁽⁴⁾

إِنَّ الدَّوَابَّ مِنْ فِهْرِ وَإِخْوَتِهِمْ قَدْ بَيَّنُّوا سُنَّةً لِلنَّاسِ تُتَّبَعُ
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ أَوْ حَاوَلُوا النِّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ تَفَعُّوا

(1) عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع، وعدي يُنسب إلى الرقاع وهو جدُّ جدِّه لشهرته، هو شاعر مقدَّم عند بني أمية مدَّاح خاص بالوليد بن عبد الملك، له بنت شاعرة تسمى سلمى، وهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم، تعرض لجرير وناقضة في مجلس الوليد. ديوان المعاني 2/131، الموشح/190، وخزانة الادب 1/203، ومعجم الشعراء المخضرمين/283.

(2) البيت من البحر الكامل، وهو في ديوانه/163.

(3) المرائد الحارثي، والمرائد: جمع مرثد، وهو مصدر رثدتُ المتاع بعضه فوق بعض: أي: نضدته، ويقال له أيضاً "سويد المرائي" وهو سويد بن صُمَيْع المرثدي من بني الحارث، وكان أخوه قُتيل غيلة فقتل قاتل أخيه نهراً في بعض الأسواق من الحضر. انظر: البيان والتبيين 3/241، 2/186، وعيون الأخبار 1/286.

(4) البيتان من البحر الكامل، وهما منسوبان إليه مع بيت ثالث في البيان والتبيين 3/241 وبينهما قوله:

=

(13/ظ) ومَنْ عاشَرَ الناسَ بغيرِ تجربةٍ لم يَعدِمَ بوادِرِ التَّدَمِّ وجوابعِ⁽¹⁾ السَّدَمِ⁽²⁾، فقال بعضُ القائلين⁽³⁾:

[و] إنا وجدنا الناسَ عودينَ: طيباً وعوداً خبيثاً لا يبضُّ⁽⁴⁾ على العَصْرِ تَزينُ الفتى أخلاقه وتَشيئهُ ومن جيّد القول:

فتى كانَ عَذبَ الرُّوحِ لا مِن غَضاضَةٍ ولكنَّ كِبِراً أن يكونَ بِهِ كِبَرٌ⁽⁶⁾

وتَبَّراً الضعفاءُ من إخوانهم وألحَ من حرِّ الصَّمِيمِ الكلكلُ

وجاء البيتان في عيون الأخبار 404/1 -4-5 منسويين إلى سويد بن الصامت شاعر من أهل المدينة، اشتهر في الجاهلية وأدرك الإسلام كان يلقب بـ (الكامل). ونسب أيضاً إلى سويد بن أبي كاهل بن حارثة الذبياني الكناني الشكري وهما في ديوانه 47. انظر: معجم الشعراء المخضرمين 199 - 200.

(1) واحدها: جائحه وهي الشدة

(2) السَّدَم: الحزن

(3) هو أبو البلاد الطهوي، عدّه الجاحظ من خطباء بني غطفان، إنّه كان راوية ناسباً، البيان والتبيين 1/354.

(4) زيادة يقتضيها البيت من أجل إقامة الوزن.

(5) البيتان من البحر الطويل، وهما في البيان والتبيين منسوبان إلى أبي البلاد. البيان والتبيين 2/104.

(6) لابي تمام حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، ولد في قرية جاسم من قرى دمشق في آخر خلافة الرشيد، ونشأ بمصر، وكان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب من غير القصائد، مات سنة 232 هـ، والبيت في ديوانه 82/4، انظر: خزنة الادب 1/356.

وكذلك كل صامتٍ بالقدرة هو ناطقٌ بالخبرة، كما قال القائل⁽¹⁾:

تَشْكِي الكُمَيْتُ الجُرْيَ لَمَّا جَهْدَتْهُ وَيَسِينُ لَوْ يَسْطِيعُ أَنْ يَتَكَلَّمَ⁽²⁾

ألا ترى أن الحرب لا تحاشي أن تقول - لكل ميين من الجماد: قائلٌ

ومتكلم، كقولهم:

فَصَبَّحَتْ وَالطَيْرُ لَمْ تَكَلِّمْ جَابِيَةً طُمَّتْ بِسَبِيلِ مُنْعَمٍ⁽³⁾.

وقد يكون كلام الطير تسيحاً، كما تأولوا قوله - عز وجل: ﴿يَجْعَلُ أَوْبَى

مَعَهُ﴾ (سبا/ 10) أي: سبّحي معه ﴿وَالطَّيْرُ﴾ (سبا/ 10).

(1) عمر بن أبي ربيعة، أبو الخطاب - عمر بن عبد الله - سمّاه به الرسول ﷺ وكان في الجاهلية يسمى (بحيرا) - بفتح الموحدة وكسر المهملة - ابن ابي ربيعة، وأسمه حذيفة، وكان يلقب بذي الرمحين - ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر مخزوم المخزومي لم يكن في قريش أشعر منه، كثير الغزل والنوادر والمجون، ولد في الليلة التي مات فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه فسمي باسمه، مات (سنة 93 هـ) وقد قارب السبعين وقيل عاش ثمانين سنة. خزانة الادب 2/ 32-22، ومعجم الشعراء المخضرمين/ 306. وانظر: شذرات الذهب 1/ 101، والموشح 201.

(2) البيت من البحر الطويل، وهو في ديوانه/ 462.

(3) البيت من الرجز، وهو غير منسوب في معاني القرآن للاخفش 2/ 363، والخصائص 1/ 23.

وكلُّ مُسَبِّحٍ ناطقٌ، لأنَّ التَّسْبِيحَ لا يخلو من أن يكونَ خاصًّا في بعض الأشياء أو عامًّا في كلها، فإنَّ كانَ خاصًّا، فذلك كَمَنْ سَبَّحَ اللهُ مِنَ الملائكةِ والمؤمنين وسائر من يُسَبِّحُ مِنَ المحتملين للتسبيح الذي هو كلام باعترافٍ، وإنَّ كانَ عامًّا، فذلك على الشهادةِ لله - تبارك وتعالى - والدلالةِ عليه أنَّه إلهها وخالقها، لأنَّ الدلالةَ تعظيمٌ لله وشهادةٌ لقدْرته، ألا ترى قول القائل⁽¹⁾:

(14/و) وأجْهَشْتُ لِلتُّوبَادِ⁽²⁾ لَمَّا رَأَيْتُهُ وَكَبَّرَ لِلرَّحْمَنِ حِينَ رَأَيْتِي⁽³⁾

فكَبَّرَ وَسَبَّحَ، دل على قدرة خالقه. فأما قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (الإسراء/44) فليس يعدو منزلتين: أن يكونَ خاصًّا فيمن لا يعلم أنَّ تسبيح الأشياء: دلالتهَا على أن الله إلهها وخالقها. أو يكونَ معنى ذلك: أنكم لا تفقهون تسبيحهم كما لا تفهمون التسبيح الذي هو كلامٌ مسموعٌ، واعتقادٌ

(1) مجنون ليلى قيس بن الملوِّح بن مزاحم بن قيس بن عدي بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. شاعر غزل متيم من أهل نجد، علق ليلى بنت مهدي أم مالك العامرية، كانا يرعيان البهم وهما صغيران فعلقها علاقة الصبي فقال:

تعلقت ليلى وهي غرٌ صغيرةٌ ولم يندُ للأتراب من ثديها حَجْمُ

صغيرين نرعى البهم ياليت أننا صغيران لم نكبُر ولم تكبُر البهْمُ

كره أبو ليلى أن يزوجهَا له، فزوجها لغيره، فزال عقل قيس لما أدرك ضياعها فهام على وجهه في الفلوات. فمات على ذلك سنة 70 هـ وقيل 68 هـ. معجم الشعراء المخضرمين 428، والمعجم المفصل في الأدب 765، وخزانة الأدب 4/229.

(2) جبل، كان المجنون وليلى يرعيان أغنامهما عنده. انظر: المعجم المفصل في الأدب 765/2.

(3) البيت من البحر الطويل وهو في ديوانه/175.

مرفوع، إلا أن يكون بلسانكم ولغتكُم التي خصكم الله بها، أو يوفّقكم لفهم ذلك، كما علم سليمان منطِقَ الطير ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة/284). وأبين ما سمعته أن أول ما كان من كلام العرب وغيرهم من العجم. أن الله - بارك وتعالى - ألهمهم ذلك⁽¹⁾ ليُعرفوا به ويُنسبوا إليه، واللغات بكل لسانٍ إلهامٌ لكل أجناس الأمم على حدّ ما ذكرنا من بيانٍ وقياس.

وقال بعض العلماء:⁽²⁾ إنّ الله - عز وجل - لما جعل لهم ألسنةً ناطقةً وعقولاً فاتقةً، قوّاهم على أن ينطقوا بالبيان فنطقوا، ووضعوا اللفظ على وجوه شتى ليُفرّقوا بعض الأشياء من بعض في اللفظ. وللعرب اتساعٌ في الحروف زائدة على عدد حروف غيرهم.⁽³⁾ وإثما أدخلت العرب الأعراب ليدلّوا بمركاتِهِ على معاني طُرقاتِهِ⁽⁴⁾ إيجازاً للذكيّ وبياناً للغيي. فأبي ذلك ما كان، فإنّه (14/ظ) لم تكن جملة الكلام كلّها في وقتٍ واحدٍ ولكن كان منه شيءٌ قليلٌ استعملوه ثم زيد فيه عند حضور الحاجة إليه، وجاء الآخر واحتاج إلى ما لم

(1) يعني بذلك اللغة

(2) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، أبو محمد الكوفي الدِّيُّوري، لأنه كان قاضيها، النحوي اللغوي، كان ثقة فاضلاً، من مصنفاته: أدب الكاتب، وتأويل مشكل القرآن، مات سنة 276 هـ. انظر: البلغة في تاريخ أئمة اللغة 116.

(3) هذا الكلام مأخوذ معناه من كلام ابن قتيبة: "والفاظ العرب مبنية على ثمانية وعشرين حرفاً، وهي أقصى طوق اللسان، والفاظ جميع الأمم قاصرة عن ثمانية وعشرين، ولست واجداً في شيء من كلامهم حرفاً ليس في حرفنا إلا معدولاً عن مخرجه شيئاً." تأويل مشكل القرآن/14، وحروف العربية عند سيبويه تسعة وعشرون حرفاً، إذ عدّ الهمزة حرفاً.

(4) ينظر تأويل مشكل القرآن 11 وما بعدها.

يحتج إليه الأول، فأحدثوا ألفاظاً، وروى الآخر عن الأول، غير أن كل ما أحدث من جاء بعد الأول يُحدثه على مثل قياس الأول لا يخالفه في قياسه إلا في تفخيم أو اختلاس، ولا يجيء بحرف سوى الحروف الأولى، وكلهم يُحدثون أنهم رَووا كلام آبائهم، ويحكون لفظهم على حد ما وضعه الأولون كلهم، يخبرون بذلك وهم القدوة في الفصاحة قبل الإسلام. وأما اختلاف اللغات فلأن ما أحدث لهم في الأصل لم يحدث بضرب واحد في وقت واحد، ولكنه أحدث على ضربين. عن رجل وعن رجلين، ثم كان الذين يأتون من بعد يُحدثون أشياء عند حضور الحاجة إليها على حد أول الكلام⁽¹⁾. فيجوز أن يكون الأول كان ضرباً واحداً في اللفظ، وأفهموا ضرباً من الكلام على لفظ آخر، والمعنى والعين فيهما واحدة على حد قياس ما رواوا عن الأولين، واللغتان على القياس صحيحتان في المعنى، فهذه سبيل أهل البدو والمدن، فالبدوي "عربي" اللسان، جزل الألفاظ، قليل الحركات (15/ و) حسن الإشارات، قح من الأقحاح. والمدري متمكن من نجاح الأفصاح، فهو بليغ الريق. بعيد عن التشقيق والتشديق، حسن الطلاوة، لودعي⁽²⁾ المنطق، فية شير أي: مفعوة بالبلاغة، حسن الشارة بالأعراب الذي هو أصل القياس، وآلة فطن الناس، فصار هؤلاء⁽³⁾ لفصيح اللغة أصولاً، ولمن⁽⁴⁾ تلقاهم أخذاً عنهم لهم فروعاً.

(1) انظر: الخصائص 29/2.

(2) اللودعي: الخفيف الذكي الظريف الدهن، الحديد الفؤاد، واللسان الفصيح كانه يلذع بالنار من ذكائه، البلغة في أصول اللغة 266، وانظر: ديوان الأدب 2/39. والفصيح الشديد الفصاحة، أساس البلاغة 563.

(3) يعني البدو.

(4) كذا في الأصل. ولعلها: ومن. وهي الأنسب.

ولما نظر علي بن أبي طالب - رحمه الله ونصر وجهه - إلى الطبائع قد اختلت بملاسة العجم وإلى الألسن قد بدأت في طرقات السقم، ألقى إلى أبي الأسود⁽¹⁾ حروفاً من العربية يطارحُ بهُنَّ الحسن والحسين، فكانت كأعظم النعم والمنن، فتفسح فيها وأوسع، ونفع بها وانتفع، وبأن بها زينُّ أهل البدع ثم أخذه عن أبي الأسود يحيى بن يعمر⁽²⁾، وبعده ابنُ أبي إسحاق⁽³⁾ فانتفع بعلمهم أهل العراق لمُدافعَتهم من لبس تأويل القرآن بالشقاق والنفاق وبث أغاليطه في الآفاق والرفاق فأما من تلقى من العلماء أخذ صحيح اللغة عن الفصحاء القدماء من أهل الأمصار والأقطار، فيقصُر عنهم الإحصاء والأعداد، فنذكر منهم من يكونُ

(1) الدؤلي، ظالم بن عمرو بن سليمان بن عمرو بن حلس بن ثفاعة بن عدي بن الدؤل من سكان البصرة، والنسبة إليه دؤلي كما يُنسب إلى نمرنمري فيفتح استشمالاً للكسرة، ويجوز تخفيف الهمزة فيقال: الدؤلي بقلب الهمزة واوا؛ لأن الهمزة إذا انفتحت وكان قبلها ضمة فتخفيفها بقلبها واوا محضة. (أخبار النحويين البصريين 13-14).

(2) العدواني، وهو رجل من عدوان بن قيس عيلان من مضر، وكان عالماً بالعربية والحديث، لقي عبد الله بن عمر، وعبد الله ابن عباس وغيرهما من الصحابة، وكان من الفصحاء. أخذ عن أبي الأسود الدؤلي، ويعمر: بالفتح وقيل بالضم والأول أصح وأشهر سمِّي بذلك تفاقماً بطول العمر، مات بخراسان سنة 129 هـ.

انظر: أخبار النحويين البصريين 22، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء 25، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة/ 285.

(3) الحضرمي، أبو بحر عبد الله بن أبي إسحاق، كان ملماً بالعربية والقراءة إماماً فيها وكان شديد التجريد للقياس. ويقال انه كان أشد تجريداً للقياس من أبي عمرو بن العلاء وهو أول من بعج النحو ومد القياس، وشرح العلل.

انظر: أخبار النحويين البصريين 21، نزهة الألباء 26، البلغة في تاريخ أئمة اللغة 104، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة 73-74.

فذكر منهم من يكون النظر لهم بهم مقيساً، كأبي زيد وأبي عبيدة والأصمعي. فأمّا (15/ظ) أبو زيد الأنصاري⁽¹⁾، فحمل الأنسي من كلام العربي والوحشي، فأكثر من الجمع له، فأتعب الثقاد.

وأما أبو عبيدة مغمّر⁽²⁾، فإنه بكثرة العلم يُذكر، لأنه أخذ عن العرب حقيقة العلم بأيامهم وأشعار فرسانهم، وما فخرُوا به من أنسابهم، وما تُعايروا به من مثالب أعدائهم، فاحتوى على الكثير من أخبارهم، وأحاطَ بمجمل من خفيات أسرارهم.

وأما الأصمعي، فاختر ما اجتمعوا عليه من بليغ كلامهم، وأطرح شواذ ألفاظهم، فهو نقي العلم، ثقة في حمل الفصاحة والبلاغة وصار بعنايته في الطلب وملاقة العرب أقوى الرواة فيها علماً، وفي لطيف النحو أنقّبهم فهماً.

(1) سعيد بن أوس بن ثابت، كان عالماً بالنحو واللغة، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء وأخذ عنه أبو عبيدة القاسم بن سلام، وأبو حاتم السجستاني، وكان ثقة من أهل البصرة، وكان سيويه إذا قال: "سمعت الثقة" يريد به أبا زيد الأنصاري، وله كتب مصنفة أشهرها كتاب النوادر في اللغة. مات سنة 215 هـ، أخبار النحويين البصريين 52، ونزهة الألباء 101، البلغة: 84-85.

(2) ابن المثنى التيمي البصري، منسوب إلى تيم قريش لا تيم الرّباب وكان مولى لهم، ذكر الخطيب، أنه ولد سنة عشر ومائة في الليلة التي مات فيها الحسن البصري، وقال عنه الجاحظ: "لم يكن في الأرض خارجي ولا إجماعي أعلم بجميع العلوم من أبي عبيدة وكان من أعلم الناس باللغة وأخبار العرب وأنسابها، وله في ذلك مصنفات، كمقاتل الفرسان، تحقيق محمد فؤاد سزكين. مات سنة (208هـ)، نزهة الألباء/84، البلغة في تاريخ أئمة اللغة 261.

والكلامُ المسموعُ المنقولُ فيه إفراطٌ وفيه تقصيرٌ وفيه اعتدال، فأما إفراطه فحملُ الهدرِ منه والمستغنى في الديانةِ عنه وعن الاشتغال به عما تدعو الحاجة إليه، وأما تقصيرهُ فالعبيُّ عن البيانِ المقبولِ بالحاجةِ إلى تفهمه. وأما اعتداله، فالبيانُ في إيجازٍ وإيجازٍ. وكان الأصمعيُّ في ذلك كما قيلَ في المثل:

لا يبعثُ الكلامَ أو يختارهُ لكي يقلَّ عيبُهُ وعارةُ⁽¹⁾

وكان يحيى بن يعمرَ عدوانياً وابنُ أبي إسحاقَ حَضرمياً، وكانا بموضعٍ من الإعرابِ والفصاحةِ والبيان، فهما (16/ و) نشرًا معالمَ العربيةِ فبرعَ فيها أبو عمرو بن العلاء⁽²⁾ والخليل⁽³⁾ ومن تابَعهما، فهما إمامانِ في النحوِ ودقائق

(1) البيت من الرجز (لم أقف على قائله).

(2) المازني التميمي، نحوي، عالم بالقراءات مشتهر بها وهو أحد القراء السبعة، واختلف باسمه، فقيل زبان، وقيل ريان، وقيل اسمه كنيته، أخذ النحو عن نصر بن عاصم الليثي وأخذ عنه يونس بن حبيب البصري، والخليل بن أحمد، وكان يونس يقول: "لو كان أحد ينبغي أن يؤخذ بقوله في كل شيء كان ينبغي أن يؤخذ بقول أبي عمرو بن العلاء كَلَّه في العربية.. مات سنة 154 هـ في خلافة المنصور. إخبار النحويين البصريين 28، ونزهة الألباء 30، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة/ 81.

(3) ابن أحمد الفراهيدي، أبو عبد الرحمن، سيّد أهل الأدب قاطبةً في علمه وزهده والغاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليقه، وكان من تلاميذ أبي عمرو بن العلاء، وأخذ عنه سيبويه، وعامة الحكاية في كتاب سيبويه عن الخليل، وهو أول من استخراج علم العروض وضبط اللغة، وأملى كتاب العين على الليث بن المظفر، وكان أول من حصر أشعار العرب، وكان يقول البيتين والثلاثة ونحوها في الأدب مثل ما روي عنه أنه كان يقطع العروض فدخل عليه ولده في تلك الحالة فخرج إلى الناس وقال: "إنَّ ابي قد جُنَّ، فدخل الناس عليه وهو يقطع العروض فأخبروه بما قال ابنه فقال له: لو كنت تعلمُ ما أقولُ عذرتني أو كنت تعلمُ ما تقولُ عذلتكا

مسالكه، فكان أبو عمرو في عصر بني أمية والألسن شامية، ومات في زمن أبي جعفر والألسن عراقية.

وأما الخليل فأخذ النحو من عيسى بن عمر الثقفي⁽¹⁾، واستخرج منه ما لم يسبق إليه لدقة فطنته وحدة ذهنه وصحيح قياسه وفكره، يُسمع منه الشيء مقيساً، فتلقي به العرب، فيكون فيما استخرجه رئيساً.

والكسائي⁽²⁾ طراً إليهم وأخذ عنهم، وسمع من العرب، فكان بما حمل عنهم أوثق به مما سمع، لصحة الأذهان وعطية الرحمن.

لكن جهلت مقالتي فعذلتني وعلمت أنك جاهل فعذرتكنا

(مات سنة 170، وقيل 175 هـ)، نزهة الألباء 45، والبلغة 79.

(1) البصري، كان ثقة عالماً بالعربية والنحو والقراءة، وقراءته مشهورة، وكان فصيحاً يتقعر في كلامه، ويعدل عن سهل الالفاظ إلى الوحشي والغريب، صنّف كتابين في النحو سمي أحدهما "الجامع" والآخر "الاكمال" وفيهما يقول الخليل بن أحمد، وكان قد أخذ عنه: من الرمل:

ذهب النحو جميعاً كلّه غير ما أحدث عيسى بن عمر
ذاك إكمالاً وهذا جامع فهمما للناس شمس وقمر

قال الأنباري: وهذان الكتابان لم نرهما ولم نر أحداً رآهما. مات سنة (149) هـ. انظر: أخبار النحويين البصريين 31، ونزهة الألباء 28، والبلغة/ 179، ونشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة 75.

(2) علي بن حمزة بن عبد الله، أبو الحسن الأسدي الكسائي الذي انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيّات، أخذ القراءة عرضاً عن حمزة، ألف كتاب معاني القرآن، كتاب القراءات، كتاب العدد، وغيرها، ناظر سيبويه ببغداد في المسألة الزنبرورية المشهورة، وهو

وأما المازني⁽¹⁾ فأخذ من أبي عمر الجرمي⁽²⁾ النحو فبرع فيه على نظرائه وكان الجرمي أغوص وأجود استخراجاً، وأصح نيّةً ونصحاً وتحرّجاً، قال الشاعر فيه أو في مثله:

المشهور، وهو أحد القراء السبعة المشهورين، صحب هارون الرشيد ومات هو ومحمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة في مكان واحد بالرّي فقال الرشيد: دفننا الفقه والنحو في الرّي. وكانت وفاته سنة 189 هـ.

انظر: معرفة القراء الكبار/ 72، وغاية النهاية في طبقات القراء 1/ 474 (العلمية).

(1) بكر بن محمد بن بقيّة، أبو عثمان، وقد اختلف المترجمون لحياته في أسمى أبيه وجدّه اختلافاً كبيراً، والذي رجح ان المازني عربي أصيل النسب إلى مازن بن شيبان، وقيل اسمه: بكر بن محمد بن حبيب، قال المبرد وقد سأله رجل مجنون: "أتعرف أبا عثمان المازني؟ قلت نعم معرفة شافية، قال: أتعرف الذي يقول فيه:

فتى من مازنٍ ساد أهل البصرة
أمنه معرفة وأبوه نكرة

قلت: لا اعرفه. له كتاب التصريف الذي شرح ابن جني، مات (سنة 249 هـ). انظر: أبو عثمان المازني ومذاهبه في الصرف والنحو 17-18، وأخبار النحويين البصريين 74، نزهة الألباء/ 140، غاية النهاية في طبقات القراء 1/ 162.

(2) صالح بن اسحاق النحوي، قرأ كتاب سيبويه على الأخفش، ولقي يونس بن حبيب ولم يلق سيبويه، وكان أبو عمر رفيق أبي عثمان المازني، وكانا هما السبب في إظهار كتاب سيبويه، قال المبرد: كان الجرمي أغوص على الاستخراج من المازني والأصمعي. وكان صاحب دين وإخاء وورع، وكان الجرمي يلقب بالنباح لكثرة مناظراته في النحو ورفع صوته فيها، فإنّ النباح هو الرفيع الصوت. صنّف كتباً كثيرة منها مختصره المشهور في النحو، مات (سنة 225 هـ) في خلافة المعتصم. نزهة الألباء 114، وانظر: أخبار النحويين البصريين 72، البلغة/ 96.

وَيَثْرُ إِنْ أَجَالَ الْفِكْرَ دُرّاً وَيَثْرُ لَوْلَوْأُ مِنْ غَيْرِ فِكْرٍ⁽¹⁾
ولذلك قيل: الأفكارُ بحارٌ لؤلؤها عظيم الأخطارِ. وكان سيبويه عمرو
وبن عثمان⁽²⁾ أكثرَ من الأخفش⁽³⁾ فطنةً وعِلماً فَضْرِبَ بِهِ المثلُ فقيلَ:

(1) البيت من البحر الوافر وهو من قصيدة منسوبة إلى أحمد بن عبد السلام قالها في محمد بن
يزيد الميرد، وفيها:

رَأَيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ يَزِيدَ يَسْمُو إِلَى الْخَيْرَاتِ فِي جِأِهِ وَقَدْرِ
جَلِيسَ خَلَائِفِ وَغَدِيٍّ مُلْكِ وَأَعْلَمَ مَنْ رَأَيْتُ بِكُلِّ أَمْرٍ
وَيَثْرُ إِنْ أَجَالَ الْفِكْرَ دُرّاً وَيَثْرُ لَوْلَوْأُ مِنْ غَيْرِ فِكْرٍ

أخبار النحويين البصريين / 102 - 103، بغية الوعاة / 270.

(2) ابن قنبر، أبو بشر، مولى بني الحارث بن كعب، وسيبويه لقب له، ومعناه بالفارسية:
رائحة التفاح، أخذ النحو عن الخليل، وهو أستاذه وعن يونس وعيسى بن عمر
وغيرهم، كان غاية في الخلق، وكتابه في النحو هو الإمام فيه، وكان يسمى (قرآن النحو).
قال المازني: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ كِتَاباً كَبِيراً فِي النُّحُوِّ بَعْدَ كِتَابِ سَيْبُوهِ فَلْيَسْتَح.
أخذ عن أبي الحسن الأخفش، وكان أكبر سنّاً من سيبويه وقطرب، مات شاباً بشيراز بعد
المسألة الزنبورية التي ناظر بها الكسائي وخرج منها مخذولاً مظلوماً، قيل انه مات غمّاً ولما يبلغ
الأربعين عاماً.

أخبار النحويين البصريين 48، نزهة الالباء 54، البلغة 173.

(3) الأوسط، أبو الحسن سعيد بن مسعد، من أكابر أئمة النحويين من البصريين وكان أعلم
من أخذ عن سيبويه، وكان أسن منه، ولم يأخذ عن الخليل، وكان الطريق إلى كتاب
=

أطالَ عَلَيْنَا فِي الْخِطَابِ كَأَنَّهُ خَلِيلٌ وَعَمْرُوٌّ فِي الْبَلَاغَةِ وَالنَّحْوِ. (1)
 ثُمَّ فُتِحَ لِلْأَخْفَشِ بَعْدَهُ بِالْحِكْمَةِ وَالسَّنِّ مِنْ قِيَاسَاتٍ (16/ ظ) النَّحْوِ وَالتَّفْقَهُ
 فِي مَذَاهِبِهِ مَا فَاقَ بِهِ كُلَّ نَاطِرٍ فِيهِ وَطَالِبٍ لَهُ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِينَ. وَقِيلَ فِي الْمَازِنِيِّ لَمَّا
 أَخَذَ طَرِيقَتَهُ:

فَتَى قَامَ بِالْقُرْآنِ وَالْعِلْمِ يَافِعاً وَصَدَرَ لِلْأَعْرَابِ فِي مَبْلَغِ الْعَشْرِ
 لَهُ نِعْمَاتٌ يَبْتَلِجُنَ عَلَى الدَّجَى وَأَخْفَى عَلَى الْأَوْهَامِ مِنْ نَفْسِ الذَّرِّ
 فَيَجْعَلُ لَيْلَ النَّحْوِ صُبْحاً وَصُبْحَهُ عَلَى دَقَّةِ الْأَذْهَانِ فِي صَنْعَةِ الْخَطْرِ (2)

فَمَا قَلْنَا فِي هَؤُلَاءِ فَمَثَلُهُ فِي نُظْرَائِهِمْ مِمَّنْ عُنِيَ بِإِصْلَاحِ السَّنِّ الرَّاغِبِينَ عَنِ
 نَفَاسَةِ الْأَعْرَابِ، وَقُلُوبِ الزَّائِغِينَ عَنِ دَرَجَاتِ الصَّوَابِ، وَالتَّمَسَّ بِذَلِكَ جَزِيلَ
 الثَّوَابِ. وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْ عَظِيمِ الْمَنَّةِ لِلَّهِ عَلَيْنَا بِالْعَرَبِيَّةِ الْفَصِيحَةِ، وَاللُّغَةِ الصَّحِيحَةِ
 قَبْلَ الْإِسْلَامِ، وَأَنَّهَا فَيَمُنُ لَا يَسُوعُ الْإِحْتِجَاجِ إِلَّا بِهِمْ، عَلَى سَائِرِ الْأَيَّامِ وَمَرُورِ
 الْأَزْمِنَةِ. وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - مَا أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِهِ بِالِاسْتِقَامَةِ، أَيِ يَسْتَقِيمُ

سيبويه، فالكتاب لم يقرأه أحد على سيبويه، ولم يقرأه سيبويه على أحد، ولكن لما توفي
 سيبويه قريء الكتاب على الأخفش، وكان ممن قرأه عليه أبو عمر الجرمي وأبو عثمان
 المازني. فكانا السبب في اظهار أنه لسيبويه. ولم يسند كتاب سيبويه إليه إلا بطريق
 الأخفش. كان أبو ع اصحاب سيبويه، (مات سنة 215 هـ).

زهوة الالباء/ 107، البلغة 86.

(1) البيت من البحر الطويل، وقد أورده البغدادي في شرح أبيات المغني مثوراً 4/ 230.

(2) الأبيات من البحر الطويل، لم أقف على قائلها.

في الأفهام الذكيّة، والغرائز الرضيّة. وعلى الله المعونة فيما ندب إليه ودلّ عليه من الاقتداء بالسليقة الدالّة على فصاحة أهل البدو في القفار و مخالطة أهل المدر لهم في الجوار.

فأما أهل الحضّر فيخبرون أنّهم قد تركوا الاقتداء بالوحشيّ من كلام الذين نسيوا إلى العربية القُدُمى، وتركوا كلام آبائهم الذي كان على قياس، وكان رواية عن الأصل في التأسيس.

فليس ما أحدثه أهل الحضّر من الكلام على (17/و) قياس من مضي، بزعمهم لأنّهم لم يفتصلوا بالحركات بين المعاني والمباني، كما فصل الذين نسيوا إلى السليقة الأولى. فهذا فرق بين أهل البدو وأهل الحضّر.

وإنما نسيب كلام أهل الحضّر إلى العربية لأنّها حروف العرب وتألّفهم إلّا أنّهم أزالوا شيئاً من الحركات كأنّهم تكلموا بكلام العرب⁽¹⁾ محذوفاً بعضه وهو عربيّ، فلا يُحتجّ بلغتهم. ولا تُؤخذ الأسماء عن أهل الحضّر وتؤخذ عن أهل البدو، وذلك، لأنّ أهل الحضّر خالطوا كلام العجم ونقلوا عنهم: نحو: (سراويل) للواحد. وذا لا يكون في كلام العرب للواحد⁽²⁾.

(1) هذا كلام مأخوذ عن ابن جني بتصرف، انظر: الخصائص 29/2.

(2) السراويل: في غالب كلامهم مفرد، وجمعه "سراويلات"، وفي اللسان: قال الليث: السراويل: أعجمية أعربت وأثنت، والجمع "سراويلات". قال سيويه/ (2/16، 142، 342 بولاق) ولا يكسر لأنه لو كسر لم يرجع إلّا إلى لفظ الواحد، فترك وفي الجمهرة (3/487): "قال أبو زيد: العرب تؤنث السراويل، وهي اللغة العالية، فمن ذكر فعلى معنى الثوب"، وفي اللسان، أنّ بعضهم ذهب إلى أنّ (سراويل) "جمع" واحده "سروالة" ثم

فلما كان أهل الحضرة قد لا بسوا العجم لم تؤخذ عنهم الأسماء، لأنه لا يؤمن منهم أن يؤلفوا غير تأليف العرب، وأن يبنوا غير بنائهم ويضعوا الكلمة الموافقة في اللفظ لكلام العرب وهي أعجمية، فيؤخذ ذلك عنهم، لأن أصل كلامهم على غير قياس ولا رواية عن الأصل، فطرح الاحتجاج بكلامهم لما يتخوف فيه من السقم، ولم يجعلوا أئمة في شيء من الكلام إذا خالفوا ما ألهمته الفصحاء، فبطل أن يحتج بهم، قال الشاعر⁽¹⁾:

(17/ظ) لسان عراقي إذا ما صرفته إلى لغة الإعراب لم يتصرف⁽²⁾

فأما ما يقع في كتب التفاسير من الاحتجاج ببعض أشعار المولدين، فإنما يذكر ذلك تزييناً تابعاً، لا احتجاجاً قاطعاً. وكذا إعرابي إن أخطأ في كلمة مخالفة لما سمع من جميعهم لم يقبل منه، وإن كان فصيحاً، لأن هذا موضع مهمة أزالته عن صواب القياس. وثقاة الأخبار كثقاة الآثار، وإنما يعلق الفصح بالكلمة من الخطأ كما يعلق الرجل الجاهل بالعربية الكلمة الفصيحة من غير

نقل عن الأزهرى: "جاء السراويل على لفظ الجماعة وهي واحدة قال: وقد سمعت غير واحد من الأعراب يقول "سروال" وذكر الجواليقي ان (السراويل) معربة.

(1) دعبل بن علي بن رزين الخزاعي الشاعر المشهور، أسلم يوم الفتح وشهد غزوات حنين والطائف وتبوك، وقاتل مع الإمام علي عليه السلام بصفتين، كان ميالاً لآل البيت فهو من الشيعة، وهو ابن عم أبي الشيبان الخزاعي الشاعر المشهور (مات سنة 246 هـ).

(2) البيت من الطويل وهو ليس في ديوانه المحقق (بتحقيق إبراهيم الأميوني) ولكنه في ديوانه

الأخر/309.

عَلِمَ مِنْهُ بِهَا. وَقَدْ يَزِلُّ الْفَصِيحُ فِي تَأْوِيلِ الْكَلِمَةِ، فَهَذَا رُؤْيُ (1)، يَشْهَدُ لَهُ مَنْ مَالَ إِلَى تَقْرِيطِهِ، أَنَّهُ أَفْصَحُ مِنْ مَعْدَنْ بِنِ عَدْنَانَ وَقَدْ يَجِيءُ فِي شِعْرِهِ وَشِعْرِ أَبِيهِ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمُسْتَكْرَهَةِ وَالْمَعَانِي الْمَتَعَسِّفَةِ، مَا لَا يَقَعُ عَلَى مِثْلِهَا الْفَصِيحُ، كَقَوْلِهِ:

* فَارْتَاخَ رَبِّي فَارَادَ رَحْمَتِي (2) *

وَالْإِرْتِيَاخُ لِلْمَخْلُوقِينَ دُونَ الْخَالِقِ - عَزَّ وَتَعَالَى - وَإِنَّمَا يَكُونُ الزَّلْزَلُ فِيمَنْ خَالَطَ الْمَتَأَخِرِينَ، فَلَيْسَ يَلْزَمُ مِنْ سَمِعَهُ أَنْ يَأْخُذَ بِالشَّاذِّ وَلَا لَهُ إِلَيْهِ مَلَاذٌ، بَلْ إِلَى الْحَقِيقَةِ الْمَعَادِ، إِلَّا أَنْ يَجُوزَ ذَلِكَ فِي الْقِيَاسِ، فَيَكُونُ لَهُ نِظَائِرٌ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ، أَوْ سَمِعَهُ مِنْ عِدَّةٍ كَثِيرَةٍ لَا يَقَعُ فِي وَهْمِهِ أَنْ مِثْلَهُمْ يَجْتَمِعُ عَلَى خَطَا، فَيَقْبَلُهُ بَعْدَ (18/ و) التَّوَثُّقِ مِنَ الشَّكِّ فِيهِ. فَقَدْ بَانَ أَنَّ التَّفَقُّهَ فِي عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ مَنْزِلَةٌ جَلِيلَةٌ خَطِيرَةٌ يُرْعَبُ فِيهَا ذُكْرُ أَنَّ الرِّجَالَ، يَدْفَعُ بِمَعْرِفَتِهَا دَعَاوِيَّ مِنْ نَسَبِ حُرُوفًا كَثِيرَةً فِي الْقُرْآنِ مُوَافِقَةً لِكَثِيرٍ مِنَ أَلْسِنَةِ الْأَعَاجِمِ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى، وَنَحْنُ نَذَكُرُ جَمِيعَ صَنُوفِ مَا ذَكَرُوهُ مِنْ ذَلِكَ، فِي هَذَا الْكِتَابِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَمَنْ أَيْنَ وَقَعَ اتِّفَاقُهُ.

(1) أَبُو الْعَجَّاجِ رُؤْيَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَجَّاجِ بْنِ رُؤْيَةَ بْنِ لَيْبِدِ التَّمِيمِيِّ السَّعْدِيِّ يَكْنَى أَبَا الْعَجَّاجِ، رَاجِزٌ مِنَ الْفَصَحَاءِ الْمَشْهُورِينَ، أَخَذَ عَنْهُ أَعْيَانُ أَهْلِ اللُّغَةِ، يَحْتَجِّجُونَ بِشِعْرِهِ، وَيَعْتَرِفُونَ بِإِمَامَتِهِ فِي اللُّغَةِ، قَالَ ابْنُ جَنِّي فِيهِ وَأَبِيهِ: "وَقَدْ كَانَ قَدَمَاءُ أَصْحَابِنَا يَتَعَقَّبُونَ رُؤْيَةَ وَأَبَاهُ وَيَقُولُونَ: تَهَضُّمًا لِلُّغَةِ وَوَلَدَاهَا وَتَصَرَّفًا فِيهَا غَيْرَ تَصَرَّفِ الْأَقْحَاحِ فِيهَا. وَكَانَتْ فَصَاحَةٌ رُؤْيَةَ وَشَهْرَتُهُ وَاسِعَةٌ. وَكَانَ يَشْبَهُ بِالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ فِي الْفَصَاحَةِ وَعِنْدَمَا تَوَفَّى قَالَ عَنْهُ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ: "دَفْنَا الشُّعْرَ وَاللُّغَةَ وَالْفَصَاحَةَ". مَاتَ سَنَةَ 145 هـ. الشُّعْرُ وَالشُّعْرَاءُ 363، خَزَانَةُ الْأَدَبِ 89/1، دَرَسَةُ لُغَوِيَّةٍ فِي أَرَاغِيْزِ رُؤْيَةَ وَالْعَجَّاجِ 91-92، الْخِصَائِصُ 297/3. وَمَعْجَمُ الشُّعْرَاءِ الْمَخْضَرِّمِينَ/150.

(2) الْبَيْتُ مِنَ الرَّجْزِ، لَا يُوْجَدُ فِي دِيْوَانِ رُؤْيَةَ، وَإِنَّمَا فِي دِيْوَانِ أَبِيهِ الْعَجَّاجِ/247.

ولقد فضّل الله من فقّهه في النحو، بأن أبانوا العِللَ، وجَبروا الخَللَ والحقوا
إفهامَ أولاد العَجَم بطبائع العرب الذين لا كُلفَة عليهم في فَنهم ما يُتلى عَليهم
مِن كتابِ رَبّهم، وسنذكرُ البارِعَ مِنْهم لئلا يُرغَبَ عَنْهم إن شاء الله.

فأما اتساع اللغة في منشورها وفي الأشعار من منظومها فهما ضربان من
الكلام، كالأيتين المُعجبتين المعجّزتين لكثير من الناس. لهما أبنية معلومة
وأسجاعٌ موصوفة مفهومة.

فنظّم قوم من المنشور ما فطنوا له من جيّد عيونِه فسمّته العربُ
شِعراً، أي فقهه لعلمه وشِعيراً لغامضه، كما قال الفرزدق⁽¹⁾: (تكلّفتُ حُبُّ
الشعر)⁽²⁾ أي: فطنتُ للغامض منه.

وكتبَ أحمد بن الواثق⁽³⁾ بخطّه إلى محمد بن منشور من الأسجاع

(1) همام بن غالب بن صعصعة أبو فراس شاعر تميم المشهور، والفرزدق لقب له، نشأ في
أسرة عريقة من بني مجاشع وجده أحد أشرف الجاهلية وسادتها، قال أبو عمرو بن
العلاء: كان الفرزدق يُشبهه - من شعراء الجاهلية - بزهير. كان كريماً جواداً، عاصر
جرير وتهاجيا زمناً طويلاً، ومات الفرزدق قبل جرير، فرثاه جرير وكان ذلك سنة 112
هـ. الشعر والشعراء/290، البيان والتبيين 1/321، معجم الشعراء المخضرمين/359.

(2) لم أفق على هذا القول لا في ديوانه، ولا في كثير من كتب الأدب.

(3) بن المعتصم، الخليفة العباسي الذي مدحه أبو تمام في قصيدة يقول فيها:

هدأت على تائبيل أحمد همتي وأطاف تقليدي به وقياسي

إقدام عمرٍ و في سماحة حاتم في حلمٍ أحنفٍ في ذكاءٍ إياسٍ

والخطب⁽¹⁾ فأحبيت أن تُعرفني من ذلك ما أستفيدُه وأعملُ به

فأجابهُ سألت، أعزك الله، عن أي البلاغتين أفصح في الشعر المرصوف، أم الكلام المنثور، وأيهما أولى بأن تكون هي البلاغة المنعوتة المتقدمة، والذي سألت عنه - أعزك الله من مسائل العقلاء الفضلاء، وكل ذلك فأنت ذرؤُهُ وسَنَامُهُ، زادك الله ولا نقصك، وأعلاك ولا وضعك.

والجوابُ فيما سألت: إنَّ حقَّ البلاغة إحاطةُ القولِ الفصيحِ بالمعنى الصحيحِ واختيارُ الكلام، وحُسْنُ النظام، حتى تكونَ الكلمةُ مقارنةً مقارنةً أختها ومعاضدةً شكلها، وأن يُقَرَّبَ بها البعيد ويُحدَفَ منها الفضول، فإن استوى هذا في الكلام المنثور والكلام المنظوم المسمَّى شعراً - ولم يُفَضَّلْ أحدُ القسمين على صاحبه، فصاحبُ الكلام المنظوم أفضلٌ وأحمدُ لأنه أتى بمثل ما أتى به صاحبه وزاد وزناً وقافية.

على أن الوزن قد يُحمل على الضرورة⁽²⁾، والقافية تضطرُّ إلى الحيلة، وبقيت بينهما واحدة ليست مما توجدُ عند استماع الكلام منهما، ولكن يُرجع

يريد بهم: عمرو بن معد يكرب، وحاتم الطائي، والأحنف بن قيس، وإياس القاضي. البيان والتبيين 4/ 79، البلاغة للمبرد/ 80.

(1) نزهة الالباء 164 - 173، أخبار النحويين البصريين 96 البلغة/ 250.

(2) في البلاغة/ 81: والوزن يحمل على الضرورة، والضرورة: هي ارتكاب مخالفة في وزن البيت أو إعراب أو بناء بعض كلماته لأمر يضطر إليه الشاعر.

انظر: معجم مصطلحات العروض والقوافي/ 153.

إليهما عند قولهما، فيُنظَرُ أيهما أشدُّ على الكلام اقتداراً (19/ و) وأكثرُ فيه تسمحاً وأقلُّ معاناةً وأبطأ مُعاسرةً وتكلّفاً، فيُعَلِّمُ أنه المُقدِّمُ (في البلاغة) (1).

وقد كانت البلاغة تتفق ما هو أقل من هذا، فمن ذلك أن الجُمُحِيَّ خطبَ خُطبةً فأحسنها وأجادها، وكان بين تثنيتيه فرقٌ، فكانَ يَصْفِرُ إذا تكلم، فأجابه زيدُ بنُ علي بن الحسين بكلام في وزنِ كلامه وحُسنِ نظامه، غيرَ أنه تقدّمه في السمع بالسلامة من ذلك الصغير، فقال عبد الله بن معاوية بن جعفر (2):

قُلْتُ قِوَادِ حُمَا وَتَمَّ عِدِيدُهَا فَلَهُ بِذَلِكَ مَزِيَّةٌ لَا تُنْكَرُ (3)
وقال موسى، عليه السلام: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ (طه 27).

(1) هذه العبارة غير موجودة في البلاغة، انظر: ص 81.

(2) ابن أبي طالب، يلقب بابن الطيّار، والطيّار لقب جدّه جعفر الذي حمل لواء المسلمين يمينه في يوم مؤتة، فقطعت ثم بشماله فقطعت، ثم احتضنه بعضديه، فقتل وخسر شهيداً. كان شاعراً ثائراً فتاكاً ثار بالكوفة سنة 127 هـ ثورة فاشلة، طلب الخلافة وباعه بعض الناس، انهزم إلى شيراز وفرّ منها إلى هراة، فقبض عليه عاملها وقتله خنقاً بأمر من أبي مسلم الخراساني وكان ذلك سنة 131 هـ وهو صاحب البيت المشهور: وعينُ الرضا عن كلِّ عيبٍ كليلَةٌ ولكنَّ عينَ السُّخْطِ تُبْدي المساويا

الأعلام 4/ 139، البيان والتبيين 1/ 312، 335، معجم الشعراء المخضرمين/ 253

(3) البيت من البحر الكامل، وهو في ديوانه/ 46 بلفظ

صَحَّتْ مَخَارِجُهَا وَتَمَّ حُرُوفُهَا فَلَهُ بِذَلِكَ مَزِيَّةٌ لَا تُنْكَرُ

البيان والتبيين 1/ 58 - 59، والبلاغة للمبرد/ 81.

وسبب قوله هذا البيت: أن زيد بن علي بن الحسين أجاب خطيباً ففاهه وفضله بتمكين الحروف وحسن مخارج الكرم، فقال عبد الله بن معاوية يذكر ذلك في كلمة.

فأما بلاغة الكلام المنشور والمنظوم، فسأخبرك بما جاء منهما في معنى لطيف، وفضل أحدهما - بما رسمت أولاً- على صاحبه من الاصابه.
قال قائلٌ للربيع بن خثيم⁽¹⁾ عندما رُئيَ من اجتهاده في العبادة وإغراقه في الطاعةِ والنهماكِه في الصوم والصلاة: قتلْتَ نفسَكَ فقال راحتها أطلبُ.
فهذا كلام موجز مُحيطٌ بالمعنى، لا فضلَ فيه عنه، وأخذَهُ بعضُ الشعراء⁽²⁾، فقال:

سأطلبُ بُعدَ الدارِ عنكم لتقربوا وتسكبُ عيناىَ الدموعَ لِتَجْمُداً⁽³⁾.

(1) ابن عائد الكوفي، ثقة، زاهد، عابد من كبار التابعين، روى عن ابن مسعود وروى عنه الشعبي والنخعي، مات في خلافة يزيد سنة 61 أو 63 هـ. والقصة في البيان والتبيين 160/3، انظر: البيان والتبيين 1/363، والفهرست/260.

(2) هو العباس بن الأحنف، من بني حنيفة، يكنى أبا الفضل، كان منشؤه ببغداد وكان صاحب غزل، ويشبهه - من المتقدمين - بعمر بن أبي ربيعة، ولم يكن يمدح ولا يهجو، ومن حسن شعره قوله من البسيط:
أشكو الذين أذاقوني موذتهم حتى إذا أيقضوني بالهوى رقدوا

الشعر والشعراء/500.

(3) البيت من البحر الطويل، وهو في ديوانه 106، وموجود في دلائل الإعجاز 268 والتلخيص في علوم البلاغة للقرظ ويني/30، وقد أورده البلاغيون شاهداً على التعقيد اللفظي عند الانتقال "فبدأ بسكب الدموع على ما يوجبه الفراق من الحزن والكمَد، فأحسن وأصاب، لان من شأن البكاء أبداً أن يكون أمانةً للحزن وأن يجعل دلالةً عليه وكنايةً عنه كقولهم: (أبكائي وأضحكني) على معنى: (سَاءَني وسَرَّني) وقد غلط من ذهب إلى أن الجمود هو أن لا تبكي العين، مع أن الحال حال بكاء ومع أن العين يُراد

يقول: اغتربُ فأكتسبُ ما يطولُ به مقامي معكم (19/ظ) وقربي منكم.
وهذا أحسنُ والأوّل أوضحُ. ومثله:

تقولُ سُليمي لو أقمتَ بأرضنا ولم تذرْ أُنِّي للمقام أطوفُ⁽¹⁾⁽²⁾

منها إن تبكي، ويُستَرابُ في أن لا تبكي، ولذلك لا ترمى أحداً يذكرُ عينه بالجمود إلا وهو يشكوها ويذمها وينسبها إلى البُخل، ويَعُدُّ إقناعها من البكاء تركاً لمعونة صاحبها على ما به من الهم.

قال أهل اللغة: عينُ جَمُودٌ لا ماء فيها، وسنةٌ جَمَادٌ، لا مطر فيها وناقَةٌ جَمَادٌ، لا لبن فيها، وكما لا تُجعلُ السنة والناقَةُ جَمَاداً إلا على معنى أن السنة بجيلة بالقطر، والناقَةُ لا تسخو بالدرِّ، كذلك حكم العين لا تُجعلُ (جَمُوداً) إلا وهناك ما يقتضي إرادة البكاء منها، وما يجعلها إذا بكت مُحسنةً موصوفة بأن قد جادت وسَخَّتْ، وإذا لم تُبكِ مسيئةً موصوفةً بأن قد ضُنَّتْ وبَخِلَتْ.

دلائل الإعجاز 269 - 270، التلخيص في علوم البلاغة 30 - 31.

(1) البيت لعروة بن الورد العبسي، شاعر من شعراء الجاهلية، وفارس من فرسانها وصعلوك من صعاليكها المعدودين المقدمين الأجواد وكان يُدعى "عروة الصعاليك" بجمعه إياهم، وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم، ولم يكن له معاش ولا مغزى، وقيل سمِّي بذلك لقوله:

لما الله صُعلوكاً إذا جنَّ ليلُهُ مضى في المشاش ألفاً كلَّ مَجْزَرٍ

جمهرة أشعار العرب 569، الشعر والشعراء 407.

(2) البيت من البحر الطويل، وهو من قصيدة يخاطب بها زوجته (أم حسان) التي نهته أن يخرج مع أصحابه الصعاليك الذين استصرخوه من أجل أن ينقذهم من الجوع والبؤس،

ومثله من المنثور قولُ روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب⁽¹⁾ وقيل له:
أطلتَ وقوفك في الشمس؟ فقال: ليطولَ وقوفي في الظلِّ.
وأصلحُ ما فيه قولُ الطائي:

ألفنة النحيبِ كم افتراق أجدُّ فكان داعيةً اجتماع
وليستُ فرحةُ الأوباتِ إلا لموقوفٍ على ترح الوداع⁽²⁾
هذا، أعزك الله، مفاضلةً بين الأشكالِ والنظراء من المخلوقين.

فإذا جاء قولُ الرسول (ﷺ) رأيتَه من كلِّ منطِقٍ بائناً وعلى كلِّ قولٍ عالياً،
ولكلِّ لفظٍ قاهراً، فَتَفْهَمَ مسافةً ما بين الكلامين، واتضاع الأقاويل عند قوله -

ولكنه نهرها وعصاها، لأنه بذلك تمنعه من واجبه المقدس كما يرى. والبيت في
ديوانه/ 87 بلفظ: لو أقمتم لسرنا: وفي عيون الأخبار/ 1/ 338 وقبله:
أرى أم حسان الغداة تلومني تخوفني الأعداء، والنفس أخوفُ

طبقات فحوى الشعراء 725، جبهة أشعار العرب 569، الشعر والشعراء 407
والصناعتين/ 226.

(1) ابن أبي صفرة الأزدي، ولي لخمس من الخلفاء العباسيين توفي سنة 174 هـ في ولايته
لأفريقيا فيعهد الرشيد. (انظر البيان والتبيين 160/3 وعيون الأخبار 1/ 339، والعقد
الفريد 1/ 81 والبلاغة للمبرد/ 86).

(2) البيتان من البحر الوافر وهما في ديوانه 2/ 336، وفي البلاغة للمبرد 86 والصناعتين
226، والوساطة 229، والموازنة 318

والأوبات: جمع أوبة وهي العودة والرجعة، تقول: أب المسافر يؤوب أوباً وأوبةً
ومأباً وإياباً.

والقرح: الحزن.

عليه السلام - فمن ذلك قولهم في تصرف الزمان وتصرم الأجال، قال بعض شعراء الجاهلية:

كانت قناتي لا تليّن لغامز فألأنها الأصباحُ والأمساءُ
ودعوتُ ربّي بالسلامةِ جاهداً ليصحّني فإذا السلامةُ داءً⁽¹⁾
وقول⁽²⁾ النمر:

يسرُّ الفتى طولَ السلامةِ والبقا فكيف ترى طولَ السلامةِ تفعل⁽³⁾

(1) البيتان من البحر الكامل، وقد اختلف في نسبتها، فالمراد في كتاب البلاغة نسبتها إلى لييد بن ربيعة، وقد وجدتها في ملحق ديوانه/183. وذكر محقق الديوان - د. عمر فاروق الطباع - إن المصادر لم تجمع على نسبة هذين البيتين للييد، ومنسوبان للنمر بن تolib وهما في ديوانه/129، وكذلك في عيار الشعر83.

(2) النمر بن تolib بن زهير، شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام من الصحابة الإجلاء، شاعر جواد واسع العطاء كثير القرى وهاب مال له كان أبو عمرو بن العلاء يسميه "الكيس" لجودة شعره وكثرة أمثاله، ويُسببه شعره بشعر حاتم الطائي، وكان النمر شاعر الرباب في الجاهلية، لم يمدح أحداً، ولا هجا أحداً، وقد على النبي (ﷺ)، وهو كبير، عدّه ابن سلام في الطبقة الثامنة من فحول الجاهلية مع عمرو بن قميئة، وكان شاعراً فصيحاً جريئاً على المنطق، ذكره القرشي مع أصحاب المجهرات قيل انه عاش مئتي سنة، وخرف في أواخر عمره. جمهرة أشعار العرب 531، الشعر والشعراء 177، معجم الشعراء المخضرمين 501، وطبقات فحول الشعراء 259.

(3) البيت من البحر الطويل، وهو في ديوانه: 87، بلفظ: يود الفتى.....، وفي البيان والتبيين 154/1 يجب الفتى.....، والصناعتين/403، والبلاغة/88، وعيار الشعر 83، والبيت استشهد به صاحب التنبهات/108 في بيان قصر المددود، لأن الشاعر إذا اضطر فله أن يقصر المددود، وليس له أن يمد المقصور؛ وذلك أن المددود قبل آخره ألف زائدة فإذا =

وقال حميد⁽¹⁾ [بن ثور] :

أرى بصري قد رابني بعد صحّةٍ وحسبك داءً أن تصحّ وتسلما
(20/ و) فلا يلبثُ العصر ان يومٌ و ليلةٌ إذا طلبا أن يُدركا ما تيمّما⁽²⁾

فإذا احتاج حذفها ؛ لأنها زائدة، فإذا حذفها ردّ الشيء إلى أصله. ولو مدّ المقصور لكان زائداً في الشيء بما ليس منه.

(1) حميد بن ثور، بن عبد الله من بني هلال بن صعصعة العامريّ يكنى أبا المثني، شاعر أدرك الجاهلية والإسلام، عدّه الأصمعي من الشعراء العظماء عند العرب، وعدّه ابن سلام الجمحي في الطبقة الرابعة من الشعراء الإسلاميين، وفد على النبي (ﷺ) ومات في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو صاحب البيت المشهور في وصف الذئب :

ينام بإحدى مقلتيه ويتقي بأخرى المنايا فهو يقظانٌ هاجعُ

الشعر والشعراء/ 232، ومعجم الشعراء المخضرمين/ 116.

(2) البيتان من البحر الطويل، وهما في ديوانه 7-8، والبلاغة للمبرد/ 89، والأول في الشعر والشعراء/ 232، وفي عيار الشعر/ 82، وفي خزانة الأدب 2/ 217، الأول منسوب لحميد والثاني لآخر.

وذكر الجاحظ أن أبا عمرو بن العلاء قال: "اجتمع ثلاثة من الرواة فقال لهم قائل: أي نصف بيت شعر أحكم وأوجز؟ فقال احدهم: قول حميد بن ثور الهلالي:

* وحسبك داءً أن تصحّ وتسلما *"

ثم علق الجاحظ بعده وقال: ولعلّ حميداً أن يكون أخته عن الثمر بن تولب؛ فإن الثمر قال:

يُحبُّ الفتى طولَ السلامة والغنى فكيف ترى طولَ السلامة يفعلُ. البيان والتبيين

.154-153/1

وقول الآخر:

إذا بلّ من داءٍ به ظنّ أنه نجاوبه الداءُ الذي هو قاتلُهُ⁽¹⁾
وقول أبي حية النميري⁽²⁾:

ألا حيّ من أجل الحبيب المغانيا لیسن البلى مما لبسن الليليا
إذا ما تقاضى المرء يومٌ وليلةً تقضاهُ شيءٌ لا يملُّ التقاضيا⁽³⁾
فانظر أين هذا من قوله (كفى بالسلامة داءً)⁽⁴⁾.

فانظر إلى هذا الكلام الذي لا زيادة فيه ولا نقصان، لم يطول المعنى ولم يقصر عنه.

فإذا جاء أمرُ القرآن نظرت إلى شيء هو واحدٌ، وقول هو القول، فأين قولُ
الخنساء⁽⁵⁾:

(1) البيت من البحر الطويل، وهو في العين 8/319، وإصلاح المنطق 213، وتهذيب الألفاظ
117، والجمهرة 1/37، ومقاييس اللغة 1/189، والبلاغة/89، وغير منسوب في جميعها.
(2) الهيثم بن الربيع، ينتهي نسبه إلى نعيم بن عامر بن صعصعة، شاعر مجيد فصيح، مقصد،
راجز، من سكان البصرة، وكان أهوج جباناً، بخيلاً كتاباً معروفاً بذلك أجمع، يعرف بأبي
حية. وكان أبو عمرو بن العلاء يقدّمه، وذكر ابن قتيبة انه كان يروي عن الفرزدق، ذكر
له البغدادي جملة من أكاذيبه ومن رقيق شعره قوله:

ألا ربُّ يومٍ لو رميتني رميتها ولكن عهدي بالنضالِ قديمٌ

انظر: الشعر والشعراء 465، خزنة الأدب 10/217، معجم الشعراء المخضرمين/520.

(3) البيتان من البحر الطويل، وهما في ديوانه 100-101، وكذلك في الشعر والشعراء/465.

(4) الجامع الصغير 2/90، وقال عنه السيوطي: ضعيف.

(5) تماضر بنت عمرو بن رباح الشاعرة عُرفت بالخنساء (والخنس: تأخر الأنف عن الوجه

مع ارتفاع قليل في الأرنبة)، اتفق أهل العلم أنه لم تكن امرأةً قبلها ولا بعدها أشعر منها،

=

ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي
وما يكون مثل أخي ولكن أعزّي النفس عنه بالتأسي
يذكرني طلوع الشمس صخراً وأذكره لكل غروب شمس⁽¹⁾
من قول الله عز و جل: ﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمُ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ (الزخرف/39) أي: ما نزل بكم أجلّ من أن يقع معه التأسي، بنظر بعضهم إلى بعض

وفهم المعاني لما في خبيّ الطباع فضيلة لذوي الألباب، وفي القرآن: ﴿ يُخْرِجُ الْخَبْءَ ﴾ (النمل / 25) وهو: ما خبيء.

فكلّ ما تجاوز ذلك البناء المنظوم، فلم يكن على تلك الصفة (20/ ظ) فليس يُسمّى شعراً، ألا ترى أنك لو سميت كلّ ما أشبه البيت بيتاً لم يجز، حتى يكون في مثل هيئته.

لا تسمى الصفة⁽²⁾ بيتاً، وليس كلّ ما صنيع من الساج فهو باب، حتى يكون له هيئة، الباب وقدر ما وضع عليه. وسميت بيوت الشعر تشبيهاً بذلك في المعنى، لأنه يدخل منه إلى ما خالفه، كما قال الملقز:

أكثر الرثاء وأطالت البكاء على أخويها صخر ومعاوية، قتل أولادها الأربعة في معركة القادسية، خطبها دريد بن الصمة فردته، وقد عدت من أصحاب المراثي.

(1) الأبيات من البحر الوافر في ديوانها/ 84-85، وهي ترثي بها أخاها صخراً، والبيتان الأول والثاني في البلاغة للمبرد/ 91.

(2) الصفة من البنيان شبه البهو الواسع... وصفة البنيان: طرفه، وأهل الصفة كانوا اضياف الإسلام، كانوا يبيتون في مسجده (ﷺ) وهي موضع مُظَلَّل من المسجد، اللسان (صف)، ومختار القاموس/ 358.

وبيتٍ بعلياءِ الفلاةِ بنيتهُ بأسمَرَ مشقوقِ الخياشيمِ يعرفُ⁽¹⁾
يريد: بيتاً من الشعر عمّله بموضع قفر.

فالبيت الواحد من شعر العربيّ الواحد، واللغة من الواحد، إذا كان قياساً على ما قالوا، وكان المسموعُ منه موثقاً به في لغته فهو حُجّة. إلا أن يكونَ في لغته وهنٌّ، أو يكونَ ما تكلمَ به ليس بالقياس العربيّ، فذلك لا يُؤخِّدُ به حتى يكونَ مسموعاً من جماعةٍ ويعرفُ أنها اللغة التي تكلمَ بها أهلُ الفصاحة، فإن كل لها وجهٌ من القياس حُمِلت عليه، وإن ضعفت فلم يكن لها وجهٌ من القياس ولم يكن للبيت نظيرٌ، لَحِقَّت التهمةُ الذين جاءوا به، فهذا هو الاحتياط للغة التي رضيها الله لعباده، وبها تقَعُ الدرايةُ وتصحُّ الديانةُ.

ألا ترى أنّ من العرب من يُفسدُ أبنيةَ القوافي، وهو فصيحٌ، وليس ذلك بجائز، لأنّ الشعر ضربٌ من الكلام، لا تجدُ فيه خللاً بل تحفظه (21/ و) أوزائه وتدلُّ عليه صحّةُ معانيه، لأنّ الشعراءَ المجتمعَ أولو السنّةِ حدادٍ، وعقولٍ شدادٍ، وألبابٍ فاضلة، وأذهانٍ صافية في قول الشعر وروايته وافتنانه، وصونه عن الإقواء⁽²⁾ وغيره، فهو لهم زينةٌ في المحافل والمقاوم. فلذلك قال ابن عباس عليكم

(1) البيت من البحر الطويل، ورد ذكره في التشبيهات/ 303، والعقد الفريد 4/ 192، ومقاييس اللغة 1/ 324، ولسان العرب، وتاج العروس، الصحاح، وهو غير منسوب في جميعها.

(2) الإقواء: عيب من عيوب الشعر العربي، وهو أن تختلف حركات الروي، فيرفع الشاعر قافيةً ويجر أخرى، ومنه قول النابغة يصف المتجرّدة امرأة النعمان بن المنذر:
سَقَطَ النَّصِيفُ ولم تُرِدْ إسقاطه فتناولنّه وأثقتنا باليد.

بشعر الحجاز فتعلموه، فإنه شعرُ الجاهلية وقد عُفِيَ عنه وكان إذا سُئِلَ عن شيءٍ من عربية القرآن أنشدَهم من الشعر ما يعرفهم إياه:

حدثنا إسماعيل القاضي⁽¹⁾. قال: حدثنا ابنُ الفهم⁽²⁾ قال: سمعتُ مصعبَ

ابن عبد الله الزبيري⁽³⁾، يقول: ليتَ شعرَ أمري أَلقيسَ كانَ عندي، فقلتُ: ما تصنعُ به؟ قال: أستعينُ به على ديني.

وكان مصعب من أهل الفهم والفصاحة والديانة والرجاحة قال. وأنا

أقول: إن تأويلَ ذلك: أن يستعينَ بما فيه من تحقيق اللغة وصحة الأعراب، على ما في كتاب الله - جل جلاله - وأخبار رسوله (ﷺ) كما جاء عن ابن عباس: إذا

سَقَطَ النُّصَيْفُ ولم تُرَدِّ إِسْقَاطُهُ فتناوَلْتُهُ واثقنتُ باليَدِ.

بمُخَضَّبٍ رَخِصٍ كانَ بِنانُهُ عَنَّمْ يَكادُ مِنَ اللَّطَافَةِ يُعَقَدُ

معجم مصطلحات العروض والقوافي 213-214، ديوان النابعة الذبياني / 93.

(1) إسماعيل بن إسحاق القاضي، شيخ المؤلف. وقد عرفنا به في دراسة هذا الكتاب.

(2) الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن فهم البغدادي، قال عن نفسه: "صحبتُ مصعباً فأخذت عنه النسب" (ت 289 هـ). تاريخ بغداد 92/10، تذكرة الحفاظ 680/2، طبقات الحفاظ 295.

(3) مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله الزبيري، نسبة إلى الزبير بن العوام وهو عمُّ الزبير بن بكار، سكن بغداد، وحدث بها، ومات (سنة 230 هـ) الفهرست 166، تاريخ بغداد 114/13، واللباب 60/2.

العرب. وتنافسَ الناسُ في الشعر ورغبوا في اخذائه وانتشر التقريظُ لقائله (21/ظ) لبراعة فضلته، وحمدوا مَنْ رواه لسمو همته.

وجلّ في قلوبهم الشعرُ لعظيم خطره ونفيس قيمة جوهرة، وكرم طبع عنصره فيما يبقى على طول الأبد من جيد فرئده⁽¹⁾ ولم يُبد الدهرُ رونقه.

فَعَزَبَهُ الممدوحُ لنشرِ الألسُنِ تشييدَ مناقبه، ودَلَّ بأذاعته المهجوُّ لِمَا يُظهِرُ من مكنونِ مثالبه، وَيَتَمَثَّلُ بِجَيِّدِ عِيُونِهِ وطرائقِ فنونه وخبيثه، وفقره وفُصُوصِهِ أولو الألباب، فقيلَ للممدوح:

تَخَالَ بِهِ بُرْدًا عَلَيْكَ مُجْبِرًا وَتَحَسَّبُهُ عِقْدًا عَلَيْكَ مُفْضَلًا
وَيُزْهِى بِهِ قَوْمٌ وَلَمْ يُمْدَحُوا بِهِ إِذَا مَثَّلَ الرَّاوي بِهِ أَوْ تَمَثَّلَا⁽²⁾

ورويَ أَنَّ رسولَ الله (ﷺ) قال: (إِثْمَا الشعرِ كَلَامٌ فَمِنْ الكَلَامِ طَيِّبٌ وخبيث)⁽³⁾ فقيلَ من طيبه قول الشاعر:

هُوَ جَوْهَرٌ نَشْرَفَ أَنْ أَلْفَتَهُ بِالشعرِ صَارَ قَلَائِدًا وَعُقُودًا⁽⁴⁾
والخبيث ما أفسدَ شرفاً برفث، أو حطه بسرف، ﴿إِنَّهُ لَا يُجِبُّ
الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأنعام/141).

(1) الفرئد - بكسر الفاء والراء - السيف، وجوهرة، وشئيه، مختار القاموس/476.

(2) البيتان من البحر الطويل، وقائلهما أبو تمام الطائي كما في ديوانه 3/109-110، قالها في مدح الوزير محمد بن عبد الملك الزيات.

(3) مجمع الزوائد مع اختلاف الألفاظ 8/122، وانظر: العمدة 1/14.

(4) البيت من البحر الكامل، وهو لأبي تمام في ديوانه 1/421.

وقال رسول الله (ﷺ): (إِنَّ أَحَاكِمَ لَا يَقُولُ الرَّفَثَ)⁽¹⁾.

يعني بذلك عبد الله بن رواحة⁽²⁾، وهو الذي من قوله:

[و]فينا رسولُ الله يتلو كتابه كما انشقَّ معروفٌ من الفجرِ ساطعُ

أرانا الهدى بعد العمى فقلوبُنَا ثِيَقُنُ حَقًّا أَنْ مَا قَالَ وَأَقَمُ⁽³⁾

فهذه منزلةٌ مَنْ زَيْنَهُ عِلْمٌ شَعْرٍ يَخْلُطُهُ بِالْبَهْتَانِ، (22 / و) فما ظنُّكَ بِمَنْ زَيْنَهُ

عِلْمُ الْقُرْآنِ وَفَهِمَ كَلَامَ الرَّحْمَنِ؟

فأما مَنْ تَكَلَّمَ بِجَرَفٍ عَلَى أَصْلِ الْقِيَاسِ، وَخَالَفَ الْعَامَّةَ مِنْهُمْ دُونَ الْخَاصَّةِ

لَمْ يَكُنْ مَخْطِئًا، نَحْوَ قَوْلِ الْعَرَبِ: (لَا أُدْرِ) وَ(لَا أَبْلُ) قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَذْفِهِ

تَخْفِيفًا⁽⁴⁾، فَانْ قَالَهُ عَلَى أَصْلِهِ: لَا أُدْرِ وَلَا أَبَالِي، جَازٍ. وَكَذَا قَوْلُهُمْ:

(1) صحيح البخاري 187/22.

(2) الأنصاري بن ثعلبة بن عمرو بن كعب بن عمرو بن أمريء القيس، الشاعر المحسن

الذي كان يرذ الأذى عن رسول الله (ﷺ)، وهو من السابقين الأولين من الأنصار، شهد

المشاهد كلها مع رسول الله (ﷺ) إلا الفتح ومات بعده، لأنه قتل في معركة مؤتة

شهيداً، وجعلها بن سلام في طبقة شعراء القرى، فارس من الأمراء والشعراء الراجزين

مات (سنة 8 هـ). جهرة أشعار العرب 629، والموشح 68 وخزانة الأدب 304/2، 307،

ومعجم الشعراء المخضرمين 245-246.

(3) البيتان من البحر الطويل، وهما في ديوانه 96.

(4) قال سيبويه: "واعلم أنه ليس كلُّ حرفٍ يَظْهَرُ بعده الفعلُ يُحذفُ فيه الفعلُ؛ ولكنك

تضمّر بعد ما أضمرت فيه العربُ من الحروفِ والمواضع، وتُظهِرُ ما أظهرُوا وتُجْري

هذه الأشياء التي هي على ما يستخفون بمنزلة ما يجذفون من نفس الكلام، ومما هو في

الكلام على ما أجروا، فليس كل حرفٍ يُحذفُ منه شيءٌ، ويُثبِتُ فيه، نحو: يَكُ وَيَكُنْ،

ولم أَبَلْ وَأَبالِ لم يَحْمِلْهُمُ ذاك على أن يفعلوه بمثله... وسألته عن قولهم: لم أَبَلْ فقال: هي

=

(ويلمّه)⁽¹⁾ كلهم مجذف الهمزة، فإن لم تحذف فهو على القياس في الأصل،
[إذ]⁽²⁾ سُمع: (ويلُ أمه).

ويقال: ما أستوى رجلان دينهما وحسنهما⁽³⁾ واحدًا إلا كان أفضلهما في الدنيا والآخرة أعرهما باللغة العربية، ففضله في الدنيا لفهمه وفصاحته وإعرابه، وفضله في الآخرة لأنه فهم عن تبصّر حمل كتاب الله على ما أنزله الله، فأما المقصّر فقد يجملة تخلفه على أن يدخل في كتاب الله ما ليس فيه، ويُخرج منه ما هو فيه. وأنشدوا:

أما القرآن فلم تُرشد لمحكمه من القرآن ولن تُهدى لتوفيق⁽⁴⁾

من باليت، ولكنهم لما أسكنوا اللام حذفوا الألف لأنه لا يلتقي ساكنان وإنما فعلوا ذلك في الجزم؛ لأنه موضع حذف، فلما حذفوا الياء التي هي من نفس الحرف بعد اللام صارت عندهم كنون يكن حين أسكنت... فإسكان اللام هنا بمنزلة حذف النون من يكن... وهذا من الشواذ، وليس مما يقاس عليه ويترد

الكتاب 1/134 (بولاق)، الكتاب 1/265 (هارون)، الكتاب 2/392، الكتاب 4/405 (هارون).

(1) نقل سيبويه قول الخليل قال: وَيَلْمُهُ، يريدون وَيَ لِأَمِّهِ، الكتاب 3/5 (هارون)، قال المتنبي يهجو كافور الأخشيدي (من البسيط):
وَيَلْمُهَا خُطَّةً وَيَلْمُ قَابِلَهَا لِمَثَلِهَا خَلِيقَ الْمَهْرِيَّةِ الْقُوْدُ

(2) يقتضيا السياق.

(3) هذا بعض من كلام جرى بين ابن هبيرة وابن قتيبة عن ذكر العربية، معجم الأدباء 1/22، وروضة العقلاء 231.

(4) البيت من البحر البسيط، وهو لحاجب الملقب بالفيل، ابن ذبيان المازني، وهو من قصيدة يهجو بها ثابت قطنة الشاعر الفارس من شعراء الدولة الأموية وصاحب يزيد بن المهلب

وقد تأول ناسٌ من المفسرين وغيرهم من المتكلمين لظاهر الألفاظ دون باطنها فتأولوا لفظةً في القرآن حملوها على غير معناها، وفي نفس الآية ما يدلُّ على خلاف ما سبق إلى قلوبهم، وهو قوله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ (يس / 69) فظنوا أنه لا يلفظُ بالشعر واحتجوا بقوله:

(22/ ظ) سَتُبَدِي لَكَ الْأَيَّامَ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ مَنْ لَمْ تَزُودْ بِالْأَخْبَارِ⁽¹⁾
يريد: (ويأتيك بالأخبار مَنْ لَمْ تَزُودْ).

فزعموا أنه لم يجر على لسانه (ﷺ) تاماً، فقد جرى على لسانه المصراعُ وهو شعر.

الذي تقدّم إلى ثابت أن يصلي بالناس يوم الجمعة، فلما صعد المنبر ولم يُطبق الكلام قال حاجب النيل:

أبا العلاء لقد لقيت معظلةً يوم العروبة من كربٍ وتحنيقِ
أما القرآن فلم تُخلق لحكمه ولم تُسدّد من الدنيا بتوفيقِ
لما رمتك عيون الناس هبتهم فكدت تُشرق لنا قمت بالريقِ
تلوي اللسان وقد رمت الكلام به كما هوى زلق من شاهق النيقِ

خزانة الأدب 9/ 579-580، البيان والتبيين 2/ 183، معجم الشعراء المخضرمين 89.

(1) البيت من البحر الطويل، وهو لطرفة بن العبد من معلقته المشهورة وهو في ديوانه/ 28. وشرح القصائد السبع الطوال لابن الانباري 230، وشرح القصائد العشر للتبريزي 158، والبيان والتبيين 1/ 88.

وفي آخر الآية خلاف ما قالوا، وذلك أن قريشاً لما سمعوا القرآن الذي بان من الفاظهم، وبلغتهم نزل، قالوا: شاعرٌ أو مجنون، فأنزل الله، عز وجل: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ ﴾ (يس / 69) أي: الذي نسبتموه إليه تعنون به القرآن، ثم أبان ذلك بقوله ﴿ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ﴾ (يس / 69) أن يكون شعراً ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴾ (يس / 69) أي: ما هو إلا قرآن، لا شعر. فدلّ بهذا أنهم عنوا القرآن، وعنه أجبوا وقد صحَّ عن النبي (ﷺ) أنه قال:

أنا النبيُّ لا كذبُ أنا ابنُ عبدِ المطلبِ⁽¹⁾
 هل أنتِ إلَّا إصبعٌ دُميتِ وفي سبيلِ الله ما لقيتِ⁽²⁾
 وهذا موزون وإن كان مثله قد يقع في الكلام⁽³⁾

(1) صحيح مسلم 5/ 168، والفاائق 2/ 57، العين، واللسان/ رجز.

(2) صحيح البخاري 22/ 182، صحيح مسلم، 5/ 182، والفاائق 2/ 57، والبيان والتبيين 1/ 5288.

(3) قال الجاحظ: ويدخل على من طعن في قوله: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ (المسد/ 1) وزعم أنه شعر؛ لأنه في تقدير: مستفعلن مفاعِلن، وطعن في قوله في الحديث عنه: "هل أنتِ إلَّا إصبعٌ دُميتِ؟ وفي سبيلِ الله ما لقيتِ فيقال له: اعلم أنك لو اعترضت أحاديث الناس وخطبهم ورسائلهم لوجدت فيها مثل: مستفعلن مستفعلن كثيرًا، ومستفعلن مفاعِلن. وليس احدٌ في الأرض يجعلُ ذلك المقدار شعراً. ولو إن رجلاً من الباعة صاح: من يشتري باذنجان؟ لقد كان تكلم بكلام في وزن مستفعلن مفعولات، وكيف يكون هذا شعراً وصاحبه لم يقصد إلى الشعر. البيان والتبيين 1/ 288-289، وذكر ابن رشيقي في العمدة (1/ 85) أن الخليل قال: إن شطور الرجز ليس بشعر لقوله (ﷺ) وسلم:

وقال ابن عُيينة⁽¹⁾ لما قيلَ له: كيف قالت قريش: شاعرٌ أو مجنون وقد أتاهم بما لم يسمعوا بمثله واحتجَّ بما لا يُطاق رده؟ قال: لما سمعوا ما عجزوا عنه قالوا: كلامه كلام الجن، فهو شاعرٌ أو مجنون. أي: استعظماً لمقاله، لا طاعنين عليه في عقلٍ ولا لسان، بل كان لطيفاً فهمه، نافعاً علمه، فبلفظه نزل القرآن وبعلمه (23/ و) ظهر البيان.

تعلّم ما في القرآن من وجوه معانية التي لا غنى عن تعلّمها، فمن لم يعلمها لم يكن بالقرآن عالماً، ولا بفهمه مستخرجاً لمعاني الأمثال الدالّة على وحدانية خالقه، وعلى حقائق صفاته - عز وجل - في إحدائه الأشياء المصنوعة، ثم احتجّاجه لنفسه، ثم أرسله بما يُثبتُ رسالته، وما كان من تفصيل ذلك بإخباره، وما كان بحجج العقول القائمة الموجودة، وما أبان كلامه من سائر الكلام وكتابه

هل أنت إلّا إصبعٌ دميتِ وفي سبيل الله ما لقيتِ

بكسر التاء. وذكر أنّ قوماً روّوه "دميتِ" بإسكان الباء والتاء جميعاً ولا يكون حينئذٍ موزوناً.

(1) سفيان بن عُيينة بن أبي عمران الإمام المجتهد الحافظ أبو محمد الهلالي الكوفي، محدث الحرم حدث عن الأعمش، وشعبة وابن المبارك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وكان إماماً حجةً حافظاً واسع العلم، كبير القدر (مات سنة 198هـ)

طبقات المفسرين 137، وغاية النهاية 1/280، وطبقات الحفاظ 113، وتذكرة الحفاظ

من سائر الكتب، ومن أصناف الخطب والسجوع⁽¹⁾ والرسائل والأشعار وما أبان به علمُ الأيمان وعلم الظاهر المستوفي بلفظه لمعانيه مع زيادة التكرير، ثم المستوفى بلفظه لمعانيه بلا زيادة شيء، وما كان لفظه العامّ وعليه دليل أنه خاصّ، وما كان لفظه الخاصّ وعليه دليل أنه مراداً به العامّ، وما كان لفظه الباطنُ والمرادُ به الظاهر.

فإذا كانت هذه كلها طرقاً إلى صنوف علوم لا تُلحقُ إلا بالغة والأعراب فأين يكون عنها الذهاب.

ونحنُ نختصرُ من تبين معاني هذه الوجوه ما يشتملُ على جملةٍ منها إن شاء الله. وقد وصف رسولُ الله (ﷺ) نفسه حين قيل⁽²⁾ له ما رأينا الذي هو أفصحُ منك يا رسول الله. قال: (وما يعني من ذلك / وقد نشأتُ في بني سعد⁽³⁾)، وما أشبهُ هذا من الكلام الدالُّ على فصاحة بني سعد⁽⁴⁾.

(1) جمع كلمة "سَجَع" وهي تدل على جمع الكثرة؛ لأنَّ صيغة "فُعول" تطرد في جميع الأسماء إذا جاء على وزن "فَعَلَ" وكان خالياً من حروف العلة نحو: شَجَنَ وشُجُون، وأسد وأسود، وسجع وسُجوع.

أمّا: أسجاع فهي جمع قلة، فجميع ما كان على هذه الصيغة ما كان على وزن "فَعَلَ" من الأسماء لا الصفات، مثل: قَلَمٌ وأقلام، وعَلَمٌ وأعلام، وسَجَعٌ وأسجاع، وزمن وأزمان: قال الشاعر:

إنَّ الحِياةَ كما شاهَدتها دَوْلٌ مَن سَهره زَمَنٌ ساءتَه أزمانٌ

انظر: الصرف للدكتور حاتم الضامن بتصرف: 256، 257، 269، 270.

(2) القائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما في الفاضل 113.

(3) الجامع الصغير 2/107.

(4) سعد بن بكر بن هوازن، منهم حليلة السعدية مرضعة النبي (ﷺ).

وأصلُ الفصاحةِ أنْ تُحمَلَ الأشياءُ على أكثرِها ممَّا اجتمعتُ العربُ على استعماله، ولذلك قيل: البلاغةُ كانت في عليّ وابن عباس وهذا العشمة⁽¹⁾.

ويقال: العشبة - يعنون أبا الأسود، وله أسٌ في الأعراب يسمو إلى طرقات الصواب.

وقال ابن عباس⁽²⁾ مُتَسَلِّياً عن نور عينيه بنور قلبٍ و عقلٍ و فصاحة:

إن يسلب الله عن عيني نورهما ففي لساني و قلبي منهما نورٌ
قلبي ذكيٌ وعقلي غيرُ ذي دخل وفي فمي صارمٌ كالسيف مشهور⁽³⁾
وحسان له قولٌ مثل ذلك⁽⁴⁾.

ولنا كتابٌ في (الفصاحة) جمعناه و يشتملُ على الأخبار عن نتائج قلوب عقلاء العرب النزاحة للفطن المياحة لها، فتؤذيها بالسن و فصاحة.

أي: تنزحُ العلومَ وتجمعُها، كما يجمعُ الماء المائحُ الماء من قعر البئر، كما قالت العربية⁽⁵⁾:

(1) العشمة والعشبه: الناقة المسنة. ويقال للرجل إذا كبر عشمة.

(2) عبد الله بن عباس بن هاشم بن عبد مناف ابن عم النبي (ﷺ)، سمع النبي وروى عن جماعة من الصحابة، روى عنه سعيد بن جبير، وسعيد بن المسيب وجماعة من التابعين، له تفسير رواه عنه مجاهد مات بالطائف (سنة 69 هـ). طبقات المفسرين 167.

(3) البيتان من البحر البسيط، وهما له في الحيوان 114/3، وعيون الأخبار 4/56، والشعر والشعراء 2/854.

(4) البيتان السابقان في ديوانه 103.

(5) جارية من بني مازن كما قال البغدادي في خزنة الأدب 6/2205.

* يا أيها المائجُ دلّوي دونكا *⁽¹⁾

أي: اجمع لي فيها الماء

وكذا ما وافق من الكلام شعر الشعراء، فقد لحق بمذاهب البلغاء. وما كان من الكلام فيه وجهان فإنما يكون ذلك على لغتين، وإنما الأعراب علامةً بمركبةٍ يسيرة لبلاغةٍ خطيرة، ولا علامة يعرفون بها ما يقصدونه، غير العلامة التي وضعها المتقدمون أيجازاً وصواباً " (24 / و) نفيساً، نحو: فتح بعضهم (حيث) وغيرهم يضمها والقياس صحيح فيهما [ف] مَنْ فَتَحَ فَمَوْضِعَ الْيَاءِ، كما قالوا: أَيْنَ وَكَيْفَ وَكَانَ حَقُّ النُّونِ وَالْفَاءِ أَنْ يُكْسَرَا، لِأَنَّ حَقَّ الْمَبْنِيِّ السُّكُونُ، لِأَنَّهُ غَيْرُ مَعْرَبٍ، وَمَنْ ضَمَّ جَعَلَهَا غَايَةً، لِأَنَّ

الذي يقع بعدها جملةً مكثفيةً بنفسها، وقد روي: حوث⁽²⁾، فَأَنَّ صَحَّتْ فَالضَّمُّ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ.

(1) هذا صدر بيتٍ من الرجز ينسب لجارية من بني مازن وعجزه :

* إني رأيتُ الناسَ يجمدونكا *

خزانة الأدب 6/205، أمالي القالي 2/244، الانصاف 1/288، شرح المفصل، 1/117، والمقرب 1/137.

(2) "حيث" ظرف مكان اتفاقاً، مبني على الضم في محل نصب، والغالب كونها في محل نصب على الظرفية نحو: "اجلس حيث تكون سعيداً"، وقد تجر (بمن) أو تحظى بالإضافة كقول زهير:

فشدّ ولم يُفزع بيوتاً كثيرةً لدى حيث ألت رحلها أم قشعّم

وقد تلحقها (ما) الزائدة فتصبحان كلمةً واحدةً نحو: "حيثما تجلسن اجلسن" فهي مبنية على السكون وهي اسم شرط جازم فعلين.

أو يختلفون في الشيء على وزنين، يبنيه هذا على بناء، ويبنيه الآخر على غيره، نحو (البكاء) يمدّه بعضهم، بناءً على فعال، وبعضهم قصره، بناءً على (فعل)⁽¹⁾ كما قال بعضهم (وَهَب) و(وَهَب) فأهل هذه اللغة يفهم بعضهم عن بعض، واللغة الأخرى كذلك.

فأي لغة أفسح وأي معانٍ أشرف وأي إعرابٍ أشرح مما خصّ الله به العرب.

وقد تفتح ثاء (حيث) فيقولون: "حيث بيتٌ" نحو: تركتُ الصحراءَ حيث بيتٌ (أي: مبحوثاً عن أهلها) اسماً مركباً مبنياً على فتح الجزئين في محل نصب حال. (وحوث) لغة. قال سيبويه: "ومنهم من يقول: ذَيْتٌ فيخفّف ففيتها إذا خُفِّت ثلاث لغات: منهم من يفتح كما فتح بعضهم: (حَيْثٌ وَحَوْثٌ). ويضمّ بعضهم كما ضمّتها العرب. ويكسرون أيضاً كما كسروا أيضاً كما كسروا (أولاء)؛ لأنّ التاء الآن إنما هي بمنزلة ما هو من نفس الحرف". الكتاب 48/2 (بولاق)، 292/3 (هارون).

(1) "البكا" سُمِعَ فِيهِ الْقَصْرُ وَالْمَدُّ، قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ فِي قَصْرِهِ وَمَدَّهُ: مِنَ الْوَافِرِ
بَكَتْ عَيْنِي وَحَقَّ لَهَا بُكَاهَا وَمَا يُغْنِي الْبُكَاءُ وَلَا الْعَوِيلُ

وقال ابن سيده الأندلسي الضريير: "والبكاء: يُمدُّ ويقصر، فمن مده ذهب به مذهب الأصوات الممدودة، ومن قصره، جعله كالحزن ولم يذهب به مذهب الصوت". وقال الجوهري: فإذا مددت أردت الصوت الذي يكون مع البكاء وإذا قصرت أردت الدموع وخروجها. ومما جاء ممدوداً يراد به الصوت والبكاء قول الخنساء في رثاء صخر: من الوافر

إِذَا قُبِحَ الْبُكَاءُ عَلَى قَتِيلٍ رَأَيْتُ بُكَاءَكَ الْحَسَنَ الْجَمِيلَا

ديوان حسّان بتحقيق وليد عرفات/341، والبيت غير موجود في ديوانه الذي شرحه الأستاذ عبد أ. مهنا وانظر المخصص 15-16/18، والممدود والمقصود لأبي الطيب الرشاء/33، وديوان الخنساء/119.

وقد روي⁽¹⁾ أن أول من ألقى الله لسانه بالعربية إسماعيل، ألهمه الله إياها إلهاماً، مُشتملاً نُطقها على فصاحة وإيجاز، وبها نزل التنزيل، وأقر الله اسحق على لسان أبيه.

فلغة إسماعيل يقصر الوصف عن كنهه مقدارها، إذ كان الله شرفه باختيارها. وكذا قال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين: أول من تكلم بالعربية إسماعيل بن إبراهيم، وهو ابن ثلاث عشرة سنة⁽²⁾.

قيل: فما كان (24/ ظ) كلام الناس قبل ذلك؟ قال: العبرانية.

وقال في قوله: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (الشعراء/ 195) قال: بلسان جرهم ورؤي عن كعب الأخبار أنه قال: أول من كتب الكتاب العربي والسرياني والحضوري⁽³⁾ والكتب كلها آدم قبل موته بثلاثمائة سنة كتبها في الطين، ثم طبخه، فلما أصاب الأرض الغرق أصاب كل قوم كتابهم فكتبوه، فكان إسماعيل أصاب كتاب العرب⁽⁴⁾. فزین الله بالكتاب صحفَه، وبالأعراب منطِقَه.

(1) الذي روى ذلك سفيان الثوري عن الرسول (ﷺ) كما في المزهري 33/1، ومثله عن ابن عباس في البيان والتبيين 3، 291.

(2) في البيان والتبيين 1/383، 3/290، وانظر: المزهري 1/34. وقال الجوهري: انظر المطبوعة.

(3) نسبة إلى (حَضُور) بفتح أوله، وبالراء المهملة، على وزن: فَعُول، موضع باليمن وفي الحديث: "كُنَّ رسول الله (ﷺ) في ثوبين حَضُورِيَّين". انظر: معجم ما أستعجم 2/90.

(4) انظر: أدب الكتاب للصولي 1/28، وأصاحبي 28، والفهرست 12.

يقال: فلان عربيّ اللسان، حسنّ العروبة والعرابة والعربيّة، ولقد عربّ منطقتك يا فلان عرابة⁽¹⁾ وفصاحة.

قيل لابن السّمّاك⁽²⁾: ما أفصح القرآن؟ قال: كلّ فصيح موجز.

قيل: أسبقه إلى قلبك؟ قال: قوله: ﴿فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ (الحجر/94) أي: ابن الحقّ من الباطل كما تقول: صدغت الثوب بنصفين. أي: أثبت أحدهما من الآخر.

وقيل مثل ذلك لأعرابي، فقال: قوله: ﴿خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ (يوسف/80) وقال: [قوله]: ﴿لَا تُقْسِمُوا طَاعَةَ مَعْرُوفَةَ﴾ (النور/53).
هذه لغة الحجاز، وهي غاية الإيجاز⁽³⁾.

وقد يقع من الأخبار ما يُعرف ثمّ يُستطرف، والله عز وجل ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة/31)، والأسماء تقع على خاصّ المخلوقات وعامّها،

(1) جاء في الصحاح: والعربُ والعُربُ واحد، مثل العجم والعجم، وعرب لسانه - بالضم - عربيّة، أي صار عربياً... والعربيّة: هي هذه اللغة أمّا العرابة فلم يذكر الجوهري أنها بهذا المعنى، - وإنما قال: وعرابة، بالفتح اسم رجل من الأنصار من الأوس - قال الخطيّة:

إذا ما راية رفعت لجدي تلقاه عرابة باليمين

والبيت في ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني في ديوانه 336. فهو ليس للخطيّة.

(2) محمد بن صبيح الواعظ الزاهد، توفي بالكوفة 183هـ، حلية الأولياء 8/203

(3) انظر تعليقي على فصاحة وبلاغة هذه الآية في كتابي: التوسّع في كتاب سيبويه/11.

وناطقها وصامتها. والله بخلقته أعرف (25/ و) فأن سحر انقيادها لأدم فهو القدير على كل الأمور والطف.

وقد تحذف العرب في كلامها من الأسماء وغيرها إيجازاً وتحقيقاً، نحو قولهم: لم يكُ و: يا حار، في الدعاء، لكثرة مثل هذا في كلامهم. فقد عُرفَ وروي أن بعض القراء⁽¹⁾ قال: كانوا لا يعرفون معنى قوله: ﴿يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ (الزخرف/ 77) حتى رأوا في قراءة عبد الله⁽²⁾:
(يامال ليَقْضِ)⁽³⁾ فَعَلِمُوا أَنَّهُ اسْمٌ مُرْخَمٌ.

(1) مجاهد بن جبير، كان من الأئمة الأعلام، قرأ القرآن على ابن عباس، وحدث عن عائشة وأبي هريرة، وسعد بن أبي وقاص وجماعة من الصحابة (مات سنة 103 هـ)، معرفة القراء الكبار 1/ 163، والقول له كما في مختصر الشواذ/ 136.

(2) ابن مسعود بن غافل بن حبيب، الإمام أبو عبد الرحمن الهذلي المكي ابن أم عبد، أحد السابقين الأولين، ومن مهاجرة الحبشة، شهد بدرًا، كان يقول: حفظت القرآن من في رسول الله (ﷺ) سبعين سورة.

قرأ عليه علقمة والأسود، ومسروق، وزر بن حبيش وغيرهم، قال عنه النبي (ﷺ): "مَنْ أَحَبَّ أَنْ يقرأ القرآن غَضًّا كما نُزِّلَ فليقرأ على قراءة ابن أم عبد.

قدم من الكوفة وافداً على عثمان، فأدركه أجله بمدينة النبي (ﷺ)، في آخر سنة اثنتين وثلاثين، وله ثلاث وستون سنة.

معرفة القراء الكبار 1/ 117-118، غاية النهاية في طبقات القراء 1/ 409.

(3) وبها قرأ ابن مسعود والأعمش ويحيى، وبها قرأ النبي (ﷺ) وعلي بن أبي طالب وقد علق ابن جني على هذه القراءة قال:

"هذا المذهب المؤلف في الترخيم، إلا أن فيه في هذا الموضع سرّاً جديداً وذلك أنهم - لعظم ما هم فيه - ضعفت قواهم، وذلت أنفسهم، وصغر كلامهم، فكان هذا من

والقرآن يَشْتَمِلُ على جميع حدود الأعراب حتى التصغير، كقوله: ﴿يَشُئِبُّ﴾. فأمّا أن لا تكون العربُ تكلّفتُ بما تكلّفهُ النحويون فلأنها كانت غنيّةً عن شرحها، لمعرفة قلوبهم بدقائق لفظها وحقائق لحظها، وذلك بفضل عطاء ربها. إذ كانت طبائعها مجبولةً على فهمها، ولم يُخالطهم من يحتاجُ إلى تقويم لسانه فيسألهم كما دعت الضرورة إلى علم الأعراب لدفع الدافعين بالتأويلات عن صحّة تنزيل حكمة ربّ العالمين.

وليس ذلك بأعجبَ ممّا أعطاه الله القيافة⁽¹⁾ من الفطن لخفيات الأثر الذي بانوا بها من جميع البشر، وصدقهم الرسول بما نُقِلَ ألينا في الخبر.

فلما تغيّرت طبائع العرب بمخالطتهم العجم وأحبّ الله تصحيح الكلام للغبي من عباده والفهم، سهّل على طائفة من الناس (25/ ظ) التماس القياس، فصرفوا به الالتباس، عمّا رامه أهل الإلباس فالزّم الله هؤلاء بجرأتهم طريقة الأنفاس، وهدى الآخرين لغاية الإيناس بالتفسّح في معرفة اللغات في إتمامها وحذفها في منظومها ونثرها.

فأمّا الحذف في الشعر، دون التمام، فهو أحوط في السّعة منه في سائر

مواضع الاختصار ضرورةً عليه، ووقوفاً دون تجاوزه إلى ما يستعمله المالك لقوله، القادر على التصرف في منطقة". المحتسب 2/304، مختصر الشواذ 136.

(1) من قاف أثره، وقفاؤه: تبعه، وهي تتبع الأثر لمعرفة صاحبه، والقائف: من يعرف الآثار جمع قافة، والمراد بها هنا تتبع ما أثر عن النبي (ﷺ) من الكلام. مختار القاموس 516.

الكلام، وأما في التنزيل فمعانيه لائحة بالتأويل لأهل التفكير والترتيل ليدبروا آياته.

والشعر يدلّ بعضه على بعض، ويروي وينشد، وقال في النثر:

فاسمع إذا حدثت وأف — هم كيف عاقبة الأمور⁽¹⁾

ويجوز للعرب تغيير البناء إلى بناء آخر، لأنّ في الشعر، من معنى، ما يدلّ على ما يُراد به، فأما المحال فلا يجوز بته. والمحال ما لا يصحّ له معنى، لو قلت في شعر: زيد قائم. في حال قعوده، لم يجز. أو: آتيك أمس. أو: جئتك غداً. لم يجز، في شعر ولا في غيره.

وإنما أدخلت العرب التنوين فيما ينصرف من الأسماء، وهو زيادة، لأنه خفّ عليهم الاسم الصحيح في الأدراج، وهم يؤثرون الإيجاز، فإذا وقفوا حذفوا. فأحبوا أن يُشبعوه لئلا يطيش به اللسان.

وثقل ما لا ينصرف لاغتلاله، فالزموه الفتح، لأنّ الفتح أخفّ عليهم. وأحبوا أن يكون كلُّ حيز من كلامهم مخصوصاً بأعراب (26/ و) لا يشبه إعراب صاحبه كما لم يصرفوا (أخر)⁽²⁾ في النكرة لأنهم عدلوه عن أصله في القياس،

(1) البيت من مجزوء الكامل من الوزن الثاني الذي تكون فيه العروض مجزوءة صحيحة والضرب مرقّل (متفاعلاتن).

(2) إذا جاءت جمع "أخرى" التي هي مؤنث أفضل التفضيل "آخر من" بمعنى: غير، مُنعت من الصرف نحو: "مررت بزینب وطالبات أخر"، ف (أخر) نعت مجرور بالفتحة عوضاً من الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف، أما إذا جاءت جمع "أخرى" بمعنى: "آخرة" والتي تقابل كلمة "أولى" فهي مصروفة (لأنها لا تكون معدولة في هذه الحالة) نحو: "مررت بزینب وطالباتٍ أخرٍ" وهي في حالتها تعرب حسب موقعها في الجملة.

وقد أدخلوا عليها الألف واللام وهي معرفة لعلّة أوجبت ذلك. كما قال الشاعر:

الحمد لله بكرة⁽¹⁾ وسحرز والتاليات والعشيات الآخر⁽²⁾

وإنما ذكرنا هذا الاحتجاج لأعراب اللغة، إذ وجدنا الإعراب مقرونا بدقيق المعاني وجليلها، يدل على معاني حروف في كتاب الله متفقه الألفاظ مختلفة المعاني، متقاربة في القول، إذ كان بلسانهم نزل. فقال عز وجل: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (الزخرف/3) والله، جل ذكره، لا يشك. وإنما: لعلنا نضربه مثلاً. لأنه في التقدير: من سمعه من غيركم ففهمه عجب من غفلتكم فقال راجياً: لعل من فهم هذا وعقله كان ناجياً.

فانزله الله جل ثناؤه بلسان عربي على قوم، عرب يفقهون ما يخاطبون به. ليس عليهم في فهمه موونة. على أن بعضهم كان أعلم به من بعض، لعلمه بأشعار العرب ولغاتها والانساح في أفنان طرق إعرابها، وكان منهم من لا يعدو لغة قومه.

فلما دخلت الاجناس في الإسلام وحدث الاستعجام وكثر فأولاً حتى

قال سيبويه وهو يسأل شيخه الخليل: "فما بال "آخر" لا ينصرف في معرفة ولا نكرة؟ فقال: لأن "آخر" خالفت أخواتها وأصلها... فلما خالفت الأصل وجاءت صفة بغير الألف واللام تركوا صرفها". الكتاب 224/3.

(1) هكذا في الأصل، ولا يستقيم بها وزن البيت ولعلها "بكوراً".

(2) البيت من بحر الرجز.

هلك أكثر أهل (26/ ظ) البدع للعجمة في فهم كتاب الله، فوجهوه في المعاني على غير وجهه، وحملوه على غير مذهبه. فقال أبو مسلم الكجبي⁽¹⁾:
 حدثنا أبو الحسن⁽²⁾ قال: سمعت إبراهيم بن عبد الله الهروي⁽³⁾ قال: أتينا سفيان بن عيينة، فسأله رجل عن الحديث في قوله: (آخر وطئة وطئها الجبار تبارك وتعالى بوج)، فقال: ويحك! ليس إلى ما ذهبت إليه هذا بعده كلام، قد ترك في الرواية إنما هو: (آخر وطاة أو طأها الجبار)⁽⁴⁾ كقوله، (ﷺ): اللهم اشدد وطائك على مضر⁽⁵⁾. فمن لم يتمهر في علم اللغات، ضل في معاني صوابها. ولزمته التبعات المهلكات قال أبو الحسن: وسمعت أبا عبد الرحمن بن عائشة⁽⁶⁾ يقول في حديث أبي هريرة عن رسول الله (ﷺ) في موسى وملك الموت، قوله:

(1) إبراهيم بن عبد الله، من كبار المحدثين، ثقة، توفي 292 هـ. تذكرة الحفاظ/ 6312، والمنتظم 50/6، وطبقات الحفاظ 373.

(2) علي بن عبد الله المعروف بابن المديني المحدث، كان الإمام أحمد بن حنبل يكتبه تبيلاً له روى إسماعيل القاضي والبخاري وغيرهما توفي 234 هـ، تاريخ بغداد 458/11، طبقات الحفاظ 184، وتهذيب التهذيب 349.

(3) من الحفاظ المتقدمين، نزيل بغداد، توفي بسامراء 244 هـ، ميزان الاعتدال 42/2، وتذكرة الحفاظ 484/2.

(4) مسند أحمد بن حنبل 4/173.

(5) صحيح البخاري 15/278، وتتمة الحديث: "اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف" والوطاة في معنى الحديثين: موضع القدم، أما ما ورد في سؤال الرجل، فهو: الجماع تنزهه الله عن ذلك.

(6) عبد الله بن محمد بن حفص التميمي، من علماء العربية، وأصحاب الحديث توفي بالبصرة سنة (228هـ)، المعارف 523.

لطمَ عينه⁽¹⁾ والعين⁽²⁾ في كلام العرب إنما هي حقيقة الشيء المقصود، يقولون: عينُ هذه القصيدة هذا البيت. وعينُ هذا الكلام هذه الخطبة. وعينُ كلِّ شيء: شاهدهُ وحاضرُه وإنما ناظرَه موسى وحاجَه، فقال: من أينَ تقبضُ روحي؟ قال: من فيك، قال: به ناجيتُ ربِّي - إعظاماً لذلك - قال: فمن أذنك، قال: بها⁽³⁾ سمعتُ كلام ربِّي.

فقوله: لطمَ عينه، أي: عينَ كلامه فأدحضَ حجَّتَه (27/ و) وكفَّ إرادته فرجع إلى ربِّه، ثم عادَ على موسى بكلامٍ احتجَّ به على موسى فردَّ به عينَ كلامه أيضاً، حتى توفاه الله، عليه السلام. فهذا مجاز الحديث.

ومعنى المجاز أنه الأخبار عن علّة الشيء، ألا ترى أنّ المختصِرَ للحديث التارك لآخره. لما قال: (لا تسبوا الدهر فإنَّ الله هو الدهر)⁽⁴⁾ أنه غير معناه عن جهته، لأنَّ في الحديث كلاماً إذا ذُكر صار لهذا الكلام تأويلٌ غيرُ ما ذهب إليه

(1) صحيح مسلم 100/7، ومجمع الزوائد 204/8.

(2) تطلق على أكثر من معنى في العربية فهي العين الباصرة، وعين الماء، والمطر أو السحاب، وحقيقة الشيء ونفسه، والجاسوس، أو الرقيب، والحسد، والذهب، أو النقد والشريف، وعين الركبة، والميزان، فهي مما اتفق لفظه واختلف معناه، وأكثر العلماء يعللون وجود المشترك في اللغة بالاستعارة والمجاز، فعندهم أن اللفظ الواحد لم يكن له غير معنى واحد على سبيل الحقيقة ثم تضمن معاني أخرى على سبيل الاستعارة والمجاز، انظر/الوجيز في فقه اللغة 389.

(3) في الأصل: بهما.

(4) صحيح مسلم 45/7، ومجمع الزوائد 204/8.

التارك لبعضه، وهو ما رواه الحميدي⁽¹⁾ عن ابن عيينة قال:

حدثنا الزهري⁽²⁾ عن ابن المسيب⁽³⁾ عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله، (ﷺ): قال الله عز وجل: (يؤذيني ابن آدم بسبّ الدهر، وأنا الدهر بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار)⁽⁴⁾ فنصب (الدهر) لأنه ظرف لقوله: بيدي الأمر. ومن حذف⁽⁵⁾ ورفع (أنا الدهر) صار الدهر أسماء من أسماً الله جل الله عن ذلك.

فإن قال قائل: قد رأينا الله عز وجل، حكى عن نوح وإبراهيم ويعقوب وموسى وعيسى حكايات كثيرة بلسان العربية، وكذا عن فرعون وهامان وقارون وسائر بني إسرائيل، ومن يعلم أنه لم يتكلموا قط بلسان العربية ولا عرفوا إعراباً، ثم كرر الحكايات عنهم في مواضع مختلفة فغير (27/ظ) ألفاظها فلم لا يجوز لنا أن نحكي عن خاطبنا بلسان العربية فنغير لفظه، إذا لم نعد

(1) عبد الله بن الزبير المكي، محدث، ثقة، توفي سنة 319 هـ، المعارف 536، تذكرة الحفاظ، 413/2، طبقات الحفاظ 178.

(2) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب أبو بكر الزهري المدني، أحد الأئمة الكبار وعالم الحجاز والأنصار، تابعي وردت عنه الرواية في حروف القرآن، قرأ على أنس بن مالك. غاية النهاية 230/2، والمعارف 472. مات سنة (124 هـ).

(3) سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي أبو محمد، عالم التابعين، وردت الرواية عنه في حروف القرآن، قرأ على ابن عباس، وأبي هريرة، وروى عن عمر وعثمان وسعيد بن زيد، مات سنة 94 هـ. غاية النهاية 1/279، تذكرة الحفاظ، 1/54، وطبقات الحفاظ/17.

(4) صحيح البخاري 202/22، الجامع الصغير 2/82، ومجمع الزوائد 8/71.

(5) يعني من حذف (بيدي الأمر) وكذلك في صحيح مسلم 7/45.

حُكْمَه ومقصدَ لفظه، إذ العربيةُ بالعربية أشبهُ من العربية بالسريانية وغيرها، وأحملُ لأنواع المعاني؟

فالجواب: إنَّ الله - عز وجل - هو مُدَهِّرُ الدهر ومنشئُه وخالق الخلق فيه، وهو مُظهِرُه ومبدئُه، وهو العالمُ بحقيقة ما يحكيه. فمحالٌ في صفته أن يحاولَ حكايةَ تَحْمَلُ أن تكون ناقصةً عن الحقِّ أو زائدةً عليه، وهذا ما لا يكونُ في صفاتنا القدرةُ على مثله ولا على ما يُدانيه. فقولُه، عز وجل حُجَّةٌ علينا إذ كنا بالتصديق معترفين غير شاكيين ولا مُرتابين، فنحنُ متعبدون بتنفيل⁽¹⁾ ما أمرنا به، وتصديق ما خبرنا عنه ودلنا عليه، ولا يعزُبُ عنه مثقالُ ذرَّةٍ ولا أصغرُ منها في سماءٍ ولا في أرضٍ ﴿ فَلَا تَصْرِيحُ لِلَّهِ الْأَمْثَالُ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل/ 74) فأخبره، عز وجل، تُحيطُ بعينِ الحقيقة، وطبائعنا تُقصرُ عن نيل تلك الطريقة.

وقد أبانَ اللهُ، عز وجل، كتابه، وأعجزَ عنه مَرَدَّةَ عبادِه مِمَّنْ التمسِ عِنادَه، كما قال: ﴿ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينِدًا ﴾ (المدثر/ 16) وقال، جلَّ ذِكْرُه: ﴿ قُلْ لِيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ ﴾ (الإسراء/ 88) من كلامهم. ثمَّ (28/ و) أخبرَ أنهم ﴿ يَأْتُوا بِمِثْلِ ﴾ (الإسراء/ 88) وإن تظاهروا، أي: تعاونوا. فجعله اللهُ لضلالِ العاصين دافعاً... دافعاً، وجعله لعباده الطائعين عِلْماً نافعا، وفي ظُلُمات الضلالات نوراً ساطعاً وفي سُدُفِ الشُّبُهات شهاباً "لامعاً". وعن مضلَّةِ المسالك رادعا وإلى منار الهدى رافعا، والى سبيلِ النجاة والحقِّ هادياً

(1) بإطاعة.

﴿ يَهْدِي بِهُ اللَّهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ (المائدة/ 16) الميين.

فقوله، ﴿يَأْتُوا بِمِثْلِ﴾ (الإسراء/ 88) أي: في حُسنِ وصفه وعذوبة منطقة وصحة معانية، وكثرة طلاوته التي لا يُخلِقُها التُّرداد، مع قرب مأخذه وبعده غوره، فلن تنقضي عجائبه، من غير تكلفٍ ولا تشقيقٍ ولا وحلٍ

ولا تعويقٍ مع تبيينه، عز وجل كلّ شيء وتفصيله له، لا ينقص في ()⁽¹⁾ في غيره كسائر الخطب، بل هو في كلّ أودية الكلام سواءً في النظام، إن أخبرٌ ولأنجر، وإن جادل حجّ وأدحض، وإن مثل وصف وأبلغ وإن عاتب نبتة وأيقظ، وإن شنع أجل، وإن أمر أحكم، وإن وعد أنفس⁽²⁾، وإن أوعده بلغ وحدّر. لا يرتطم⁽³⁾ في التخلّص من معنى إلى غيره، ولا يعتذر منه، ولا يروّي فيه كما يروّي الخطباء والشعراء، بل يجيء به في وقته ميسراً على الألسنة، كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسْتَرْزَنُهُ بِلِسَانِكَ﴾ (مريم/ 97) ((28/ ظ) ﴿وَلَقَدْ يَسْرَنَّا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ (القمر/ 17) فلا ينسى منه الناطق به حرفاً. ولا يقلّي منه شيئاً، ولا يستدرِك في إعرابه نقصاً ولا سقطاً ولا تفريطاً ولا لغطاً، مُستقبلُ معانيه كمستدبرها، قد حرس الله جمعه وقرآنه بسلطان لا يُرام، وعين منه لا تنام، وحاطه من الزائغين بركنٍ منه لا يُضام فهو كشجرة مباركة، أسفلها مُحَدِّقٌ بالاجتماع، وأوسطها مُغَدِّقٌ بالانتفاع وأعلىها مورقٌ بالارتفاع، يعلو بالبرهان ولا يُعلو بالبهتان، يأتي

(1) كلمة مطموسة.

(2) أي رغب.

(3) يقال: رطمته في الوحل رطماً فارتطم هو، أي ارتبك فيه، وارتطم عليه أمر، إذا لم يقدر على الخروج منه، الصحاح 5/ 1934 (رطم).

بالكلام من عَلٍ يَشْجُهُ نَجًّا وَيَقْتَحِمُ الْفَاطِظَةَ اقْتِحَامًا. فلا عِلْمَ بُلْغَةٍ يُوْودُهُ ولا معنى طَلَبُهُ يَفُوْثُهُ ولا جَهْلَ يُوْتِي مِنْهُ فِي إِعْرَابِهِ، ولا هَزْلَ يَقَعُ فِي خُطَابِهِ، بل يُحْتَذَى فِي إِيجَازِهِ بِالْإِشَارَةِ اقْتِدَارًا، وَيُزْدَجَرُ بِالْوَحْيِ مِنْهُ دُونَ الْإِشَارَةِ اِزْدِجَارًا، وانه لكتابٌ عَزِيزٌ ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت/ 42) أَنْزَلَ ﴿كُنْبًا مُتَشَدِّبًا مَتَانِي﴾ (الزمر/ 23).

﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ يُصَدِّقُ أَوَّلَهُ آخِرَهُ وَآخِرَهُ أَوَّلَهُ. ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء/ 82) لَأَنَّ كُلَّ كَلَامٍ لِمَخْلُوقٍ تَبَيَّنَ فِيهِ الذِّكَاةُ⁽¹⁾ وَالْوِنَاةُ⁽²⁾. وَالْقُرْآنُ مِنَ الْبَلَاغَةِ فِي نِقَابٍ وَاحِدٍ، فَلَا يَجِدُونَ فِي بَيَانِهِ مَعْرَاضًا، وَلَا فِي إِعْرَابِهِ مَلْمُزًا. (29/ و) كِتَابٌ أَنْزَلَهُ اللَّهُ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَّصِمُوا مَحِبَّلَهُ.

فلا تَهَيَّ عَلَى الْآيَاتِ دَعَائِمُهُ، وَلَا تَبِيدُ عَلَى طَوْلِ الزَّمَانِ مَعَالِمَهُ وَلَا يَحْوِرُ عَنْ قَصْدِ الْمَحْجَةِ تَابِعُهُ، وَلَا يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِ الْهُدَى مَصَاحِبُهُ، مَنْ أَتْبَعَهُ فَازَ وَهَدَى وَمَنْ حَادَ عَنْهُ ضَلَّ وَغَوَى، فَهُوَ الْمَوْتَلُ⁽³⁾ الَّذِي إِلَيْهِ عِنْدَ الْاِخْتِلَافِ يُوْوَلُونَ وَالْمَعْقَلُ الَّذِي بِهِ يَتَحَصَّنُونَ، وَحَكْمَ رَبِّهِمُ الَّذِي إِلَيْهِ يَحْتَكِمُونَ، وَفَصْلُ قَضَائِهِ بَيْنَهُمُ الَّذِي إِلَيْهِ يَنْتَهُونَ، وَحِبْلَةُ الَّذِي بِالْتَّمَسْكَ بِهِ مِنَ الْهَلَكَةِ يَعْتَصِمُونَ⁽⁴⁾، وَبِالْعُرْوَةِ الْوَثْقَى يَتَمَسَّكُونَ، فَيُرْشِدُهُمْ إِلَى مَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ، وَيُوقِّفُهُمْ لِأَثْبَتِ الْأَقْوَالِ، وَيُدَلِّهِمُ بِالْأَعْرَابِ عَلَى الصَّوَابِ، وَعَلَى مَعْنَى الْخَاصِّ مِنْهُ وَالْعَامِ،

(1) الذكاة: تمام الشيء.

(2) أي الفتور.

(3) الموتل: المنجي.

(4) إلى هنا من الطبري.

ليذكر أولو الألباب والأفهام، بقول ثقیل كقوله: ﴿ إِنَّا سَأَلْنَاكَ عَلَيْنَا قَوْلًا نَقِيلاً ﴾ (المزمل / 5)، لأن الأمر بترك الهوى يثقلُ به إلا على من اتقى ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ (النازعات / 40) لأن⁽¹⁾ الرأي والهوى معتاديان، ومن شأن الناس تسويق الرأي وإسعاف الهوى، فإذا اشتبه على المتيقظ أمران لا يُدرى في أيهما الصواب نظر إلى أهواهما عنده، فحذره فاعتظ بقول ثقیل ونبأ عظيم. ونور مبين ﴿ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس / 57).

فأحق ما صرقت إلى علمه العناية، وبلغت في معرفته (29 / ظ) الغاية والنهاية، ما كان لله، عز وجل - في العلم به والتفهم له رضى، وللعالم به إلى سبيل الرشاد هدى، أن يؤثر بعلمه معاده، ولا يدع لشهواته رشاده، بل يجعل عقله وزيره الذي يدعوه إلى الهدى، ويعصمه من الردى، ويلجم هواه عن الفواحش والمحارم، ويطلقه في الفضل والمكارم، فيبرُ بذلك سلفه، ويشيد شرفه، وينفع خلفه، تصديقاً للكتاب الذي فيه بينة ما في الصحف الأولى من أخبار أمم الأنبياء في سالف الدهور، وكل ذلك في كتاب مسطور.

وعلم ذلك لا يمكن الأنبياء، عليهم السلام، بلا مدارس، إلا بوحى من عند الله العليم، مع ما فيه من إعلام غيوب لم تكن بعد قروها كما قال الرسول عليه السلام: (فالقرآن حبل من الله وسبب، من تمسك به لم تنزع به الأهواء، لأنه الذكر الحكيم. والصراط المستقيم، لا تبلغه السنة الفصحاء، ولا يشبع منه العلماء هو الفصل ليس بالهزل، وهو الذي لما سمعته الجن لم يتهيبوا أن قالوا: ﴿ قُلْ أَوْحَىٰ

(1) من هنا إلى قوله: عنده. من كلمة للحسن البصري ستأتي في ص 138.

إِلَى أَنَّهُ أَسْمَعَ نَفَرَيْنِ لَجِينَ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ (الجن/ 1-2) مَنْ بَرَكَهُ مِنْ جِبَارِ قِصَمِهِ اللَّهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِيمَا سِوَاهُ أَضَلَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ لَهَجَ بِهِ نَفَعَهُ، وَمَنْ شَابَهَهُ بِكَلَامِهِ فَضَحَّهَ، وَأَنَّ الْعَجْزَ عَنِ كُنْهِ وَصْفِهِ لِيَقْطَعَ عَنِ الْإِطْنَابِ فِيهِ⁽¹⁾.

فَأَمَّا مَنْ سَأَلَ عَنِ قَوْلِهِ، عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (الزمر/ 55) فَقَالَ: هَلْ فِي الْقُرْآنِ حَسَنٌ وَقَبِيحٌ؟ قِيلَ: لَا، وَلَكِنَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، فَرَضَ الْحُدُودَ لِلْبَلَاةِ، وَجَعَلَ الصَّفْحَ أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى، فَمَنْ أَقَامَهَا بِحَقِّهِ فَقَدْ أَنْصَفَ، وَمَنْ صَفَحَ فَقَدْ اسْتَشْرَفَ ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران/ 134).

وَحَقٌّ لِكَلَامِ الرَّبِّ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ، أَنْ يَكُونَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْوَاضِحَاتِ مَذْكُورًا، وَيَكُونَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ مَشْكُورًا. لِأَنَّ فَضْلَ بَيَانِ مَا أُنزِلَهُ اللَّهُ مِنْ كِتَابِهِ عَلَى بَيَانِ نُطْقِ جَمِيعِ خَلْقِهِ، كَفَضْلِهِ، عَزَّ وَجَلَّ، عَلَى جَمِيعِ عِبَادِهِ، وَلَمْ يَكُنْ لِيُرْسَلَ بِرِسَالَةٍ إِلَّا بِلِسَانٍ وَبَيَانٍ يَفْهَمُهُ الْمُرْسَلُ إِلَيْهِ، لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ يَفْهَمْ الْعَبْدُ مَا خُوطِبَ بِهِ فَحَالُهُ قَبْلَ الْخُطَابِ وَقَبْلَ جَمِيعِ الرِّسَالَةِ وَبَعْدَهُ سِوَاءٌ⁽²⁾، إِذْ لَمْ يَفْهَمْ الْخُطَابَ شَيْئًا كَانَ بِهِ قَبْلَ ذَلِكَ جَاهِلًا. وَاللَّهُ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ، تَعَالَى [عَنِ] أَنْ يُخَاطَبَ خُطَابًا لَا

(1) الحديث - باختلاف لفظه - رواه ابن قتيبة في عيون الأخبار 2/ 133 عن الإمام علي رضي الله عنه وأورده أبو حيان بلا، إسناد في البحر 1/ 12 ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد 7/ 164 وبعدها، عن معاذ بن جبل، وقال: رواه الطبراني، وفيه عمرو بن واقد، متروك.

(2) في الطبري 1/ 11: وَأَنْ قَدَّرَ فَضْلَ بَيَانِهِ - جَلَّ ذِكْرُهُ - عَلَى بَيَانِ جَمِيعِ خَلْقِهِ كَفَضْلِهِ عَلَى جَمِيعِ عِبَادِهِ.

يوجبُ فائدةً لِمَنْ حوِطَ باللسان العربي المبين. لأن ذلك مدفوعٌ بقوله: ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (النحل/64) وغير جائز أن يكونَ به مُهتدياً مَنْ كانَ يُهدى إليه جاهلاً.

فقد تبينَ إذن، بما ذكرنا وبما عليه دَلُّنا، أن (30/ظ) كلّ كتاب أنزله الله على رسول من رسله، فإنما أنزله بلسان من أرسلَ إليه، وإذا كان لسان محمد - عليه السلام - عربياً، فبيّن أن القرآن عربي كقوله، عز وجل: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ (الشعراء/195) فوجب أن معانيه لمعاني كلام العرب موافقةٌ وللأفهام فاتقةٌ، وأن ظاهره لظاهر كلامهم مُلائمٌ، وأعرابه لأعرابهم مُقاومٌ، إذ كان ذلك موجوداً في كلام العرب مُستعملاً في الإيجاز والاختصار والاجتزاء⁽¹⁾ بالإخفاء من الإظهار، وبالقلّة من الإكثار في بعض الأحوال، وتصرّف المقال، واستعمال الإطالة والتّرداد والتكرار عند المواضع والأخبار، ونجمُ من مذاهب اللغة ما يوافق ما في القرآن من ذلك، فننظر هل يخرجُ أحدهما من نمط الآخر؟ بل هما في نقاب، وللقرآن الفضيلة وفيه الشواب، ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (الأنعام/59) أي في قدرٍ معلوم.

وقال الله، تبارك وتعالى: ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ۗ ﴾ (٨) عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ۗ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ. وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾ (الرعد 8-10)

(1) أي الاكتفاء.

فَعَلِمَ، عز وجل (31/ و) ما عبأه عاملون وما هم به ناطقون. سواءً منهم من استخفى بالليل أو سَرَبَ بالنهار⁽¹⁾، إلى قوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾ (الرعد/13).

والخلائق جميعاً عاجزون عن قذرة الكبير المتعال، ألا ترى بالحقيقة والتصديق أن فِطْرَ بني آدم وقواهم تُنتفي من اختراع هذا الكلام الذي لا تبلغه الأوهام، ولا يَهْتدي إليه ذوو الألباب والأفهام، أن يدعوا خَلْقَ السموات والأرضِ وَعِلْمَ الغيب، ولا خَلَقَ أنفسهم، ولا القدرة على إرادتهم، وأن هِمَّتْهم لا تعدو هِمَمَ المصنوعين الموسومين بالضعف المحتاجين إلى الغنى والترفة والصحة واللذة، ودفع القلة والدُّلة.

فطريقة القرآن وفروع مذهبِهِ، على هذه الشرائط، لا تُخْرَجُ عن الإعراب المستبين الموضح للغة المعجزة عن مثال المتكلفين، فضلاً من رب العالمين، وأيُّ شيءٍ أعجبُ من أن محمداً (ﷺ)، أمي لم يكن يتلو من قبله من كتاب، ولا يخطه بيمينه. ﴿إِذَا لَازَبَ الْمُبْطُوتُ﴾ (العنكبوت/48)، وليس بأجنبي يُنكرون معرفته فيشكون ويتمارون، فيقول قائلهم: لا ندري، لعله قد مارس أهل الكتب ودارس أهل العلم وجالس أمثالهم إلا أنه يتجاهل علينا. ألا تسمعه يقول: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ (المؤمنون/69) فأى شيء هو أعجب من أنه يتحدث خطباء قريش و شعراء (31/ ب) العرب وأهل الدراسات من أهل الكتب بأن يأتوا بمثل سورِهِ لا يشرطُ طويلةً دونَ قصيرة، حيثُ قالوا: ﴿إِنَّ هَذَا

(1) تضمين لعنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِأَيْلٍ وَسَارِبٍ بِالنَّهَارِ﴾ (الرعد/10).

إِلَّا إِفْكَ أَفْتَرْتَهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ﴿ (الفرقان/ 4) أي: تخلقه. قيل: فأتوا بسورٍ اختلقوها ﴿ وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (يونس/ 38) أي الاستعانة بهم ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (البقرة/ 23) أن محمداً تقول هذا القرآن وافتراء، وقد أنزل الله قبل ذلك ﴿ فَأَتُوا سُورَةَ مِنْ مِثْلِهِ ﴾ (البقرة/ 23).

قال لي محمد بن يزيد: كيف يُقال لِمَنْ عجزَ عن سورة: أتِ بعشرٍ؟ قلت: لعلّ الواحدة نزلت بعد العشر. قال: لا، ولكنهم قالوا في الواحدة: إنما تشتمل على أخبارٍ غائبةٍ عَنَّا، وفرائضٍ لازمةٍ لأمثالنا، فأن سألتمونا ألفاظاً خاليةً من ذلك جئنا بمثله، قيل: فأتوا بعشرٍ مُقرناتٍ عارياتٍ من المعاني، وأنتم عربٌ، فتكلفوا بأجمعكم مثلاً ما يقول محمداً وحده يتحداهم بذلك ثلاثاً وعشرين سنة. فلم يطمعوا والله، جميعاً أن يأتوا بمثل سورة، من قصار المفصل، ولا رازوا⁽¹⁾ ذلك فيدعوه كما يدع الإنسان الشيء ويتركه عجزاً عنه بعد روزه، ولو قدروا على ذلك لأتوا به حتى يُبطلوا نبوته، وقد رموه بالأباطيل، فهل دفعوه عن البلاغة في الاحتجاج عليهم بما هم عنه عاجزون، وبأعراب (32/ و) لغاتهم التي هم بها عارفون، فقد كان فرق جمعهم وشئت أمرهم وسفة أحلامهم وعاب دينهم وأسقط رئاستهم وقتل من مقاتلتهم⁽²⁾ وسبى من ذراريهم، واصطفى من أموالهم، وهم عن معارضة ما دعاهم إليه مصروفون، وذلك ليعلم أنه ﴿ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت/ 42) وأنه قرآن مجيد، وأنه علم من أعلام النبوة كبير. ألا تسمعه يقول: ﴿ أَوْلَمْ يَكْفِيهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ

(1) راز الشيء: جزيه وخبره.

(2) المقاتلة - بكسر التاء - القوم الذين يصلحون للقتال. الصحاح.

فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةٌ وَذِكْرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَطْلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾ (العنكبوت/51-52) إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذيرٌ مبين. أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم⁽¹⁾ فلولا أن القرآن من أعظم أعلام النبوة، لم يكن كافياً من الآية، لأنه لا يكفي من الآية إلا الآية.

وفي أي القرآن ما قد يدخل اللبس على من لم يعان رياضة العلوم العربية الأصيلة ولم تستحكم معرفته بتعاريف وجوه منطق الألسن السليبية. على أنه قد روي أن رسول الله (ﷺ) قال: (إن العربية ليست بأب والد ولكنّها لسان ناطق، فمن تكلم بالعربية فهو عربي)⁽²⁾ فيمكن أن يكون حثهم بذلك على الاستبصار في اللغة.

وحسبك بالقرأة⁽³⁾ من الموالي كالحسن البصري⁽⁴⁾، مولى الأزدي، وهو من اللسن⁽⁵⁾ والفهم في منزلة عليا. ويقول لفصاحته:

(1) العنكبوت/50 - 51 وما بعدها إلى آخر العبارة هو آخر قول المبرد كما نرى.
(2) لم أفق على هذا الحديث.

(3) جمع قارئ، مثل ساحر وسحرة، وماهر ومهرة.

(4) أبو سعيد سيّد أهل زمانه علماً وعملاً، قرأ القرآن على حطان الرقاشي عن أبي موسى واخذ عنه القراءة يونس بن عبيد، وأبو عمرو بن العلاء، وسلام القارئ، وقال عنه الذهبي: وهو ثقة، لكنّه مدّلس بلفظه (عن) وله مراسيل لا تُصحح، وبعضها جيد مات سنة 110 هـ.

معرفة القراء الكبار 168/1، وطبقات المفسرين 106، والظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري 13.

(5) الفصاحة.

(32/ ظ) سَبَقْتُ اللحنَ⁽¹⁾. أي كنتُ قبل تغيير الألسنة.

وفيهم الأعمشُ سليمان بنُ مهران⁽²⁾، وعاصمُ بنُ بهذلة⁽³⁾، هما قارئَا أهل الكوفة، لا يُدفعان عن علم باللغة العربية، وهما موليان لبني أسد. وكانَ عبدُ الله بن كثير⁽⁴⁾ قارئاً أهل مكة - من الأبناء⁽⁵⁾ الذين

(1) إيضاح الوقف 1/ 228، وزهر الآداب 3/ 138.

(2) الإمام العلم أبو محمد الأسدي الكاهلي الكوفي المقرئ الحافظ، أصله من أعمال الرّي، روى عن مجاهد وسعيد بن جبير وسواهما، وقرأ القرآن على يحيى بن وثاب وزر بن حبيش، قرأ عليه حمزة الزيات. مناقبه جمّة وأقوال العلماء فيه كثيرة قال عنه أبو حفص الفلاس: كان الأعمش يُسمى (المصحف) من صدقه. مات سنة 148 هـ، معرفة القراء الكبار 1/ 214-218، تذكرة الحفاظ 1/ 154، ميزان الاعتدال 2/ 224، غاية النهاية 1/ 286.

(3) ابن أبي النجود الكوفي، أحد القراء السبعة وشيخ الإقراء بالكوفة، جمع بين الفصاحة والإنقان، والتحرير والتجويد، كان من التابعين أخذ عن زر بن حبيش، وأبي عبد الرحمن السلمي، توفي 1277 هـ، معرفة القراء الكبار 1/ 204، تاريخ خليفة بن خياط (دار الكتب العلمية) 247، غاية النهاية 1/ 315.

(4) ابن عمرو الإمام أبو معبد المكي، إمام أهل مكة في القراءة وأحد السبعة، ولد بمكة سنة 45 هـ ولقي بها عبد الله بن الزبير وأبا أيوب الأنصاري وأنس بن مالك ومجاهد بن جبر وروى عنهم، وقرأ عليه حماد بن سلمة والخليل بن أحمد الفراهيدي، وعيسى بن عمر وأبو عمرو بن العلاء وهارون بن موسى. ت 120 هـ، معرفة القراء الكبار 1/ 197، وغاية النهاية 1/ 396.

(5) يريد من أبناء فارس الذين بُعثوا إلى اليمن لطرد الحبش منها، فاختلطوا بعرب اليمن، فكان أبائهم من الفرس وأمهاتهم من اليمن، انظر: الزاهر 2/ 175، وغاية النهاية 1/ 396-397.

الذين نزلوا اليمن، فصيح اللغة، صحيح العربية، ونافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم⁽¹⁾ مولى جعونة⁽²⁾ ابن شعوب الليثي خليف بني هاشم، وأصله من أصفهان. ومالك بن دينار الناجي⁽³⁾، وعاصم الجحدري⁽⁴⁾ مولى لبني جحدر. كل هؤلاء لهم أشباه ونظائر، وهم قراء الآفاق بالسنة فصيحة وعلوم صحيحة.

(1) أبو عبد الرحمن أحد الأعلام، أقرأ الناس دهرًا طويلًا، قال عنه الأصمعي: كان نافع من القراء العبّاد الفقهاء الستة، واحد من القراء السبعة، المشهورين، مات سنة 169 هـ، معرفة القراء الكبار 1/ 241، غاية النهاية 2/ 288، السبعة في القراءات 53.

(2) من ولد الأسود بن عبد شمس بن مالك من بني ليث بن بكر، و(شعوب) امرأة من خزاعة، وهي أم الأسود، وكان حليفًا لأبي سفيان. انظر: طبقات ابن سعد 5/ 61.

(3) أبو يحيى البصري، تابعي، كان يكتب المصاحف بالأجرة، وكان من أحفظ الناس للقرآن، وكان يقرأ كل يوم جزءًا من القرآن حتى يختم، قليل الحديث، ثقة، مات سنة 127 هـ. غاية النهاية 2/ 35، وطبقات ابن سعد 7/ 243، والناجي نسبة إلى ناجية أم بني سامة بن لؤي، انظر الاشتقاق 1/ 109.

(4) بن أبي الصباح العجاج وقيل ميمون أبو المجرى المقري البصري من بني قيس بن ثعلبة، أخذ القراءة عن سليمان بن قتة التيمي عن ابن باس، وأخذ عن نصر بن عاصم والحسن البصري ويحيى بن يعمر، وذكر ابن الجزري أنه روى حروفًا عن أبي بكر عن النبي (ﷺ) كان ورعًا تقيًا من عبّاد أهل البصرة وثقاتهم، وعده ابن سعد في الطبقة الثالثة من الفقهاء والمحدثين والتابعين من أهل البصرة من أصحاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ذكر صاحب الفهرست أن لعاصم كتاباً اسمه "العدد" وذكر ذلك السخاوي الكتاب تحت عنوان: (أقوى العدد في معرفة العدد) مات سنة 128 هـ.

ميزان الاعتدال 2/ 354، لسان الميزان 3/ 220، غاية النهاية 1/ 349، طبقات ابن سعد 7/ 235، الفهرست 40، جمال القراء وكمال الإقراء 1/ 190، مشاهير علماء الأمصار 94، والظواهر الصوتية والصرفية والنحوية في قراءة الجحدري البصري (28 هـ).

وقد منح الله الفصحاء والعلماء من فضل البيان وقوة الأفهام ما به عن ضمائرهم يُبينون، و به على عزائم أنفسهم يدلّون، وبالأعراب التام ينطقون، فهم كما قال الشاعر:

خلق الله من التقوى لهم صوراً والعلم أرواح البشر⁽¹⁾

فذلّل بالنطق منهم الألسن وسهّل به عليهم المستصعب، وجعلهم فيما منحهم من ذلك؛ طبقات، ورفع بعضهم فوق بعض درجات، فبين خطيب مُسيهٍ وذلق اللسان مهذب، ونحوي عن الغوامض مُعرب، ولبعيدها مُقرب، ليتضح لذوي الألباب فضل أهل التبيين والأفهام (33/و) على أهل البكم والاستعجام.

ولا ريب في أنّ أعلى منازل البيان درجة وأسمى مراتبه مرتبة ما بلغه في حاجته الميئّن عن نفسه، وأوضحه ما أفصح عن مُراد قائله، وما قرّبه من فهم سامعه، فما تجاوز ذلك المقدار، وارتفع عن وسع الأنام وعجز عن أن يأتي بمثله جميع العباد، وقد اجتهدوا في العناد، فهو - كائن حجةً وعلماً لرسل الواحد القهار، المُعطي الوهاب، كالذي كان حجةً وعلماً لمن قطع مسافة شهرين في الليلة الواحدة، بارتفاع ذلك عن وسع الأنام وتعدّر مثله على جميع العباد، وأن كانوا على قطع القليل من المسافة قادرين، ولليسير منه فاعلين، إلى غير ذلك من عطاء ربّ العالمين.

(1) البيت من بحر الرمل - لم أقف عليه.

وكما كان حجةً وعلماً لها في إحياء الموتى وإبراء الأبرص وذبي العمى الأكمه بارتفاع ذلك عن مقادير أعلى منازل طب المتطيين. وأرفع مراتب علاج المعالجين، إلى ما يعجز عنه جميع العالمين. فكذلك لا بيان أبين ولا حكمة أبلغ ولا منطق أعرب ولا منزل أعلى ولا إعراب أفصح، ولا كلام أشرف من منطق تحدى به امرؤ قوماً في زمانٍ هم فيه رؤساء في صناعة الخطب والبلاغة وقول الشعر والفصاحة والسجع والكهانة، فأخبرهم (33/ظ) أن دلالته على صدق مقالته، أنه رسول إليهم من ربهم، وحجته على حقيقة نبوته ما آتاهم به من البيان والحكمة والفرقان بلسانٍ مثل ألسنتهم، ومنطقٍ يوافق معانيه معاني منطقهم الموشح بدلائل الأعراب على بطلان الارتياب. ثم أنبا جميعهم أنهم عن أن يأتوا بمثل بعضه عجزاً، ومن القدرة عليه نقصة، فأقر جميعهم بالعجز وأذعنوا له بالتصديق وشهدوا على أنفسهم بالنقص، إلا من تجاهل منهم وتعامى واستكبر وتعاشى فحاول تكلف ما قد علم أنه عنه عاجز، ورأى ما قد تيقن أنه عليه غير قادر، فأبدى من ضعف عقله ما كان مستوراً، ومن عي لسانه ما كان مصوناً. فأتى بما لا يعجز عنه الضعيف الأخرق، والجاهل الأحق⁽¹⁾، وقد علم كذاب اليمامة أن أبين البيان وأفضل الكلام كلام رب العالمين على لسان خير المرسلين.

وقد قال، عز وجل: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ ﴾ (هود/35)

(1) إلى هنا ينتهي كلام الخزاز الذي نقله من الطبري إذ نقل - بتصرف - صفات طويلة من تفسير الطبري.

على الصفة منهم ﴿فَعَلَىٰ إِجْرَامِي﴾ (هود/35) وقد علم، عز وجل، أنه لم يفتريه، ولكنه على التويخ لهم، والتحذير عاقبة التكذيب.

وقول الله في كتابه (34/و): ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكِّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقرءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ (يونس/94) وقد علم أنه، عليه السلام، غيرُ شكٍّ لكنه إرشاد لمن شكَّ، كقولك: إن كنت جاهلاً فاسأل، وقد تعلم أن الحجّة عليه فقد ذكرنا من اتّسع اللغة والتفسّح فيها ما تفهمه، والتوقف عليه يتسع به الكاتب في كتابته وانتزاعاته، والشاعر في رصانته وبلاغته، والعالم في مخاطباته وتذكية قريحته، ويستدلُّ به المُسترشِدُّ على كثيرٍ غوامض المعاني وحسن الألفاظ والمباني، وعلى فتق الأذهان والاحتراس من الخطأ، أو التحصن من الزلل، ومن تمويه أهل العِلل والجدل. فقد خلق الله جوارح البشر، فدَلَّ بآياتها على عظيم النعم، وأجرى بهنَّ تحريرَ القلم، بالفصيح من الكلم، فيما أبرمَ وحتَمَ وبراَ وحكَمَ.

فأحسنُ القصص؛ القرآن. وأقبحُ العمى عمى القلب عن البرهان، وشرُّ المعذرة عند الفوت، ومن أعظم الخطايا اللسانُ الكذوب⁽¹⁾. لأنَّ قوله، عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكٰذِبُونَ﴾ (النحل/105) إشارة إلى قريش. كأنه قال: إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله، وأولئك الذين كذبوك هم الكاذبون. فأشار به (أولئك) إلى معهودين عنده. (34/ظ) كأنه قال: إنما هذا من صفة الذين لا يؤمنون بآيات الله وأنت تؤمن بها، وهم لا يؤمنون بها، فأولئك الذين كذبوك هم أولى بالكذب الجالب للبلوى.

(1) هذه العبارة من خطبة لابن مسعود في البيان والتبيين 57/2 .

و(خيرُ الزَادِ التقوى)⁽¹⁾ و(رأسُ الحكمةِ مخافةُ الله)⁽²⁾ و(أفضلُ ما ألقى في القلبِ اليقينُ)⁽³⁾ والارتيابُ من الكفر، وملاكُ الأمرِ خواتمه⁽⁴⁾.

فأما ما روي: أنَّ ابنَ عباس قال: ما من لغةٍ ولا لسانٍ أعجمي ولا عربيٍّ إلا في القرآنِ إلا أنَّ الله، جلَّ ذكره، ترجمه عربياً، لأنَّ القرآنَ قد عبَّر بالعربية عن أقاويل الأمم، وحقيقة مذهبهم في اعتقاداتهم و خفياتِ إضماراتهم، وهم غيرُ عربٍ، ولكنَّ المخبرَ عنهم عالمٌ بما بعدَ منها وأقرب.

ويُقاربُ ذلك ما روته الرواةُ و حكتهُ من ألسِن الضواحي: أنَّهم يتكلمون بجرّوف موافقة لكلام العرب في اللفظ والمعنى، والقرآن يعضدُ ذلك.

زعموا، وهم رواة العربية، منهم أبو جعفر⁽⁵⁾ عن ابن الكلبِيِّ عن أبيه عن عطية⁽⁶⁾ عن علي بن أبي طالب، قال: نزلَ القرآنُ بلغةِ قريش وبلغاتِ جميع العرب، فثبتَ الله بالقرآن ما اختلفَ فيه من اللغات.

(1) حديث نبوي في الجامع الصغير 8/2.

(2) حديث صحيح. انظر: الجامع الصغير 21/2.

(3) حديث في الجامع الصغير 8/2: ضعيف.

(4) من خطبة لأبن مسعود في البيان والتبيين.

(5) محمد بن أبي السري الأزدي، وأسم أبي السري سهل بن بسام وكنية محمد؛ أبو جعفر روى عن هشام بن محمد الكلبِيِّ مصنفاً، وعن إسحاق بن يوسف الأزرق، حدث عنه أبو سعيد السكري، ومحمد بن خلف المرزبان. تاريخ بغداد 314/5.

(6) ابن سعد بن جناده العوفي الكوفي من التابعين، ضعفه النسائي. الباب 2/364، وميزان

قالا: لما قرأت العرب على النبي، (ﷺ)، بلغاتهم، قال: (أنا أعربكم أنا قرشي ونشأت في (35/و) سعد بن بكر) (2) وهؤلاء الرواة أشكال. وروى المعيطي (3) عن الأجلح (4).
عن أبي الزبير (5) عن ابن عباس وغيره عن سائر الأمم. فسموا منهم:
الخط (6)،

- (1) أبو بكر المدني، شيخ الوافدي، قال عنه الإمام أحمد بن حنبل: كان يضع الحديث مات سنة 162 هـ. ميزان الاعتدال 3/596، والجرح والتعديل 3/306.
- (2) الجامع الصغير 1/107، وقد صححه السيوطي.
- (3) الوليد بن هشام من المتقنين، روى عن معدان وأم الدرداء، وروى عنه ابن عيينه والاوزاعي، ثقة. الجرح والتعديل 4/20، ومشاهير علماء الأمصار 184.
- (4) يحيى بن عبد الله أبو جُمَيْة الكندي الكوفي، روى عن الشعبي، مات سنة 145. الجزم والتعديل 4/163، وطبقات ابن سعد 6/35، وميزان الاعتدال 1/78، والأجلح من الهوادج: الذي ليس له رأس مرتفع، والأجلح: فوق التزع، وهو المحسار الشعر عن جانبي الرأس، أوله التزع، ثم الأجلح ثم الصلح، وقد جليح الرجل - بالكسر - فهو أجليح بين الأجلح. الصحاح مادة (جَلَح).
- (5) محمد بن مسلم بن تدرُس المكي، التابعي الحافظ، ثقة، مات 128 هـ. تهذيب الأسماء 2/232، ميزان الاعتدال 4/37، طبقات الحفاظ 50.
- (6) بفتح أوله وتشديد ثانيه، ساحل ما بين عُمان إلى البصرة، ومن كاظمة إلى السَّر. قال سلامة بن جندل يذكره، من البسيط:
حتى تُركنا وما تُثنى ظعننا
ياخذن بين سوادِ الخطِّ فاللُوبِ

قال الخليل: فإذا نسبت الرماح قلت: خطية بكسر الخاء.
قال أحمد بن محمد الهروي: إنما قيل (الخط) لقري عُمان، لأن ذلك السيف كالخط على جانب البحر بين البدو والبحر.
وقال ابن الأنباري: يقال لسيف البحرين خط.
معجم ما استعجم 2/130، واللسان خطط).

والبَدَّ⁽¹⁾، والأَسَدَّ⁽²⁾، والسَّغْدَ⁽³⁾،

(1) هكذا وردت، والبَدَّ في اللغة مثلته، فالْبَدُّ بالفتح: التعب، والبَدَّ بالكسر: المثل، وهما بَدَانٍ، والبَدَّ أيضاً: التَّظِيرُ، يقال: ما أنت لي ببديدٍ فتكلمني. والبَدُّ بالضم: العوضُ، وقال ابن دريد: البُدُّ: الصَّمُّ نفسه الذي يُعبد لا أصل له. فارسيّ معرَّب بُت، وقيل: البُدُّ: بيت الصَّمِّ، والتصاوِير وهو أيضاً مُعَرَّب، والبَدُّ أيضاً النصيب من كل شيء. وقولهم: (لا بُدَّ) اليومَ من قضاء حاجتي أي: (لا فِرَاقَ) منه، وقيل: لا بُدَّ منه: لا محالة منه. أقول: ولعل هذه الكلمة مصحفة عن: (البَدَّ) بالذال. قال عنها البكري: (البَدُّ) بفتح أوله وتشديد ثانيه، على وزن (فَعَلَ) وهو اسم حصين بابك بأذريجان - قال أبو تمام: بأرض البَدِّ في خيشوم حربٍ عقيمٍ من وشيك ردى ولودٍ

تاج العروس، ولسان العرب، الصحاح، مادة (بدد)، ومعجم ما استعجم 217.

(2) وهو (خطُ بالحِميري) مخالف لخطنا هذا، كانوا يكتبونه أيام ملوكهم فيما بينهم، قال أبو حاتم: هو في أيديهم إلى اليوم باليمن، وفي حديث عبد الملك: (أَنَّ حَجْرًا وُجِدَ عَلَيْهِ كِتَابٌ بِالسُّنْدِ). قال هي كتابة قديمة، وقيل: هو خط حَمِيرٍ، وقالوا: المُسْنَدُ: كلام أولاد شيت، قاله ابن جني في سر الصناعة. تاج العروس / (سند).

(3) السُّغْدُ، بالضم، بساينُ نزهةٌ وأماكنٌ متميزةٌ بِسَمَرِ قَدِّ، وهو أحدُ مُتَنَزِّهَاتِ الدُّنْيَا على ما حكاه المؤرخون... و(سُغْدُ) الرَّجُلُ، كَعُنِي: وَرَمَ. تاج العروس (سغد). وذكر الجواليقي أن (السُّغْدَ): جيل من الناس يقال بالسين والصاد، قال شقيق بن سُلَيْكٍ الأَسدي:

=

والسُّنْدُ⁽¹⁾ والعبرية، وتُنُوخ⁽²⁾، والرَّس⁽³⁾، والصابئة، والحبش، والخورانية⁽⁴⁾،

وخافت من جبال السُّنْدِ نفسي وخافت من جبالِ خَوارِزْمِ

ولم يرتضِ محقق المعرب بهذا الكلام، فذكر أن في هذا التعريف تساهلاً، فعنده إن (السُّنْد) و (الصغد) مكان، وليس جيلاً من الناس، قال ياقوت في الصادر: (كورة عجيبة قصبته سمرقند) وقال في السين: (ناحية كثيرة المياه نظرة الأشجار، متجاوية الأطيوار، مؤنقة الرياض والأزهار، ملتفة الأغصان، خضرة الجنان.... وفيها قرى كثيرة بين بخارى وسمرقند). انظر المعرب 197 بتحقيق العلامة أحمد محمد شاكر.

(1) بالكسر: بلاد معروفة، وعليه الأكثر، وقال بعضهم: بلاد بين الهند وكرمان وسجستان. والسُّنْد: نهرٌ كبيرٌ بالهند، وهو غير بلاد السُّنْد، والسُّنْد: ناحية بالأندلس. تاج العروس (سند).

(2) قبيلة من اليمن، مأخوذة من قولهم: (تُنَخ بالمكانِ تُنُوخاً) بالضم، ومنه سُمِّيت (تُنُوخ) كصبور، ومن شدد فقد أخطأ.

قال ابن قتيبة في المعارف: تُنُخٌ وتُمير وكَلْب، ثلاثهم إخوة. تاج العروس (تُنُخ).

(3) الرَّس: بفتح أوله، وتشديد ثانية: وادٍ بنجد، والرَّس المذكور في التنزيل: بناحية صَيْهَد، من أرض اليمن.

أما: الرَّسَّيس، بضم أوله، على لفظ تصغير رَس: ماء محدد في رسم ضَرِيَّة: قال زهير في الرَّسِّ والرُّسَّيس:

لِمَنْ طَلَّلَ كَالوحي عافٍ مَنازِلُهُ عَفَا الرَّسُّ مِنْهُ فَالرُّسَّيسُ فَعَاقِلُهُ

وقالوا: الرَّسِّ والرُّسَّيس واديان فيهما نخل. معجم ما استعجم 2/248.

(4) نسبة إلى (خَوَزَان) بالفتح، وهو كُورَةٌ عظيمة بدمشق وقصبتها بُصْرَى. تاج العروس (حور)، ومعجم ما استعجم 2/105.

والضاحية⁽¹⁾، فنذكر ما وصفوه من ألفاظهم وما أرادوا به من معانيهم المشاكلة لما في القرآن، والله أعلم بصحة ذلك. لأنهم أجازوا في لغة بعضهم:

الله الحنان وأن أمية⁽²⁾ قال:

حناني ربنا وله عنونا نعاتبه لئن نفع العتاب⁽³⁾.

وأنه جمع (الفلك) فقال:

تجري الفلوك كأنها عن مهلك فزل عنه ذو غوارب مزيد
وإنما يجيء (الإيل) و (الفلك) في القرآن على لفظ واحد في
توحيده وجمعه⁽⁴⁾ وله قياس مطرد. فمن كلام الحبش، زعموا:

(1) البادية، وضاحية كل شيء: ناحيته البارزة، يقال: هم ينزلون الضواحي، ومكان ضاح،
أي بارز. وفعل الأمر ضاحية، أي علانية. الصحاح/ مادة (ضحا).

(2) ابن أبي الصلت، وقد ترجمت له.

(3) البيت من البحر الوافر، وغير موجود في ديوانه، ولكن له قصيدة على نفس الوزن
والروي يحكي فيها حديث العرب في الديك والغراب والحمامة، إذ يروى أن الديك كان
نديماً للغراب، وأنهما شربا الخمر عند خمّار، ولم يعطياه شيئاً، وذهب الغراب ليأتيه
بالثمن حين شرب ورهن الديك فخاس به، أي: غدر به، فبقي محبوساً. وفي ذلك يقول
أمية بن أبي الصلت:

بأية قام ينطق كل شيء وخان أمانة الديك الغراب

وأرسلت الحمامة بعد سبع تدل على المهالك لا تهاب

ثلّمس هل ترى في الأرض عيناً وغبتها من الماء العباب

أمية بن أبي الصلت، حياته وشعره 156.

(4) حكى سيبويه: هذا من أبل الناس، أي أشدهم تأثقاً في رعية الإبل وأعلمهم بها. قال:

(الأوَاه) ⁽¹⁾: الدَّعَاءُ. و(القَسْوَرَة) ⁽²⁾: الرُّمَاءُ.

ولا فِعْلٌ لَهُ.

أما (الفُلُكُ) فقد قال عنه سيبويه: (... وقد كُسِرَ حرفاً منه على (فُعَلٍ) كما كُسِرَ عليه (فَعَلٌ) وذلك قولك للواحد: هو الفُلُكُ فتذكّر، وللجميع: هي الفُلُكُ، وقال الله عز وجل: ﴿ فِي الْفُلْكِ الْشَّحُونِ ﴾ (الشعراء/ 119) فلما جَمَعَ قال: ﴿ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ ﴾ (البقرة/ 164) كقولك: أَسَدٌ وَأَسَدٌ. معجم الجموع التي لا مفرد لها/ 100، وكتاب سيبويه 577/3.

(1) يقولون عند الشكاية: أَوْهٌ من كذا، ساكنة الواو، إنما هو توجُّعٌ... وربما قلبوا الواو ألفاً فقالوا: آه من كذا، وربما حذفوا مع التشديد - الهاء - فقالوا: أوٌ من كذا بلا مدّ، وبعضهم يقول: آوَةٌ بالمدّ والتشديد وفتح الواو ساكنة الهاء لتطويل الصوت بالشكاية، وربما أدخلوا فيه التاء فقالوا: أوّاء، يُمَدُّ ولا يُمَدُّ ذكر السيوطي أنها حبشية أو عبرية. الصحاح (أوه)، والمعرب والدخيل/ 53 وبهذا فهو عربي بناءً على ما ورد في الصحاح.

(2) الأَسَدُ، لغلبته وقهره (كالقَسْوَرِ)، كجَعْفَرٍ وفي التنزيل العزيز: ﴿ كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَفِيرَةٌ ﴾ (المدثر/ 50-51).

قال ابن سيده: القَسْوَرُ والقَسْوَرَةُ: اسمان للأسد والقَسْوَرَةُ: نصف الليل، وتأتي بمعنى (نبات سُهلي) يطول ويعظم وهي من الفعل: قَسَرَهُ على الأمر، يَقْسِرُهُ قَسْرًا: أكرهَهُ عليه وبذلك فلا حجة لمن يقول انه من كلام الحبش أو غيرهم ما دام ورد في أفصح كتاب كتاب الله.

وقيل في قوله تعالى: (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) المراد به: الرُّمَاءُ من الصيادين، وخطأه الزبيدي. انظر الصحاح/ (قَسَرَ).

و(الفردوس)⁽¹⁾: البستان. و(حَرَم)⁽²⁾ بمعنى: وجَب، تكَلَّمت به الحبشة.

ومن كلام السُّغد - بأطراف خراسان - : (الغسلين)⁽³⁾: الصديدُ من الأجساد و(الغساق)⁽⁴⁾: البردُ الشديد.

(1) الفِرْدَوْس، بالكسر: الأودية التي تُنبت ضرورياً من التبت، وعبارة المحكم: هو الوادي الخصب عند العَرَب، كالبستان. وقال الزجاج: حقيقة الفردوس أنه: البستان الذي يجمع كلَّ ما يكون في البساتين قال: وكذلك هو عند كلِّ أهل لغة. واختلفَ في لفظه الفِرْدَوْس، فقيل: (عربية) وهو قول الفراء أو (رومية) نقلت إلى العربية، نقله الزجاج وابن سيده، أو (سُرْيانية) نقله الزجاج أيضا.

تاج العروس (فردس) وانظر: المعرب/ 240.

(2) ذكر ذلك النحاس في إعراب القرآن 79/3 عن ابن عباس (وجب) وكذلك في الإتيان للسيوطي 111/2.

(3) هو ما أُغسِلَ من لحوم أهل النار ودمائهم، وزيد فيه الياء والنون كما زيدَ في (عَفْرَيْن) قاله الاحفش. الصحاح (عَسَل).

(4) ضَعَف الجواليقي قول مَنْ يزعم أن (العُسَّاق): البارد المنبتُ بلسان التُّرك، وقيل: هو (فَعَالٌ) من (غَسَقَ يَغْسِقُ) فعلى هذا يكون عربياً.

قال ابن قُتَيْبَة: لم يكن أبو عُبَيْدَة يذهبُ إلى أن في القرآن شيئاً من غير لغة العرب، وكان يقول: هو اتفاق يقع بين اللغتين. أو تكون الكلمة في الأعجمية منقولة عن العربية، والقرآن كتابٌ عربي خالص لم يذكر فيه حرف غير عربي إلا الأعلام، فقول أبي عبيدة هو الصواب، وهو الذي قاله الشافعي ونصره أقوى انتصار، وأنكر على مخالفه أشد الإنكار. المعرب/ 235.

و(الطور)⁽¹⁾: الجبل. و(القدوس)⁽²⁾: الطاهر. و(لم يطمئنه)⁽³⁾ أي: لم يمسهن. (35/ظ) و﴿قَدَمَدَمَ عَلَيْهِمَ رَبُّهُمْ يَذَّيْبُهُمْ﴾⁽⁴⁾ (الشمس/14) أي: جمعهم في الهلاك. و(يحموم)⁽⁵⁾: دخان النار و(الليثة)⁽⁶⁾: العجوة من النخيل. وهي عندهم: الكريمة. و(المسيح)⁽⁷⁾: العابد. ومن كلام

(1) والطور: الجبل، والطور: فناء الدار. فالطورة، والطور: جبل قرب أيلة، وهو بالسريانية طورى، والنسب إليه طورى وطورانى، ويضاف إلى سيناء في قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ﴾ (المؤمنون/20). وذكر الجوهري معاني أخر كثيرة. تاج العروس (طور).

(2) بالضم والتشديد: (من أسماء الله الحسنى) ويُفتح عند سيويه وبه قرأ زيد بن علي: ﴿أَلَمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ (الحشر/23). والقدوس، أي: الطاهر، قال ثعلب: كل اسم على (فَعُولٍ) فهو مفتوح الأول (غير قدوس، وسُبوح، ودُرُوح) هؤلاء الثلاثة، هكذا استثناها ثعلب.

تاج العروس (قدس)، وشرح الفصيح في اللغة (لابن الجبّان) 209.

(3) وبذا فسره ابن منظور في اللسان (طمّث) عن ثعلب، وقال السيوطي: لم يذُنْ منهن، اللسان (طمّث) والإتقان 38/2.

(4) ذَمَدَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ؛ أي: أهلكهم. قاله الجوهري في الصحاح (دمم).

(5) قال الجوهري: واليحموم: اسم فرس النعمان بن المنذر... واليحموم أيضاً: الدخان.

الصحاح/حم

(6) الليثة؛ يعني النخل بلغة الأوس، اللغات/46.

(7) اختلف العلماء في لفظة (المسيح) فقال بعضهم سريانية، وأصلها: مَشِيحا، بالشين

المعجمة، فعربتها العرب، وكذا ينطق بها اليهود، كما قال أبو عبيدة.

ومن قال انها عربية فقد اختلفوا في مادتها، فقيل: من س ي ح، وقيل من م س ح،

فقال الأولون: (مفعول) من ساح يسبح، لأنه يسبح في بلدان الدنيا وأقطارها... وقال

=

السريانية والعبرية: (صِرْهَنْ)⁽¹⁾: شَقَّقْهُنَّ. و(القيوم)⁽²⁾: الدائم. و(سُبْحان)⁽³⁾: تعجَّب. و(سينين)⁽⁴⁾: الشجرُ المجتمع. و(سينا)⁽⁵⁾: جمعُ الشجر. و(الرباني)⁽⁶⁾: العالم الفقيه. و(عزروه)⁽⁷⁾: أعانوا، تكلمت به خمسة ألسن من

الأخرون: مَسِيحٌ مُشْتَقٌّ مِنْ مَسَحَ إِذَا سَارَ فِي الْأَرْضِ وَقَطَعَهَا؛ فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ. وَقَدْ ذَكَرُوا لَهُ مَعَانِي كَثِيرَةٌ أُخْرَى.

تاج العروس / مسح / .

(1) قال السيوطي إنها بالنبطية. الإتيان 2/ 114.

(2) قال أبو عبيدة: (القيوم: القائم وهو الدائم الذي لا يزول، وهو (فيعول) وقد سبق أن ذكرنا ما حصل فيه من إعلال. انظر: مجاز القرآن/ 78.

(3) مصدر، معناه التنزيه، فقولك: سُبْحَانَ اللَّهِ يعني تنزيهاً لله عن كل ما ينبغي له أن يوصفَ به، ولا يُستعمل إلا مضافاً، ويُعرب مفعولاً مطلقاً لفعل محذوف تقديره: أُسَبِّحُ مَنْصُوباً بِالْفَتْحِ الظاهرة ومنه قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ (الإسراء/ 1) قال سيبويه: تحت باب ما ينتصب من المصادر بأضمار، الفعل المتروك إظهاره. قال: وذلك قولك: سُبْحَانَ اللَّهِ... كأنه حين قال: سُبْحَانَ اللَّهِ قال تسبيحاً... فنصبت هذا على أُسَبِّحُ اللَّهَ تَسْبِيحاً... فهذا بمنزلة سُبْحَانَ اللَّهِ... وَخُزِلَ الْفِعْلُ ههنا؛ لأنه بدلٌ من اللفظ بقوله: أُسَبِّحُكَ. الكتاب 1/ 322.

(4) قال الاخفش: سينين: شجر، وأحدتها، سينينة، وقيل: هو الحسن بلسان الحبشة. الصحاح (سين)، والمهذب 113.

(5) في الصحاح (سين): سيناء وهي شجرة.

(6) المثلثة العارف بالله تعالى. وقال سبحانه ﴿كُونُوا رَبَّيْنَ﴾ (آل عمران/ 79). وَرَبَّتُ الْقَوْمَ: مَسْتَهْمٌ، أَي كُنْتُ فَوْقَهُمْ... وَالرَّبِّيُّ: وَاحِدُ الرَّبَّيْنِ، وَهُمُ الْأُلُوفُ مِنَ النَّاسِ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ﴾ (آل عمران/ 146). الصحاح / ربب / .

(7) العزْرُ، وَالتَّعْزِيرُ: ضَرْبٌ ذُوْنُ الْحَدِّ، لَمْنَعِهِ الْجَانِي عَنِ الْمُعَاوَدَةِ، وَرَدَّعِهِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ قَالَ:

العرب والسريانية، وكذا أكثر الأمم تكلموا بها. و(صديقة)⁽²⁾: لا تُريد الرجال. و(الربانيون) الفقهاء و(الأخبار)⁽³⁾: هم بنو هارون. و(كهلاً) حليماً. ويقال: يكون تقياً في صِغره، وكهلاً في حلمه [و] كلامه.

الصحاح/ربب/.

(1) العزْرُ، والتعزيرُ: ضربٌ دُونَ الحَدِّ، لمنعه الجاني عن المُعاودة، وردعه عن المعصية قال: وليس بتعزيرِ الأمير خَزَائِمَةٌ على إذا ما كُنْتُ غَيْرَ مُرِيبٍ أو هو أشدُّ الضَّرْبِ... والتعزير لغة من أسماء الأضداد، لأنه يُطلقُ على التّفخيم والتّعظيم، وعلى أشدِّ الضَّرْبِ، وعلى ضربِ دُونَ الحَدِّ، كما صرّح به الإمام أبو الطّيب في كتاب الأضداد وغيره من الأئمة، كما نقله عن الجوهري. والتعزير: الاعالة كالعزْر، يقال: عَزَرَهُ عَزْرًا، وعَزَرَهُ تعزيراً أي: أعافه. وقالوا فيه غير ذلك.

قرأ عاصم الجحدري البصري (ت 128 هـ): وَعَزَرُوهُ، بالتخفيف، بمعنى: أثنوا عليه ومدحوه، وحكى أبو حيان عن الزمخشري أنه قال: (منعوه حتى لا يقوى عليه عدو). انظر تاج العروس (عزْر)، والظواهر الصوتية والصرفية والنحوية في قراءة الجحدري البصري (ت 128 هـ) وهو كتاب للمحقق / 77.

(2) قال ابن الجوزي وفي قوله: (وأُمُّه صِدِّيقَةٌ) ردُّ على من نسبها من اليهود إلى الفاحشة .

زاد المعاد 2/ 404

(3) هكذا قال أبو حيان في البحر المحيط 3/ 491 عن الزمخشري.

و ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ (الفرقان/ 63) أي: حُلْماء. و(الحواري):
 القصار وهم الأنصار في الدين. وقال ضابيء⁽¹⁾ البرجمي في ذلك:
 فكرٌ كما كرَّ الحواريُّ يبتغي إلى الله زُلْفَى أن يشدَّ فيقتلا⁽²⁾
 ومن كلام الروم: (القِسْطاس)⁽³⁾: الميزان. فأما (القِنْطار)⁽⁴⁾ فشاركتهم فيه
 وفي معناه أُمم. فتفسيره عند أهل رومية: ملءٌ جلدٍ ثورٍ ذهباً أو

(1) ابن الحارث بن أرطاة، من بني غالب بن حنظلة التميمي البرجمي، شاعر مخضرم خبيث
 اللسان، أدرك الإسلام، وعاش أيام عثمان، وكان ضعيف البصر مولعاً بالصيد، حبسه
 عثمان، وهو صاحب البيت المشهور:
 وَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلَةً فَآتِي وَقِيَارًا بِهَا لَغْرِيْب.

خزانة الأدب 323/9، والأعلام 212/3، ومعجم الشعراء المخضرمين والأمويين 217.

(2) البيت من البحر الطويل وهو من قصيدة له في الاصمعيات 183.

(3) القِسْطُ، بالكسر: العدلُ، والقِسْطُ: القِسْمُ من الرزق... وتأتي بمعنى: الكوز عند أهل
 الأمصار. وقِسْطٌ يَقْسِطُ من باب "ضَرَبَ يَضْرِبُ" قَسْطًا، بالفتح وقِسْطًا بِالضَّمِّ: جَارَ
 وَعَدَلَ عن الحقِّ، وهو عطفٌ تفسيري، لأنَّ العدلَ عن الحقِّ هو الجَوْزُ... ففي العدلِ
 لُغْتَان: قَسْطٌ وَأَقْسَطٌ، وفي الجورِ لُغَةٌ واحدةٌ قَسْطٌ بغيرِ ألف، ومنه قوله تعالى:
 ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ (الجن/ 15). قال الفراء: هم الجاثرون الكفار.

والقِسْطَانُ... (قوسُ الله) ويُقال أيضاً: (قوسُ المزن) وهي خِيوطٌ تحيطُ بالقَمَرِ وهي
 من علامات المطر، والعامّة تقول: قَوْسٌ قَزَح. قال أبو عمرو: وقد نُهي أن يُقال ذلك.
 ولم يذكر الزبيدي كلمة القسطاس في كتابه.

تاج العروس (قسط).

(4) معروف النون فيه ليست أصلية، واختلفوا فيه، فقال أبو عبيدة: ملءٌ مسكٍ ثورٍ من
 ذهب، وقال قوم، ثمانون رطلاً من ذهب، وقال الجواليقي، احسب أنه معرب. وقال
 محقق المعرب الأستاذ العلامة أحمد محمد شاكر إنَّ (لفظة القنطار من الألفاظ القرآنية ورد

- حُيِّتَ عَنَّا أَيُّهَا الْوَجْهُ ولغريك البغضاء والنَّجْهُ⁽¹⁾
 وقال جذيمة الرياحي: ⁽²⁾
 أتينا وجهه والمرء يودي لوجه المرء ذي الخلق الركيك⁽³⁾
 وقال:
 إن ضرب البراض وجه ابن على حنق تآبي قريش خزيها⁽⁴⁾

في سورة آل عمران في الآية/14: ﴿وَأَقْنَطِيرِ الْمَقْنَطَرَةِ مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ﴾ (آل عمران/14)، وفيها في الآية/75: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ (آل عمران/75)، وفي سورة النساء/20: ﴿وَأَتَيْتُمُوهُنَّ قِنطَارًا﴾ (النساء/20) فهو من الكلمات العربية الخالصة ليس فيه شيء من العجمة وهذا ما أميل إليه. المعرب 269.

- (1) البيت من البحر الكامل، وهو غير منسوب في تهذيب الألفاظ 442، وآمالي القالي 168/1، وأخبار النحويين البصريين 62، والصحاح واللسان (نجه) والعجز وحده في مجالس ثعلب 1/173.
 (2) لم أقف على ترجمة له.
 (3) البيت من البحر الوافر.
 (4) البيت من البحر الطويل، وهو للبراض أحد فتاك العرب في الجاهلية واسمه رافع بن قيس وأما ابن جعفر فهو: عروة بن عتبة الكلابي، ويُلقب بالرحال، قتله البراض في خبر يطول ذكره، وكان ذلك سبباً لحرب الفجار التي كانت بين قريش ومن معها من كنانة، وبين قيس عيلان، وكانت الدبرة على قيس.
 والبراض، ككئان، الذي يُنبئ الشيءَ وبه فُسر قول الشاعر، ولعله هو:

أي: من أجل ذلك امتنعت من أكل سخيتها. وقد تقدم من ذكر [معاني] الوجه ما فيه كفاية.

و(الوراء)⁽¹⁾ عندهم: القدام. كما قال لبيد:

إن وراءك يوماً أنت بالغة لا حاضرٌ مُفليتٌ منه ولا بادٍ⁽²⁾

ومن كلام أهل الجزائر: ﴿عَلَيْتِ﴾⁽³⁾ (المطففين/18): أعلى البنيان. و(مُخَلَّدُونَ) مُسْحَلُونَ: كما قال شاعرهم في ذلك:

كأئمة فوق اللبان خُلدٌ ياقوته كالشُرر الموقد⁽⁴⁾

وقد كنت برأضاً لها قبل وصلها فكيف ولزت حبلها بجبالي.

انظر: المحبر 195، ومقاييس اللغة 220، وتاج العروس (برض).

(1) قال الأصمعي: ووراء: خلف، ووراء، قدام، قال الله جل ثناؤه: ﴿وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ﴾ (الكهف/79) أي: قدامهم، ومثله قال السجستاني، وذكر أن ابن عباس قرأ: (وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِيَةٍ صَالِحَةٍ غَضَبًا). قال لبيد:

اليس ورائي إن تراخت منيئي لزوم العَصَا تُخنى عليها الأصابع.

انظر: ثلاثة كتب في الأضداد 20، 82، وديوان لبيد (تح الطباع/80).

(2) لم يرد في ديوانه، ولكنه ورد البيت السابق كما أشرنا إلى موضعه من الديوان والبيت المستشهد به ورد في ديوان عبيد بن الأبرص/49، بلفظ (أمامك... مدركه..) ولا شاهد فيه حينئذ.

(3) (المطففين/18)، قال أبو حيان في البحر المحيط 8/422، بأنه: جمع واحده (على)، مشتق من العلو، وهو لفظ فيه مبالغة كما قال يونس بن حبيب وابن جني.

(4) البيت من الرجز ولم أقف على قائله:

في معانيه (3/218).

وفي القرآن: ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ (الواقعة/17)⁽¹⁾ يقال: مقرطون. والله أعلم بتفسير ذلك.

و(المواخر) ﴿ مَوَاخِرَ ﴾⁽²⁾ (النحل/14): السفن، تجري ذاهبة و جائية. وقالوا: نوافخ، شبهوها بنفخ الثيران بمناخيرها إذا عدت وأنبهت.

و ﴿ مَلَكُوتٌ ﴾ (يس/83)⁽³⁾: ما ينظرون فيه من ملك الله عز وجل. تكلمت به العربية والسريانية. وهي عند المُسْتَد: المُلْك وعند البتد الصنعة لله مالك السموات (36/ظ) والأرض، صنعهما فأثقتهما.

و ﴿ الْجَمَلُ ﴾⁽⁴⁾ (الأعراف/40): جبلُ السفينة. ما كان من نبات الأرض، لا من جلد ذوات الحافِر.

(1) (الواقعة/17) وبهذا فسره الفراء، قال: محلون مُسَوَّرُون، ويقال: مُقَرَّطُون ويقال: مخلدون دائم شبابهم لا يتغيرون عن تلك السن... وذلك أن العرب إذا كبر الرجل وثبت سواد شعره قيل: أنه لمخلد.

(2) من قوله تعالى: ﴿ وَتَرَكِبَ الْفُلْكَ مَوَاخِرَ ﴾ (النحل/14).
(3) (يس/83).

(4) من قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ (الأعراف/40)، وبقراءة (الجمَل) بتشديد الميم قرأ ابن عباس وسعيد بن جبیر ومجاهد والشعبي، وذكر البيضاوي أن (الجمَل) هو الجبل الغليظ وقيل السفينة، وبهذا قال الزخشي، إذ لم يرض بمن شبه بالجمَل تنزيهاً لله تعالى، ولعدم المناسبة بين الخيط والبعر، وذهب إلى أن (الجمَل) بمعنى (الجبل) أليق به وأنسب لأن الله أحسن تشبيهاً من أن يُشَبَّه بالجمَل، يعني إن الجبل مناسب للخيط الذي يسلك في سم الإبرة والبعر لا يناسبه.

انظر: المحتسب 310/1، والظواهر الصوتية والصرفية والنحوية في قراءة الجحدري البصري/120.

وعند أهل المسند: (الثشور)⁽¹⁾ معناه: الخلقة الأولى تُنشر وتُرد إلى الأجساد. و(القالين): الماقتين، وفي القرآن ﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴾ (الشعراء/168)⁽²⁾. و(الضريع)⁽³⁾ عندهم، و(الزقوم)⁽⁴⁾: كلُّ شجرٍ شاكٍ له ثمر. و(سينا) جِماغُ الشجر. وقولهم: (يس)⁽⁵⁾ يعنون: إنسان. وكذا قولهم: ﴿ إِيَّاسَ ﴾ (الانعام/85) تكلمت بهما العبرية والرّسّ.

فأما (السائح) (التوبة/112)، فهو: الصائم. وقد روى سفيان بن عيينه عن عمرو بن دينار⁽⁶⁾ عن عبيد بن عميد⁽⁷⁾، قال: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، عن

(1) في نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا تُشْرِكُوا ﴾ الفرقان/3.

(2) (الشعراء/168)

(3) الغاشية/6. وفي اللغات 52: يعني الشبرق بلغة قريش، وهو شوك يكون في البادية. وفي الإلتقان 45/2: شجر ذو شوك.

(4) جاء في الصحاح، الزقوم: اسم طعام لهم، فيه عَسْرَ وزبد، الزقم: أكله قال ابن عباس

رضي الله عنهما: لما نزل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ ﴿٤٢﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴾

(الدخان/44) قال أبو جهل: التمر بالزبد تتزقمة. فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ

فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦١﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئُوسُ الشَّيْطَانِ ﴿٦٥﴾ ﴾ (الصفات/65).

انظر: الصحاح/زقم.

(5) أول سورة يس.

(6) أبو محمد المكي، الحافظ الفقيه، التابعي، روى القراءة عن ابن عباس، وروى عنه يحيى بن صبيح مات سنة 126 هـ، غاية النهاية (العلمية) 1/530، المعارف 468، وتذكرة الحفاظ 1/113.

(7) ابن قتادة أبو عاصم الليثي المكي القاص، روى القراءة عن عمر بن الخطاب وأبي بن كعب وروى عنه مجاهد، كان قاضي مكة ومعدود من حفاظها وقرائها، ولد في زمن

السائحين، فقال: (هم: الصائمون) كأنهم والله أعلم تباعدوا عن الاشتغال بغير الصيام، لأن الصائم يحتاج، مع الامتناع من الأغذية، أن يتحرر من لسانه ونظره ويده وقلبه، فهو أصعب الأعمال، لأن الصائم منقطع إلى ربه اعتزالاً عن الخلطة كما روي⁽¹⁾ في قول مريم: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ (مريم/26) أي: صمتاً ﴿فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ أَنسِيًّا﴾ (مريم/26) - ومثله عن علي نصر الله وجهه.

وفي حديث أبي الطفيل⁽²⁾، قال: قال علي، كرم الله وجهه: ليس من آية إلا قد عرفت بليل أنزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل⁽³⁾.

النبي (ﷺ) ومات سنة 74 هـ. غاية النهاية (العلمية) 443/1، وطبقات الحفاظ 15، ومشاهير علماء الأمصار/82.

(1) عن ابن عباس رضي الله عنه... وقال أبو عبيدة: كل ممسك عن طعام أو كلام أو سير فهو صائم. قال النابغة الذبياني:

خيّل صياماً وخيّل غير صائمةٍ تحت العجاج وأخرى تغلك اللجماً

انظر: الصحاح/صوم، ومجاز القرآن 6/2.

(2) عامر بن وائلة بن عبد الله الكناني، ولد عام (أحد) أدرك النبي (ﷺ)، وهو شاعر من شعراء الصحابة، فاضل عاقل حاضر الجواب فصيح، كان يُقدّم علياً على غيره من الصحابة، وكان ثقة، ماموناً يعترف بفضل الشيخين، من أبياته:

أيدعوني شيخاً وقد عشت حِقْبَةً وهنّ من الأزواج نحوي نوازغ

وما شاب راسي من سنين تتابعت عليّ ولكن شيبثني الوقائع

مات سنة (100 هـ) معجم الشعراء المخضرمين والأمويين 225، خزنة الأدب 40/4 وانظر: فهرس التعليقات والنوادر.

(3) انظر: الصاحي/44 (دار الكتب العلمية).

(37/و) وذكر الشعر و صون لسان الصائم عن إنشاده، إلا ما لا غنى عن إنشاده وروي (أن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها، ما لم تعمل به)⁽¹⁾.
 وروي من وجوه كثيرة أن رسول الله، (ﷺ)، قال:
 (إن من الشعر حكمة)⁽²⁾. وأن عمرو بن الشريد⁽³⁾ روى عن أبيه أنه قال:
 استنشدني النبي، (ﷺ)، فأنشدته من شعر أمية بن أبي الصلت، فكلما أنشدته قافية قال: (هية) حتى أنشدته مائة، فقال (ﷺ): (إن كاذب ليسلم)⁽⁴⁾ و(السائح) عندهم: الصائم. كما قال كعب⁽⁵⁾:
 فلا الحامدين ولا السائحين ولا القانتين لرب البشر⁽⁶⁾ و(سجيل)⁽⁷⁾ أسفل كل شيء.

- (1) صحيح البخاري 255/20، وصحيح مسلم 147/2 مع اختلاف في اللفظ.
 (2) صحيح البخاري 181/22، وابن ماجه 1235/2، وانظر كتاب الأمثال في الحديث النبوي/41.
 (3) ابن مؤيد الثقفي، الحجازي، من التابعين، روى عن أبيه وعن ابن عباس، وروى عنه الزهري (التاريخ الكبير 343/6، والتهذيب 28/2).
 (4) صحيح البخاري 182/22، وابن ماجه 1236/2.
 (5) لعله يريد كعب بن مالك، أو كعب بن زهير.
 (6) البيت من البحر المتقارب، ولم يرد في ديوان الكعبين، ولكن قصيدة على نفس البحر والرّوي وردت في ديوان التمر بن تولب/55 ومنها:
 سلامُ الاله وريحائهُ ورخْمُثُه وسَاءُ مَاءِ دِرْرُ
 فيومٌ علينا ويومٌ لنا ويومٌ نساء ويومٌ نُسرّ
 انظر: مجاز القرآن 2/243، والصناعتين/183.

(7) من قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِّن سِجِّيلٍ مَّنشُودٍ (هود/82)..

و(المشحون)⁽¹⁾: الممتلئ. فأما ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ (يوسف/ 23) فقيل:
بالنبطية⁽²⁾:

قال أبو عبيدة في مجاز القرآن 296/10: هو الشديد من الحجارة الصُّلب ومن الضَّرْب،
واستشهد بقول تميم بن أبي بن مُقبل:

وَرَجَلَةٌ يَضْرِبُونَ النَّاسَ عَنْ عُرْضٍ ضَرْباً تَوَاصَى بِهِ الْأَبْطَالُ سَجِيلاً

وجاء البيت في جمهرة أشعار العرب (866/2) ضمن قصيدة نونية للشاعر والقافية
(سَجِينًا) ونقل محقق المجازة: سجين وسجيل واحد، واللام والنون أختان.

(1) وبدا فسره أبو عبيدة قال: أي المملوء، ومنه قولهم شحنها عليهم خيلاً ورجالاً أي
ملاها، والفلك يقع لفظه على الواحد والجميع من السفن سواء. (مجاز القرآن 2/88).

(2) قال العلامة السيد محمد صديق حسن خان القنوجي الهندي: قال الجمهور: ليس في كتاب
الله سبحانه شيءٌ بغير لغة العرب، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾
(الزخرف/ 3). وقوله تعالى: (الشعراء/ 195). ﴿ يَلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾

وإدعى ناسٌ أن في القرآن ما ليس من لغة العرب، حتى ذكروا لغة الرُّم والقبط والنَّبَط.
قال أبو عبيدة: ومن زعم ذلك فقد أكبر القول، بل قد يوافق اللفظ اللفظ ويُقاربه،
ومعناه واحدٌ، وأحدهما بالعربية والآخر بالفارسية أو غيرها...

قال الرّازي وأتباعه: ما وقع في القرآن من نحو: المشكاة والقِسْطَاس، والاستَبْرَق
والسُّجَيْل، لا نُسِّمُ أنها غيرُ عربية، بل غايته أن وُضِعَ العرب فيها وافق لغة أخرى
كالصَّابون، والثَّنور؛ فإنَّ اللُّغات فيها متَّفِقة.

والفرق بين هذا النوع وبين المُعَرَّب، أن المُعَرَّب له اسمٌ في لغة العرب والأعجمي
الذي استعملوه بخلاف هذا.

قال الجوهري في الصحاح 179/1 (عرب): تعريبُ الاسم الأعجمي: أن تتفوه به
العربُ على منهاجها، تقول: عربتُه العربُ وأعربتُه أيضاً.

وقال أبو عبيدة القاسم بن سلام: أما لغات العجم في القرآن فإنَّ الناسَ اختلفوا فيها،
فروي أنهم قالوا في أحرف كثيرة: أنها بلغات العجم، منها قوله: طه (طه/ 1) واليَمِّ

(الكهف/ 108) و (المؤمنون/ 11). يقال إنها بالرُّومِيَّة، ومِشكَاةُ (النور/ 35)، وكِفْلَيْنِ (الحديد/ 28) يقال: انها بالحِشِيَّة. وهَيْتَ لكَ، يقال: انها بالحورانيَّة.

فهذا قول أهل العلم من الفقهاء. وزعم أهلُ العربيَّة أنَّ القرآن ليس فيه من كلام العَجَم شيءٌ لقوله تعالى: قُرْآنًا عَرَبِيًّا وقوله: ﴿يَلْسَانَ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (الشعراء/ 95). وقد نقل القَتُّوجي كلام أبي عبيد قال: قال أبو عبيد:

والصَّواب عندي مذهبٌ فيه تصديقُ القولين جميعاً؛ وذلك أنَّ هذه الحروفُ أصولُها عجميَّةٌ، كما قال الفقهاء؛ إلا أنَّها سقطت إلى العرب فأعربتها بالسنتها وحوَّلتها عن ألفاظ العَجَم إلى ألفاظها، فصارت عربيَّةً، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب.

فمن قال: إنها عربيَّة فهو صادق، ومن قال عجميَّة فهو صادق (البلغة في أصول اللغة 173- 177). وانظر: الصَّاحبي (العلمية) 32-33. وقد رفض بعض العلماء المعاصرين هذا الكلام، وعدَّ ردَّ الألفاظ العربيَّة إلى العربيَّة والحِشِيَّة تسامحاً كبيراً في اللغة قال:

(إنَّ ردَّ ألفاظِ في العربيَّة إلى العربيَّة والحِشِيَّة كلفظة "تابوت" مثلاً يدل على تسامح كبير في دراسة اللغة، ففيمَ راحوا يردُّون الألفاظ العربيَّة إلى تلك اللغات دون أن يردُّوا تلك اللغات إلى العربيَّة؟. فهل يرى القوم إنَّ العربيَّة متأخرة، وإنَّ تلك اللغات متقدِّمة عليها؟. وما الدليل على ذلك؟.

وهل كانت العربُ لا تشهد لأبناءٍ من أبنائها حالة موتٍ وتشيعٍ ودفنٍ حتى اضطُرَّت بعد دهرٍ بعيدٍ إلى أن تتعلَّم دفنَ الموتى من الأحباش وتعلَّمت منهم تشيعهم إلى قبورهم فلزِمَها ذلك نقلَ كلمة التابوت عن لغتهم؟. الكلام للعلامة الشيخ جلال الحنفي البغدادي في بحثه القِيم: كلام على الإملاء العربي/ 23.

هَلَمْ لَكَ. فَكَانَ أَحْمَدُ⁽¹⁾. صَاحِبَ اللَّوْلُوِي⁽²⁾ عَالِمًا بِالْعَرَبِيَّةِ، فَآتَى أَبَا عَمْرٍو
بَنَ الْعَلَاءِ يَسْأَلُهُ عَنِ (هَيْتُ لَكَ): أَلَيْسَ هِيَ مِنْ (تَهْيَاتُ لَكَ)⁽³⁾؟

(1) أبو جعفر أحمد بن موسى بن أبي مريم الخزاعي المقرئ اللؤلؤي، روى القراءة عن
عاصم الجحدري البصري، وأبي عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر، روى عنه خليفة بن
خياط وغيره، أحد قراء البصرة، صدوق. (معرفة القراء الكبار 1/ 341)، والتاريخ الكبير
1/ 2، وغاية النهاية 1/ 143، ومجاز القرآن 1/ 305.

(2) أبان بن عثمان بن يحيى اللؤلؤي الأحمر، أخذ عنه أبو عبيدة مَعْمَرُ بن المثنى، ومحمد بن
سلام الجمحي. وله عدة تصانيف، (البلغة في تاريخ أئمة اللغة/ 2)، (وبغية الوعاة
405/ 1).

(3) لقد تحصّل في هذه الحروف عدّة قراءات منها:

- (هَيْتُ لَكَ) بكسر الهاء وفتح التاء من غير همز، وبها قرأ أهل المدينة وابنُ ذاكوان.
- (هَيْتُ لَكَ) ابن إسحاق.
- (ها أنا لك) قرأها عليُّ رضي الله عنه.
- (هَيْتُ لَكَ) قرأها عليُّ رضي الله عنه كذلك.
- (هَيْتُ لَكَ) ابن عباس وابن عامر.
- (هَيْتُ لَكَ) الحلواني عن هشام.
- (هَيْتُ لَكَ) ابن كثير.
- (هَيْتُ لَكَ) قرأ بها العراقيون.

التبصرة في قراءات الأئمة العشرة/ 314، والمحتسب 7/ 2، والكنز في القراءات
العشر/ 513، ومختصر شواذ القراءات/ 63 وفيه: وقال الحسن معنى: هيت لك تابع
بالعبرانية تعال.

قال: تيشى⁽¹⁾، قال أبو محمد التوزي⁽²⁾:
 يُقال للرجل إذا حَمَقَ: تيشى⁽³⁾، منقوطة. وذكر زبير⁽⁴⁾
 أن ابن صفوان⁽⁵⁾ قال لابن عباس في خطابه: تيسى، غير منقوطة، فقال له:
 تُعست، هل تعرف (تيسى) ممالّة؟ قال: لا والله ما عرفتها، وما أردت بهذا يا ابن
 عباس؟ (37/ظ) قال: فإنّ (التيسى): الحصاة أو العود أو العظم أو النواة يلعب
 بها

(1) حصل في هذه الكلمة تصحيف، فقد جاء في مجاز القران (1/306): فقال أبو عمرو:
 نبس أي باطل، والتي وردت في المجاز مصحفة، والصواب ما جاء في لسان العرب (تس)
 تيس: كلمة تُقال عند إرادة إبطال الشيء وتكذيبه.

(2) عبد الله بن محمد من أكابر علماء اللغة، أخذ عن أبي عبيدة والأصمعي وقرأ على أبي
 عمر الجرمي كتاب سيبويه، قال عنه المتبرّد: ما رأيت أحداً أعلم بالشعر من أبي محمد
 التوزي، تزوج بأمّ أبي ذكوان النحوي. كان أكثرهم رواية عن أبي عبيدة مغمّر بن
 المثني. مات سنة 238 هـ. (نزهة الألباء/135)، (أخبار النحويين البصريين/85)، (وإنباء
 الرواة/2/126).

(3) هذا كلام أبي زيد في اللسان قال: يقال: أحق وتيس للرجل إذا تكلم بحمق.

(4) الزبير بن بكّار، بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوا، كان ثقةً
 ثبتاً عالماً بالأنساب، عارفاً بأخبار المتقدمين، صحح سفيان بن عيينه والنضر بن شميل،
 وروى عنه أحمد بن يحيى ثعلب، (مات سنة 256 هـ). انظر: (تاريخ بغداد 8/467)،
 (تذكرة الحفاظ 2/528)، (وعجم الأديباء 4/218)، (وخزانة الأدب 4/404، وطبقات
 الحفاظ (سيوطي) 234).

(5) لعله عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف، رئيس مكة، روى عن عمر بن الخطاب
 رضي الله عنه وحفصة، وروى عنه الزهري وعمرو بن دينار، (العقد الثمين 5/178).

الإنسان فيضرب نفسه بها. قال زُبَيْر: ثم أنشدني الحسنُ بن عمارة⁽¹⁾

سميتها تيسى غداة لقيتها فلا يلعبن تيسى من الناس ذو عقل⁽²⁾

كله: بالسين، غير منقوطة.

والذي قاله التوزي: بالشين، وهو بالسين أشبه (تيسى) من التيس، مثل

كيسى من الكيس⁽³⁾، وكيلي من الكيل، إن كان يُرادُ ذلك. فأما ماتقولُه العامة فـ(بالهاء) في أوله، ويُنشدون:

(1) الكوفي، من كبار الفقهاء. انظر: (الجرح والتعديل 1/1/27، وميزان الاعتدال 1/531.

(2) البيت من البحر الطويل، وقد أصاب التفعيلة الأولى من الحشو علة (الخَرم) بالراء المهملة وهي من العلل الجارية مجرى الزحاف كونها غير لازمة، والخَرم هو: إسقاط أول الوتد المجموع في أول البيت، وهو أحد التغييرات التي تطرأ على تفعيلة الحشو ويصيب الأوتاد دون الأسباب، ولذلك لم يدخله العروضيون في الزحاف؛ وإنما اعتبروه نوعاً من العلل.

فتفعيلة "فعولن" صارت بعد الخَرم عولن، فجاء وزن صدر البيت هكذا عولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن.....

ويعتقد بعض النقاد العروضيين المحدثين إن الخرم لا أساس له، وإنما هو ضرب من الخطأ وقع فيه نساخ الشعر بنسيان حرف في بداية المطلع، كالواو أو الفاء مثلاً.

انظر: فن التقطيع الشعري/52، معجم مصطلحات العروض والقوافي/72، وكتابي:

التوسع في كتاب سيويه/156.

(3) وهو خلاف الحُمق، والرجل كَيْسٌ مُكَيْسٌ، أي: ظريف. قال الراجز ولعله علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

أما ثرائي كَيْساً بَيِّتُ بعد نافعٍ مُخَيِّساً.

* إحدى لياليك فهيسي هيسي * (1)

- ثم قال أبو عمرو للؤلؤي: قُمْ، فاعترض العرب الآن ما بين الخندق إلى اليمن فأن وجدت عربياً يعرفها، فقد صدقت بانها من (تهيات لك) إنما هي مُعرّبة (هيت لك)، مفتوحة الهاء، ومعناها: هلم لك، ألا ترى قول كعب بن مالك (2):

به أحمي المضاف إذا دعاني إذا ما قبل للأبطال هيتا (3)

(1) هذا صدر بيت من الرجز، عجزه: لا تنعمي الليلة بالتعريس، وهو للأسود بن يعقرب النهشلي الدارمي التميمي، أبو الجراح شاعر جاهلي من سادات تميم من أهل العراق، كان فصيحاً جواداً، نادم النعمان بن المنذر.

والرجز في الأخبار الطوال/15، والجمهرة 3/55، وفي تهذيب الألفاظ 683 منسوب إلى أباق الدبيري، وبلا نسبة في مجالس ثعلب 1/243، ومقاييس اللغة 6/24، والصحاح واللسان (هـ/ي/س). انظر: الشعر والشعراء/140، وكتاب الاختيارين/461.

(2) أبو عبد الله الأنصاري الخزرجي، شاعر رسول الله (ﷺ)، أسلمت دؤس فرقا من بيت قاله كعب:

نُخِرْها ولو نطقت لُقالَت قَواطِعُهُنَّ دَؤُسا أو تُقِفِنا.

مات كعب سنة 40 وقيل سنة 50 هـ، (معجم الشعراء المخضرمين 396)، وانظر طبقات فحول الشعراء (220) (وخزانة الأدب 1/416-418).

(3) البيت من البحر الوافر، ولم يرد في ديوانه، ومنسوب لأصيححة الأنصاري في سؤلات نافع/29، وإيضاح الوقف والابتداء 1/86، ولم يد في ديوانه كذلك.

أي: هلمّ. أي: من: لجأ إليك. وقول الآخر، وهو يزيد⁽¹⁾:

إِنَّ الْعِرَاقَ وَأَهْلَهُ عَنَّقَ إِلَيْكَ فَهَيْتَ هَيْتَا⁽²⁾

أي: هلمّ هلمّ. فأما قول الطيفان⁽³⁾، فعربيّ صحيح، قال، فيمن يُخفي

عداوته:

ومولئ كدءِ البطن لو كان قادراً على الموت أفنى الموت أهلي وماليا⁽⁴⁾

(38/ و) دعاني ولم أذراً به فأجبتُهُ حيناً إليه حين هيت داعيا

هيت: معناه: دعا. كما قال طرفة:

هَيْتَ الْفَتِيانَ فِي مَجْلَسِنَا جَرَدَ وَامْنَهَا وَرَاداً وَالشُّقْرُ⁽⁵⁾

(1) لعله يزيد بن مفرغ الحميري، أبو عثمان، من أصل يمني من قبيلة يحصب من بقايا أولاد الفرس من سكان اليمن الذين اختلطوا بالعرب بالزواج فيهم بعد الغزو الفارسي، وكان يتقن الفارسية والعربية، شاعر اشتهر بالمدح والغزل والهجاء، ولم يهجُ بني أمية أحد كما هجاهم ابن مفرغ، وكان أشدّ الهجاء وقع على عبيد الله بن زياد - ابن أبيه - وعلى أمّه (مات سنة 69 هـ).

(2) البيت من مجزوء الكامل ولم أجده في ديوانه.

(3) كذا ورد ولعله ابن الطيفان، خالد بن علقمة، من بني مالك بن زيد بن عبد الله ابن دارم، فارس، شاعر، والطيفان أمّه: انظر: المؤلف والمختلف/49، ومجاز القرآن/125، وخزانة الأدب 3/280.

(4) البيتان من البحر الطويل، والبيت الأول وحده جاء في مجاز القران بلا نسبة 1/125، وأضداد أبي الطيب 2/662، والصدّاق والصديق 216.

(5) البيت من بحر الرمل وهو في ديوانه/54، بتحقيق سيف الدين الكاتب، وفيه: (أيها... و) (شُقْرُ)

وَمَنْ أُنشِدَ بَيْتَ الْقَطَامِيِّ (1)

أُمُورٌ مَا تَدْبِرُهَا حَكِيمٌ بَلَى فَنَهَى وَهَبْتَ مَا اسْتَطَاعَا (2)

بالتاء، فإنه لا يدري، إنما هي: وهيب، بالباء - منقوطة من أسفل - أي: نهاهم عن الحرب. وليس للدعاء هنا معنى، لأن الناهي لا يكون داعياً. واللغة واسعة المجال، وكل هذا عربي صحيح، أو مُعَرَّبٌ فصيحٌ.

ومن كلام الضاحية: (المخراب) (مريم/51): القصر. وهو عندهم: بطنان

المسجد.

و(المنون) (الطور / 30): الموت. وتكلمت به الخطأ والبئد، ولذلك قال

الشاعر (1):

(1) عمير بن شئيم بن عمرو بن عبّاد التغلبي الملقب بالقطامي، من نصارى بني تغلب في العراق ثم أسلم، وكان قريباً للأخطل، قيل أنه أول من لُقّب بـ (صريع الغواني) لقوله:

صَرِيْعُ غَوَانٍ رَاقِهْنِ وَرَقْنُهُ لَدُنْ شَبَّ حَتَّى سَدَّ الدَّوَابِّ

صاحب المشوبة المشهورة التي كرها أبو زيد القرشي التي مطلعها:

إِنَّا مَحَبُّوكَ، فَاسْلَمْ إِلَيْهَا الطَّلُّ وَإِنْ بَلَيْتَ، وَإِنْ طَالَتْ بِكَ الطَّوُّ

ومنها:

قَدْ يُدْرِكُ الْمَتَائِي بِعَضِّ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلُّ

وشعره رقيق حواشي الكلام، شاعر إسلامي مقلِّ مجيد، عدّه الجمحي في الطبقة الثانية

من شعراء الإسلام، مات سنة 130 هـ. (معجم الشعراء المخضرمين/373)، (جمهرة

أشعار العرب 2/803)، الشعر والشعراء/433.

(2) البيت من البحر الوافر في ديوانه/34 ورواية البيت فيه:

أُمُورٌ لَوْ تَدْبِرُهَا حَكِيمٌ إِذْنٌ لِنَهَى وَهَيْبَ مَا اسْتَطَاعَا.

* أَمِنَ المَنونَ وِربيه تَتوجَّعُ *⁽²⁾

ولم يقل: وربها، إلا من ذهب إلى اللفظ.

و(الطاغوت) (النساء/ 51): الشيطان. وتكلّمَ بها بنو الكاهن، قُرَيْظة والنضير. و(الجيت) ⁽³⁾ السُّحر، تكلّمتُ به بنو الكاهن. و(البغل) ⁽⁴⁾: الزوج. وهو: الرب، بلسان أهل بَعْلَبك ⁽⁵⁾ والتبدُّ إلى اليوم يقولون: زوّجناه بأمرأة.

(1) أبو دُوَيْب الهذليّ، خويلد بن خالد بن محرث، شاعر فحل مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وهو أشعر هذيل غير مدافع، عدّه ابن سلام في الطبقة الثالثة من فحول الجاهلية، وقرن به نابغة بني جعدة، والشماخ ولياً، وفد على النبي (ﷺ)، وهو في مرض موته، فأدركه وهو مسجّي، وعليه وشهد دفته. (مات سنة 28 هـ). (جمهرة أشعار العرب 2/ 683)، (معجم الشعراء المخضرمين/ 145) الشعر والشعراء (دار الكتب العلمية/ 397).

(2) البيت من البحر الكامل، وهذا صدر بيتٍ في شرح أشعار الهذليين 1/ 11 (دار الكتب العلمية) وعجزه:

* والدّهْرُ ليس يَمُعْتَبِرُ مَنْ يَجْزَعُ *

وروى الأصمعي: "وربه"، جمهرة أشعار العرب 2/ 683، الشعر والشعراء/ 397، وخزانة الأدب 1/ 295.

(3) (يؤمنون بالجبت) الآية السابقة.

(4) في قوله تعالى (أتدعون بَعْلًا) الصافات/ 125 .

(5) في الأصل (بعل بك) والصواب ما أثبتناه، وذلك بناءً على القاعدة الإملائية التي تقول: إن ما صحَّ الابتداء به والوقفُ عليه فصل، وما لا فلا. و(بَعْلَبك) من الأسماء المركبة تركيباً مزجياً، التي يجب أن تكتب متصلة، لأنها من الكلمات التي لا يصحّ الوقوف عليها؛ لأنها في حقيقة الأمر لا تعطي القارئ أو السامع معنىً معيناً إذا وقف عليها، لذا يجب أن تكون متصلة بغيرها

و:زَوْجِنَا لَهُ التَّعْمَةَ. أَي قَرْنَاهَا بِهِ. وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ (الدخان/54). قِيلَ: مَعْنَاهُ: قَرْنَاهُمْ بِهِنَّ⁽¹⁾ لَا كَالْتَزْوِيجِ بِخُطْبَةٍ وَشَهُودٍ، لِأَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ: (38/ظ) زَوَّجْنَاهُ امْرَأَةً، وَلَا يُدْخِلُونَ الْبَاءَ.

ونصّ القلقشندي على أنّ الأصل أن تكتب الكلمات مفصلاً بعضها عن بعض وذلك (لأنّ كلّ كلمة تدلّ على معنى غير معنى الكلمة الأخرى، فكما أنّ المعنيين متميزان فكذلك اللفظ المعبر عنهما يكون متميزاً، وكذلك الخطب النائب عن اللفظ يكون متميزاً بفصله عن غيره). صبح الأعشى في صناعة الإنشاء 212/3 (بتحقيق: محمد حسين شمس الدين) ولكنّ قاعدة الفصل هذه لم تلائم كلّ مفردات اللغة وقواعدها النحوية؛ لذلك استثنوا من القاعدة السابقة مواضع كتب الكلمات فيها متصلة على خلاف الأصل، ومنها: أن تكون الكلمتان قد رُكبتا تركيب مزج مثل: (بعلبك)، ليدل على أنّ التركيب الذي يُكْتَبُ فيه وصل الكلمة بالأخرى هو تركيب المزج، وهو أن يتحد مدلول اللفظين، بخلاف ما إذا رُكبتا تركيب بناء لم يتحد فيه مدلول اللفظين نحو: خمسة عشر، صباح مساء، بين بين، وحبص بيص؛ فإنّ هذا كلّهُ يُكْتَبُ مفصلاً لا تخلط فيه كلمة بأخرى. وقال عنهما البكري في معجم ما استعجم 239/1 (بعلبك) بالشام معروف الأغلب عليها التانيث، وانشد المفضل في تانيثها:

لقد أنكرتني بعلبك وأهلها ولا بن جرنج كان في حمص أنكرا

وللوقوف على مواضع الوصل و الفصل، انظر: قواعد الكتابة العربية لمجموعة من الباحثين/154 ورسم المصحف 445، كتاب الإملاء، لحسين والي 104، المحيط في قواعد الإملاء 88، الإملاء الفريد لنعوم زراير 86، قواعد الإملاء، لعبد السلام هارون 54، ودليل الإملاء لعامر سعيد 52.

(1) تأويل مشكل القرآن، وفي تهذيب إصلاح النطق 2/190، وفيه ذكر القراء أنّها: لغة في أزد شنوءة.

و(الحال)⁽¹⁾ عند أهل الضاحية على وجهين: هو مرة: للاحتيال. ومرة الكره. كما قال الكلبُ بنُ عامرٍ:
 ما أصبرَ الحيّ في اللأواءِ إنْ أزمْتَ في حالةِ الكرهِ من حالٍ إلى حالٍ⁽²⁾.
 أي: تكرهُ النفسُ الثَّقَلَةَ من دارٍ إلى دارٍ. أي: من دار الدنيا إلى دار الآخرة
 وقال أبو قيس بن الأسلت⁽³⁾ في بطلان الاحتيال بغير الدين:
 كلُّ دينٍ في حالٍ يومِ جزاءِ الخَلْقِ إلّا دينُ الحنيفةِ بورٍ⁽⁴⁾
 ولَمّا أُنشِدَ النبيُّ (ﷺ) قولَ أميةٍ:
 كلَّ دينٍ يومَ القيامةِ عندَ الـ لهُ، إلّا دينُ الحنيفةِ، بورٍ⁽⁵⁾.
 قال: (أَمَنَ شِعْرُهُ وَكَفَرَ قَلْبُهُ)⁽⁶⁾ (الفرح)⁽⁷⁾ (يونس / 22) عندهم⁽⁸⁾:

(1) ليست هذه اللفظة من ألفاظ القرآن الكريم .

(2) البيت من البحر البسيط لم أقف عليه ولا على قائله فيما بين يدي من المصادر.

(3) صيفي بن عامر بن جُشَعَم بن وائل بن زيد بن قيس، و (أبو قيس) كنيته، واختلف في اسمه، فقيل صيفي، وقيل: الحارث، والمشهور الراجح أنه صيفي بن الأسلت، والأسلت لقب أبيه.

شاعر جاهليّ مجيد، وسيّد الأوس، أسندت إليه حربها يوم بعاث، وجعلته رئيساً عليها، ألحقه ابن سلام بشعراء المدينة، وذكر أنه أدرك الإسلام ولم يُسلم، صاحب المذهبة المشهورة في جمهرة أشعار العرب 2/ 665، طبقات فحول الشعراء 189.

(4) البيت من البحر الخفيف ولم يرد في ديوانه.

(5) البيت من البحر الخفيف، لأمية بن أبي الصلت، في شعره/ 339.

(6) مسند الإمام أحمد بن حنبل 6/ 280.

(7) من نحو قوله تعالى: (وَفَرِحُوا بِهَا).

(8) يعن أهل الضاحية.

يكون فساداً وسروراً. وعلى ذلك قول الساجي⁽¹⁾:

فَرَحَ النساءُ بأَيَّةٍ من آيِبٍ من أرضٍ عاريةٍ من القَفَالِ⁽²⁾
فهذا غاية السرور، قَفْلَةٌ على غفلة. وقال خُليد الكناني⁽³⁾ في ضدّ ذلك:

[و] لا جَزَعُونَ إن صِرْنَا بأَيِبٍ ولا فَرَحُونَ بالخبرِ القليلِ
أي فرحهم بالزائل فساد.

وقال أبو بُجيد التميمي⁽⁴⁾ في نائبة الضراء:

وكلُّ قِضَاءٍ قِضَاءُ المليكُ وَجَفَّ بِهِ قَبْلَ ذاكِ القَلَمِ⁽⁵⁾

(1) زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن بن بحر يحيى الساجي البصري، الإمام الحافظ، نزل بغداد وحدث بها، له كتاب جليل في (علل الحديث)، (ت 307 هـ). (تاريخ بغداد 8/459) واللباب (2/90). (وطبقات الحفاظ للسيوطي 310).

(2) البيت من البحر الكامل.
(3) لم أقف عليه، وفي جمهرة ابن حزم 11/1: يخلد بن النضر الكناني، والبيت من البحر الوافر.

(4) نافع بن الأسود، بن قطبة بن مالك التميمي الأسيدي، شاعر مخضرم من الصحابة. من مخضرمي الجاهلية والإسلام، شهد فتوح الشام والعراق وله فيها أشعار مشهورة، له قصيدة بعد انصراف (علي بن أبي طالب) من صفين منها:

وإنا أناسٌ ما تُصِيبُ رِمَاخُنَا - إذا ما طَعَنَّا القومَ - غَيْرَ المقاتِلِ

معجم الشعراء المخضرمين 489، الأعلام 7/352، شعراء إسلاميون 71 وما بعدها.

(5) البيت من البحر المتقارب، ولم يرد في شعره.

وقد روى جماعة من المتأولين أن قوله تعالى: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ (الحديد/28).

أن الكفلين: ضعفان من الأجر، بلسان الحبشة⁽¹⁾. (39/و) وكذا: ﴿يَنْجِبَالُ أَوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّالَةُ الْحَدِيدَ﴾ (سبا/10) تأولوه⁽²⁾: سبّحي معه، بلسان الحبشة.

وعن ابن عباس، أنه سهل عن قوله: ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ (المدثر/51) قال⁽³⁾: هو بالعربية: الأسد، وبالفارسية: شار، وبالنبطية: أزياء، وبالحبشية: قسورة. وما أشبه ذلك من الأخبار.

وليس يدفع هذا أنه لم يكن للعرب المنطق به قبل نزول القرآن بلسان العرب، فالفارسية وغيرها من الألسن المختلفة - ما خلا العربية الميمنة ليست بلسان قوم محمد (ﷺ).

فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول، ومن زعم أن (طه) (طه/1) بالنبطية، و (سجّيل) (هود/82) بالفارسية، فقد أبطل، حين قال: (سنك وكل) معربة، و(استبرق) (الرحمن/55) لقولهم: استبره⁽⁴⁾. وأشباه هذا كثير.

ولا يستنكر أن يكون من الكلام مما يتفق فيه أجناس الأمم المختلفة الألسن بمعنى واحد ولفظ موافق، فكيف بجنسين، كالفارسية الزرية والعربية

(1) التأويل لأبي موسى الأشعري، انظر: صحيح البخاري 115/22، وتفسير الطبري 13/1.

(2) التأويل لأبي ميسرة في تفسير الطبري 13/1.

(3) انظر تفسير الطبري 14/1.

(4) انظر: البلغة في أصول اللغة 174، 175، 176.

الرضية؟ قد تتفق الألسن باللفظ والمعنى، فيوافق اللفظ اللفظ أو يقاربه ويتفقان في المعنى، أو يُدانيه، وأحدهما بالعربية والآخر بالفارسية أو غيرها.

وقد ذكرنا من ذلك في كتاب (البصائر) ما كان أصله من عند العرب فوقع إلى العجم فتطوقوا به. وما كان مُخْرَجُ (39/ ظ) أصله من عند الفرس فوقع إلى العرب فعربته فصارت أحق به. وكذلك الحبش ليسوا بأولى أن يكون أصل ذلك من عندهم دون العرب، ومن ادعى ذلك لهم دون العرب فمدّع لأمر لا يوصل إلى حقيقة صحته، إلا بخبر يوجب العلم ويُزيل الشك، ويقطع العذر مجيئه.

وإنما يكون الإثبات دليلاً على النفي فيما لا يجوز اجتماعه من المعاني، وقد ذكرنا ذلك وأحكامه في كتاب (إقامة الألفاظ على حدودها) كقول القائل:

فلان صامت. ففيه دليل على أنه غير مُتكلّم، وغير ذلك مما يمتنع اجتماعهما لتنافيها. وأما ما جاز اجتماعه فهو خارج من هذا المعنى. كقولك: فلان قائم مُكلّم فلاناً. فليس في تثبيت القيام له ما دلّ على نفي كلام آخر، لجواز اجتماع ذلك في حال واحدة من شخص واحد. فقائل ذلك صادق إذا كان صاحبه على ما وصفه به.

فكذلك ما نُسب من اللغات إلى إحدى الأمتين إذا استعملته وكان موجوداً قياسه، كان غير مُبطلٍ أساسه. لأنّ النطق إنما هو منسوب إلى مَنْ كان به معروفاً. لا يستحق جنس منها أن يكون أولى بذلك من سائر الأجناس مادام من أهله. (40/ و) كما أنّ أرضاً بين سهلٍ وجبلٍ، فلها هواء السهل وهواء الجبل، أو بين برٍّ وبحرٍ، فلها هواء البرِّ وهواء البحر لم يمتنع ذو عقلٍ صحيحٍ ولسانٍ فصيحٍ أن يصفها بألها: سهيلةً جبليةً أو بألها: بريّةً بحريةً كقوله تعالى:

﴿لَا شَرِيقَ وَلَا غَرِيقَ﴾ (النور/35) لأنها لم تنفرد بأحدهما، إذ لم يكن نسبها إلى إحدى صفتين، إنما أخذت من كلا الجنبتين⁽¹⁾ بحظ، وليس النسبة إلى إحدى صفتيها تنفي حقها من النسبة الأخرى. فلو أفردها مفرداً إحدى صفتيها ولم يسلبها صفتها الأخرى كان صادقاً مُحققاً، وكذلك القول في الأحرف التي ذكرناها. وهذا معنى قول مَنْ قال في القرآن مِنْ كُلِّ لِسَانٍ أَي فِيهِ مِنْ كُلِّ لِسَانٍ اتَّفَقَ فِيهِ لَفْظُ الْعَرَبِ وَلَفْظُ غَيْرِهَا مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي تُنْطِقُ بِهِ.

ولا يجوز لذي فطرة صحيحة قرأ القرآن وعرف حدوده في الفصاحة والبيان، أن يعتقد أن بعض القرآن فارسي لا عربي، وبعضه بطني² وبعضه حبشي لا عربي، بعدما أخبر الله به أنه جعله عربياً غير ذي عوج.

وأن يعتقد أن (الصور) (الأنعام/73)⁽²⁾: الْقِرْنَ. بلغة اليمن دون غيرهم. وأن (الضبخ): الإبل، في قوله تعالى: ﴿وَالْعَدِيدِ ضَبْحًا﴾ (العاديات / 1). قال ابن عباس: هي الأبل، وكذا عن عليّ "كرم الله وجهه" قال: هي الإبل، ولم يكن (40/ظ) معنا يومئذ إلا فرس المقداد بن الأسود⁽³⁾ لأن الشاعر قال في ذلك: نحن نطحناكم غداة الغورين بالضاحجات في غبار النقعين⁽⁴⁾

(1) الجنبه: الناحية . يعني: الصفتين أو النسبتين .

(2) كذا تفسيره في الجمهرة 2/360، الإثقان 2/103.

(3) صحابي فارس، كان في حجر الأسود بن عبد يغوث الزُّهري فُنسِبَ إليه، توفي 30هـ -التأريخ الكبير 8/54 والمعارف 262 والصفوة 1/167).

(4) البيت من بحر الرجز، وهو غير معزو في إعراب القرآن للنحاس 3/399، وآمالي القالي 1/36، والسبط 1/151، وزاد المسير 3/68، واللسان (صور) والبحر المحيط 4/144، وللبيتين ثالث وهو قوله:

نطحاً شديداً لا كتطح الصورين.

وما ضبحَ قطّ إلا فرسٌ أو كلب. ولم يكن عليّ "كرم الله وجهه" وابن عباس، يجهلان ذلك. والله يقسيمُ بما شاء من خلقه بغير اختصاصٍ لشيءٍ لا يجاوزه إلى غيره.

وكذا قوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا﴾ (الشمس/ 10) أنه: أغواها. لأنّ جاهلياً قال في حرب طيء:

وأنتَ الذي دسيتَ عمراً فأصبحتَ حلالته منه أراملاً ضيعاً⁽¹⁾

أي: أغويتَ - وغوى الرجلُ، ولا يُقال: أغوى نفسه - وإنما الآية، والله أعلم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا﴾ (الشمس/ 9) أي: رفعها وأنماها، قد خاب من دسّتها وأخفاها.

وأنّ قوله: ﴿بِكُلِّ رِيحٍ آيَةٌ﴾ (الشعراء/ 128) أنه: المكانُ المستوي، لأنّ شاعراً⁽²⁾ قال، وأنشده أبو عمرو:

سقى دارَ سَعْدِي حيثُ حَلَّتْ بها فأفعمَ منها كلُّ رِيحٍ وفذقد⁽³⁾
وإنّما الريحُ: الارتفاعُ⁽⁴⁾. وكذا معنى البيت. والله أعلم.

(1) البيت من البحر الطويل، جاء في لسان العرب (دسا): أنشده ابن الإعرابي لرجل من طيء والبيت غير منسوب في الزاهر 530/1، ومقاييس اللغة 77/2، الحلل في إصلاح الخلل 390.

(2) النابغة الذبياني.

(3) البيت من البحر الطويل وهو في ديوانه 212. وفيه: كلُّ رِيحٍ.

(4) انظر مجاز القرآن 88/2.

وَأَنَّ ﴿شَوَاطِئُ﴾ (الرحمن/35) النارُ الخضراء ذاتُ اللسانِ الأحمر. لأنَّ أُمِيَّةَ بنَ خلف⁽¹⁾ قال لحسان بن ثابت:

همزُكَ فاختضعتَ لذلِّ نفسٍ بقافيةٍ تَأَجَّجُ كالشِوَاطِئِ⁽²⁾
فقوله: تَأَجَّجُ، يدلُّ على النارِ الحامية.

(41/و) وَأَنَّ (هَيْتَ لَكَ) أَي هَلُمَّ لَكَ. حكاية لسانِ نبطية حوران. وَأَنَّ ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ (الأنبياء/98): الحَطْبُ، بلسانِ الزنج⁽³⁾ و(الغساق): المُنْتِنُ: بلسانِ الترك⁽⁴⁾.

بل كلَّ هذه عربية في لفظها ومعناها، وأن وافقناها ألفاظَ بعضِ الألسن. وهذه الأشعار عربية، فَمُحَالُ أَنْ يَأْخُذُوا مَعَانِيهَا عَنِ الْعَجْمِ.

ويقال، لِمَنْ أْبَى مَا قَلْنَاهُ وَزَعَمَ أَنَّهُ كَلَامُ أَجْناسٍ مِنَ الْأُمَمِ وَقَعَ إِلَى الْعَرَبِ فَعَرَّبْتَهُ: ما برهائك على صحَّةِ ذلك؟ أحاجةٌ إلى ذلك اضطرَّتْهم؟ وما الفرقُ بينك وبين من عارضك؟ فقال: بل أصلها عربي، غير أنَّها حروفٌ وَقَعَتْ إلى

(1) الجمحي، كان يعرف بالغطريف، قُتِلَ ببدر، انظر: الاشتقاق 129/1، وجمهرة ابن حزم 159/1.

(2) البيت من البحر الوافر، وهو ليس لأُمِيَّةَ، وإنَّما هو لحسان في ديوانه 148/العلمية، وهو من قصيدة رد بها على أمية الذي كان قد هجا حسان بأبيات على نفس البحر والروى والبيت في الديوان:

مُجَلَّلَةٌ تُعَمِّمُهُ شِئَانًا مُضْرَمَةٌ تَأَجَّجُ كَالشِوَاطِئِ

سوفي الزاهر 140/2، والروض الأنف 287/3.

(3) المتوكلي 29 والإتقان 111/2. وفي اللغات 35: بلغة فريش.

(4) المعرب 283 والإتقان 115/2. وينظر ما تقدم في 75.

أجناس الأمم فنطقت كل أمة منها ببعض ذلك، فلن يقول في شيء من ذلك قولاً إلا ألزم في الآخر مثله.

وأما قول⁽¹⁾ ابن عباس: ليس في القرآن حرفٌ يُخرج عن لغة قريش غير ثلاثة أحرفٍ فلعله عنى لغة قريش خاصة، أنهن لم يتقدمن في لغتهم وهن قوله: (فَسَيُنْغِضُونَ)⁽²⁾ (الإسراء/ 51)، النغض: تحريك الرأس وليس من لغتهم. و(المقيت)⁽³⁾ المقتدر. كما ذهب إليه الزبير بن عبد المطلب⁽⁴⁾ فقال:

وذي ضيغن كفت النفس عنه وكنت على مساءته مقيتا⁽⁵⁾

فهذا قرشي قديم. وقوله: ﴿فَشَرِدَ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ (الأنفال/ 57)⁽⁶⁾. كما قال حذيفة بن غانم العدوي⁽⁷⁾ يعني ابنه:

(1) القول منسوب إلى بكر الواسطي في الإتيان 104/2.

(2) من قوله تعالى (فسيغضون إليك رؤوسهم) وفي اللغات/ 32 بلغة حمير.

(3) من قوله تعالى (وكان الله على كل شيء مقيتا) وفي اللغات 22 والإتيان 97/2 أنه بلغة مذحج.

(4) ابن هاشم بن عبد مناف، شاعر من شعراء قريش وفرسانها قبيل الإسلام، شارك في حرب الفجار، عدّه ابن سلام من شعراء مكة، هو أكبر أعمام النبي (ﷺ). معجم الشعراء المخضرمين 166، وانظر: الروض والأنف 78/1، سمط اللالي 743، وطبقات فحول الشعراء 233-237، العمدة 50/1، خزنة الأدب 95/8، والأعلام 42/3.

(5) البيت للزبير في سؤالات نافع 27 و اللسان (قوت) ونسبه الخطيب التبريزي في تهذيب إصلاح النطق 95/2 إلى ثعلبة بن محيصة الأنصاري، وآمالي ابن الشجري 91/1، والبيت بلا عزو في إصلاح المنطق 307، ومقاييس اللغة 38/5، والمخصص 91/2.

(6) في اللغات 27: يعني: نكل بهم بلغة جرهم.

(7) وفي الاشتقاق/ 140 حذافة بن غانم بن عامر الشاعر، وانظر: معجم الشعراء 302.

(41/ ظ) أطوفُ في الاباطح كل يوم مخافة أن يُشردَ بي حكيمٌ⁽¹⁾

وقوله: ﴿عِضِينَ﴾ (عِضِينَ) (الحجر/ 91) بلغة ثقيف خاصة. وهم فصحاء مجاورتهم قريشاً. ومخالطتهم (آل الله)⁽²⁾ - كما قال أعرابي فصيح لأهل مكة: أنتم آل الله. قيل له: ما تعني بذلك؟ قال: كلُّ حنيفٍ هو من آل الله. بميله إلى الله، عز وجل. والمسلمون جميعاً آل رسول الله، (ﷺ)، لأنهم أهل دينه. وإنما يجوز ذلك في الرئيس الأكبر الذي الباكون تبع له، فإذا جاوزت هذا فإن (آل) الرجل أهل بيته خاصة. قيل: أفتقول لقبيلته: آل فلان؟ قال لا تقوله إلا لأهل بيته خاصة - فثقيف فصحاء، أفقرش أخذت عنهم اللغة أم هم أخذوا عن قريش؟. و﴿قوسين﴾ (السنجم/ 9)⁽³⁾ بلغتهم: الدراع. و(التخوف) (النحل/ 47)⁽⁴⁾ عندهم: التنقص، وليستا من لغة قريش. وأنشد حماد الراوية⁽⁵⁾ لابن مزاحم الثمالي - وذلك أن ابن عباس قال: ليس أحدٌ من العرب

(1) البيت غير منسوب في العين 242/6، والزاهر 521/1، ومتخير الألفاظ/69.

(2) قال ابن فارس في الصحاحي 31: ولم تزل العرب تعرف قريشاً وفضلها عليهم وتسميهم أهل الله.

(3) من قوله تعالى: (فكان قاب قوسين أو أدنى)، قال ابن مسعود: دنا جبريل عليه السلام منه حتى كان قدر ذراع...

(4) من قوله تعالى (على تخوف).

(5) حماد بن ميسرة بن المبارك المعروف بالراويّة، أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها، وكانت ملوك بني أمية تقدمه، كان يحفظ مائة قصيدة كبيرة على كل حرف من حروف المعجم سوى المقطعات من شعر الجاهلية وكان يحق من أعاجيب الدنيا..

خزانة الأدب 9/446-447، وانظر: نزهة الالباء 39، والمعارف 169، الأغاني 5/156.

أشبه لغة بلغة قريش من أزد شنؤة - قال الثمالي، من ثمالة أزد عمان، والمبرد منهم:

تُخَوِّفُ السَّيْرُ مِنْهَا تَامِكاً قَرِداً كما تُخَوِّفُ عَوْدَ النَّبْعَةِ السَّفْنَ (1)
التامك: السنام. تمك: ارتفع.

ومن لغتهم، أن (الرزق): الشكر. كما قرأ علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (2): ﴿وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكذِّبُونَ﴾ (الواقعة/82).

(42/و) وأما أزد عمان فيسمون (العنب) خمرأ. قال الله تعالى: ﴿إِنِّي أَرِنِّي أَخَصِرُ خَمْرًا﴾ (يوسف/36) قال: عنبأ. و(القمطير) (الإنسان/10): ما قبض الوجه بلسان همير.

(1) البيت من البحر البسيط، منسوب لابن مزاحم عن حماد في الاغانى 70/6 والتاج (سفن) ومنسوب لذى الرمة في الصحاح، وينسب إلى زهير في أساس البلاغة (خوف) ونسبه البكري في سمط اللآلي إلى فعتب بن أم صاحب، وليس له قصيدة على هذا الوزن، والبيت في المخصص 277/13 غير معزوه، وفي تفسير البيضاوي لأبي كبير الهذلي وليس في شعره ذكر ذلك الميمني في هامش سمط اللآلي 738. والقرء: المتلبّد بعضه فوق بعض، و(السفن) الميرء، والسفن أيضاً: جلد أحشن كجلد التماسيح يُجعل على قوائم السيوف، وسفن من باب ضرب. انظر: الصحاح (سفن) وتهذيب إصلاح المنطق 182/1.

(2) وابن عباس، ورويت عن النبي (ﷺ). وقال عنها ابن جني: هو على حذف المضاف، أي: تفعلون بدل شكركم ومكان شكركم التكذيب. المحتسب 361/2 (العلمية) وقراءة الجمهور: رزقكم.

﴿ أذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴾ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿
 (الصافات/ 62-63) قالوا: جعلها الله عز وجل: حريقاً للظالمين. لغة يمانية، كقولهم:
 فتنت الذهبَ و(أيام حُسوماً)

أي: مُتتابة، بلغة حمير. و(فكهين) مُعجيين، بلغة اليمن.

﴿ لَيْدِي حِجْرٍ ﴾ (الفجر/ 5): لذي لب. قال رجل من مذحج، جاهلي، لابنه:
 وكيف أرجي أن تتوبَ وإنما يُرجى من الفتیان مَنْ كَانَ ذَا حِجْرٍ (1)
 وقد دلَّ هذا على أنَّ العربَ كانت تتكلَّم به قبل أن يجيء الإسلام، فكلُّه
 خارجٌ عن لغة قريشٍ داخلٌ فيها، بما رضي الله به من العربية. وجعل رسولُه
 ينطقُ بلغاتهم عارفاً بها كما قال لرجل: (سَلْ عَنْكَ) (2) فخاطبه بلغته.

فإن قيل: بأيِّ ألسنِ العربِ أنزلَ اللهُ القرآنَ، أبلسانِ بعضها أم بألسنِ
 جميعها؟ إذ كانت العربُ يجمعها اسمٌ في أنهم عربٌ، والنبيُّ، (ﷺ)، عربيٌّ، وهم
 مختلفو الألسنِ بالبيان، متباينو المنطق في الخصوص والعموم؟ فالجواب: إنَّه لا
 سبيلَ للعالمِ إلى عِلْمِ ذلك إلا ببيانٍ مَنْ جَعَلَ إليه بيانَ القرآنِ، وهو الرسولُ عليه
 السلام.

والدليلُ بظاهر الأخبار (42/ ظ) أنه قال: "أنزلَ القرآنَ على سبعةِ أحرفٍ

(1) البيت من البحر الطويل، وهو مختلف في نسبه، فهو للحارث بن منبه الجني في إيضاح
 الوقف 75/ 1، وبلا نسبة في تفسير القرطبي 43/ 20.

(2) لم أقف على هذا الحديث بهذا اللفظ، وإنما هو: (سل عما شئت)، وفي سنن ابن ماجه
 1022/ 2 يريد إن النبي (ﷺ) خففها .

والمرء في القرآن كُفْرًا، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم فردوه إلى عالمه" (1)
فيمكن أن يعني اللغات في تصرف وجوها.

وقال ابن مسعود: لو كان شيء من الحرفين ينهى عن شيء، يأمر به الآخر، كان ذلك اختلافاً، ولكنه جامعٌ لشرائع الإسلام، وأن اختلفت ألفاظ القراءة في معاني التأويل.

فمن لم يعرف اتساع لغات العرب في القرآن ويعلم ألفاظه المختلفة المباني المؤتلفة في المعاني، ضلّ عن معرفة الصواب؛ لأن من القرآن ما يعلم تأويله كل ذي علم باللسان العربي الذي نزل به القرآن، وذلك بإقامة إعرابه المفهم لغاية صوابه، ومعرفة الأسميات بأسمائها اللازمة لها غير المشترك فيها، والموصوفات بصفات الخاصة لها دون ما سواها، فإن ذلك ما لا يجمله أحد من العلماء باللغة طبعاً أو إتباعاً واستدلالاً بالأعراب، لأنه لو سمع تالياً يتلو: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ (البقرة/ 11) لم يجهل أن معنى الإفساد هو ما ينبغي تركه مما هو مضرّة، وأن الإصلاح هو ما ينبغي فعله منفعة. وإن جهل المعاني التي جعلها الله إفساداً والمعاني التي جعلها الله إصلاحاً. فالذي (43/ و) ينبغي أن يعرفه ويتعلمه ما وصفنا من أعيان التسميات العربيات، دون الواجب من أحكامها وهيئاتها التي خص الله بعلمها نبيه، (ﷺ).

(1) صحيح البخاري 258/12، وصحيح مسلم في باب أن القرآن نزل على سبعة أحرف 56/1، ومجمع الزوائد 150/7، وانظر: عمدة القارئ والمقرئ للشيخ أحمد ابن أحمد الشقناني القيرواني 259، وبيان السبب الموجب لاختلاف القراءات وكثرة الطرق والروايات للمهدوي 54.

ويؤيد ذلك قولُ ابن عباس⁽¹⁾: التفسيرُ على أربعة أوجه: وجهٌ تعرفه العرب من كلامها، ووجهٌ: تفسيرٌ لا يُعَدَّرُ أحدٌ بجهالته، ووجهٌ: تفسيرٌ يعلمه العلماء، ووجهٌ: تفسيرٌ لا يعلمه إلا اللهُ، أي: المُتَشَابِه، لا يعلمه إلا اللهُ. فَمَنْ ادعى علمه مع الله فقد أبعد في التأويل.

ومعنى قوله لا يُعَدَّرُ أحدٌ بجهالته. إنما هو: أنه لا يجوزُ لأحدٍ أن يجهلَ من تأويل القرآن ما لا يُدرك علمه إلا بنصِّ بيانٍ عن الرسول (ﷺ)، أو بنصِّه، عليه السلام، الدلالة عليه. فغيرُ جائزٍ لأحدٍ القولُ خيرَ برأيه. لأنَّ إصابته ليست إصابةً موقنٍ أنه مُحَقِّقٌ، وإنما هي إصابةٌ خارصٍ وظانٍ. والقائل في دين الله بالظنِّ قائلٌ على الله ما لا يعلم. وقد قال الله، عزُّ وجل: ﴿يَمَّا أَشْرَكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ أي: حُجَّةٌ ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف/33).

وكذا قولُ رسول الله، (ﷺ): "من قال في القرآن برأيه فأصاب، فقد أخطأ"⁽²⁾. أي: في فعله برأيه، وأن وافقَ قوله ذلك عينَ الصواب عند الله، فقد أثمَّ بفعله ما قد نُهيَ عنه وحُظِرَ عليه.

ومن قصر عن تركية طبعه بمعرفة معاني اللغة، وأن اختلفت ألفاظ الأسماء في لغاتهم، فالأعراب دليلٌ على معاني الألفاظ لاشتماله على بيان جميع الكلام المختلف في التسمية.

(1) القول في تفسير الطبري 75/1.

(2) المعجم الكبير 163/2.

فأهل مكة ⁽¹⁾ يُسمّون (المسوح) التي يجعلُ فيها أصحابُ الطعامِ البُرَّ: (البلاس) و(البلس) ⁽²⁾ وهو بالفارسية: (بلاس وبلاسه). فأمالوها وأعربوها. فقاربت الفارسية العربية في اللفظ والمعنى. وأهلُ المدينة يُسمّون الأكارع: (بالغاء) ⁽³⁾. وهي بالفارسية: بايها ⁽⁴⁾. فتقاربَ اللفظانِ. وأحدهما بالفارسية والآخر بالعربية، واستويا في المعنى، وذلك غير مُنكر.

وكذلك (إستبرق) عربيّ، وهو بالفارسية: استبره ⁽⁵⁾. ولذلك قرأ قوم ⁽⁶⁾: ﴿مِن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ (الكهف/ 31) جعله من البريق. و(جوز) ⁽⁷⁾ بالعربية. وهو بالفارسية: كوز.

والعرب تُنقصُ الحرف من الاسم وتزيل الحرف، وتُميل الحرف اتساعاً ليُعرف المعنى بالرسم الذي تريده، والعجم لا يتسعون كما تتسعُ العرب، وكذا فعلوا في اختلاف الأعراب، ولم يخرجوا عن صحة ترتيب وقياسِ ثدركه الأفهام.

- (1) انظر: المزهري 1/ 79، والصحاح (بلس)، وأدب الكاتب 384.
- (2) بالتحريك: شيء يشبه التين يكثر باليمن، وأهل المدينة يسمون السح بلاساً، وهو فارسي معرّب - ومن دعائهم: أرانيك الله على البلس بالضم، وهي غرائر كبار من مسوح يُحبل فيها التين - (ولعلها التين) - ويُشهدُ عليها مَنْ يُنكلُ به ويُنادى عليه. الصحاح (بلس).
- (3) أدب الكاتب/ 386، وألصاحي/ 44، والمزهري 1/ 266.
- (4) أدب الكاتب/ 386، والمعرّب 99.
- (5) انظر: ألصاحي/ 44، والمعرّب 63، وزهر 1/ 266: استفره.
- (6) وهو ابن مُحَيصين، قرأ بالنصب ويوصل الألف، وذكر ابن جنّي في المحتسب 2/ 74 إن هذه القراءة سهو أدى لسهو، وبها قرأ ابان عن عاصم كما في مختصر الشواذ 79.
- (7) ضرب من الفاكهة يكثر في شمال العراق، وذكر الجواليقي في المعرّب 147، أنه فارسي معرّب.

فلم تزل العرب على ذلك في الجاهلية، هو عندها كلام عربيٌّ بمنزلة ما تكلمت (44/و) به على غير نقصان ولا زيادة ولا إمالة، ثم بعث الله محمداً، ﷺ، فأنزل عليه كتاباً بلسان قومه، ولسانه مشتملٌ على جميع لغاتها.

ألا ترى أن العرب تقول للذي يصلح القسيّ (القمنجر) وهو بالفارسية: (الكمان كز) قال أبو زغبة الأسدي (1) الراجز:

*مثل القسيّ؟ عاجها القمنجر (2)

وإنما ذكر إبلأً قد انحنت أصلابها فشبهها بالقسيّ.

وزعم معمر أنه سمع في لغة ربيعة وقيس، بالجزيرة، من يقول: اللوابي وإنما يريد اللوبياء (3). غير أنهم إذا سألتهم عن واحدها، فقلت: لوبياء، لم يعرفوه ولم يجترئوا عليه، فإذا قلت: اللوابي عرفوه كما تعرفُ سفلى تميم: الأبازير (4)، وهم يريدون (الأبزار) فإذا سألتهم عن واحد الأبازير، لم يعرفوه ولم يجترئوا عليه. وهم مع ذلك يقولون: أكثرت أبازير قدرك.

(1) لم أقف عليه، وفي جمهرة ابن حزم 2/361: وأبو زغبة الشاعر.

(2) هذا شطر بيت من الرجز، وهو غير منسوب في المعرب 301، والمزهر 1/290، والصحاح (قمنجر)، والمخصص 14/40، ونُسب في الجمهرة 3/324 لأبي الأحرز الحماني. قال ابن قتيبة: "المقمنجر" و"القمنجر القواس"، وهو بالفارسية؛ كما نكر. أدب الكاتب 387.

(3) جاء في الجمهرة 2/64: والدجر الذي يُسمى اللوبيا بالفارسية. واللوبياء تقصر وتمد.

(4) معناها التوابل.

و(الأبزار) بالعربية والفارسية: أبزار⁽¹⁾، مفتوحة الأوّل. ولهذا اشباه كثيرة واتساعهم في الأعراب كاتساعهم في غيره، وهو عربيّ كله أصلياً ومُعرباً وأن وافق الفارسية في اللفظ المعنى.

ومما قالت العرب في الجاهلية في كلامهما وأشعارها: (الدّثنت) و(الدّست)⁽²⁾ تريد (44/ظ) الصحراء الواسعة، البسيطة الخالية.

وكذلك، قالوا: (ألخيم) و(السّوس) و(التّوس)⁽³⁾ و(السّخت)⁽⁴⁾ و(الزّور) و(النّحيزة). قال أبو محمد التّوزي: (الصبيعة) و(السليقة) و(النحيتة) (الدسيعة) و(الشمّل) و(الشمّال) والجمع: الشمائل - وكله يراد به: الطبيعة.

(1) جاء في كتاب تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة للجواليقي، بتحقيق عز الدين التنوخي - الملحق بكتاب المعرب/24 ما نصه: "... ومن ذلك التابل والأبزار يفرّق عوام الناس بينهما والعرب لا تفرّق بينهما: التابل والأبزار، والقزح والقزح، والفحا والفحا كله بمعنى واحد، يُقال تويّلت القدر وفحيتها وفزحتها إذا أقيت فيها الأبزار. والأبزار - بفتح الهمزة - وليس بجمع، وهو فارسيّ معرب.

(2) قال ابن قتيبة في أدب الكاتب 384: و (الدّست) الصحراء، وأنشد للأعشى:
قَدْ عَلِمْتُ فَارِسٌ وَجَمِيرٌ وَالْأَعْرَابُ بِالْدَّسْتِ إِيكُمْ نَزَلًا

يريد الصحراء، وهي دثنت بالفارسية.

(3) ومعناه الطبيعة، يقال: الفصاحة من سوسيه، أي من طبعه، وفلان من سوس صدقٍ وثُس صدق، أي من أصل صدقٍ. الصحاح (سوس).

(4) قال الجوهري: السّخق: الشديد. قال أبو الحسن الخياني: يقال هذا حرّ سخت. قال: وهو معروف في كلام العرب. وهم ربّما استعملوا كلام العجم، كما قالوا للمسح: بلاسٌ والسّختيتُ - بالكسر - الشديد أيضاً. الصحاح/سخت/.

اتساعاً في الألفاظ، وتفسحاً في الاسماء، وتنبهياً على عجائب الطبائع في الخلق واختلافها في طبقات ذوي الأفهام، دون الرجال الأبكام.

وجمع السليقة: السلائق. والطبيعة: الطبائع [والنحيتة]: النحائت [والدسيعة]: الدسائع. وأما (السّوس) و(الخيم) و(التّوس) فلا جمع له لأنه فارسي عرّبته العرب.

وقال الراجز، يعني كساء:

تُخَذُّهُ مِنْ نَعَجَاتٍ سَتْ سَوْدٍ جَعَادٍ مِنْ نَعَاجِ الدُّشْتِ⁽¹⁾
تُخَذُّتَهُ وَأُتْخَذَّتَهُ: واحد. وهو يريد الصحراء.

ويقولون: فَلَاةٌ دَشْتٌ: واسعة. و: دَسْتٌ: شديدة الانبساط. وذو الرمة قال:

• فَلَاةٌ كَظْهَرِ الكَيْفِ....*⁽²⁾

ولم يجترئ أن يقول: (دشت) ولا (دست) كما قال الأولون من الجاهلية وذلك لقرب تشبهه من طبائع المولدين، ولخطابته إياهم بالخلطة.
وقال الاعشى⁽³⁾:

(1) بيت من بحر الرجز لرؤية بن الحجاج في ذيل ديوانه 23/1، وبلا عزو في مجاز القرآن 243/2، والخصائص 279/1، واللسان والصحاح (دشت) والمزهر 267/1.
(2) لم أجده في ديوانه.

(3) ميمون بن قيس بن جندل أبو بعير، رابع شعراء الجاهلية المقدمين وهو أول من سأل بشعره، وانتجع به أقاصي البلاد. وكان يغني في شعره، فكانت العرب تسميه صنّاجة العرب أدرك الأعشى الإسلام في آخر عمره، كان يفد على ملوك الفرس، ولذلك كثرت الألفاظ الفارسية في شعره. وقد أنشد قصيدة في مدح النبي (ﷺ) مطلعها:

=

قد عَلِمْتَ حَمِيرٌ وفارسٌ والِ أعرابٌ بالدَّشْتِ أَيَكُم نَزَلًا⁽¹⁾
 وقال معمر: سمعتُ أَفَارَ بنَ لقيط⁽²⁾ وأفَار هو: أبو خيرة العدويّ وقد
 كان أَذْرَكَ الجاهلية - يقول: ليسَ لهذا الحبل زور⁽³⁾.

أَلَمْ تُعْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا وَعَادَكَ مَا عَادَ السَّلِيمَ الْمُسَهَّدَا
 وهو القائل كذلك:

تقولُ بنتي وقد قرَّبتُ مُرْتَحَلًا ياربُ جَنَّبِ أَبِي الأوصَابِ والوجعَا
 عليكِ مثلُ الذي صَلَّيتِ نومًا فَإِنَّ لِجَنبِ المرءِ مُضْطَجَعَا

انظر: جمهرة أشعار العرب 1/ 321، 121، معجم الشعراء المخضرمين 32،
 والاشتقاق 354، والبيان والتبيين 4/ 83، 84.

- (1) البيت من البحر المنسرح وهو في ديوانه 237، وفي أدب الكاتب 384.
 (2) من فصحاء العرب المشهورين الذين سمع منهم العلماء، وأخذوا عنهم، ونقل ابن
 النديم في الفهرست: أنه كان يجلس على زبالة عالية واجتمع إليه أصحابه يأخذون عنه،
 فقال: ما هذه القنحة؟ فقال بعضهم أنك لعلى شبح منها.
 (3) الزور: القوة. وزور فلانُ الكلام تزويراً، إذا قواه وشدده، وبه سمى شهادة الزور؛ لأنه
 يقويها ويشددها، وزعموا أنه فارسي معرب، لأن الزور بالفارسية: القوة والزور بمعنى
 القوة، حكيت بضم الزاي وبفتحها، وفي اللسان (زور) عن أبي عبيدة، في قولهم ليس
 لهم زور - بفتح الزاي - أي ليس لهم قوة ولا رأي، وحبل له زور، أي قوة، قال: وهذا
 وفاق بين العربية والفارسية.
 وقال محقق المعرب العلامة أحمد محمد شاكر: وقد يكون هذا وفاقاً كما قال أبو عبيدة
 ولكن المطلع على المادة ومعانيها في لغة العرب يجزم بأن الكلمة عربية لأصلية المعرب
 هامش 8 ص 165 - 166.

يريد: (45/و) ليس له قوّة. والفرس يقولون في ذلك: زورس ناشت و: نيشت او زاروا فقد استويا في اللفظ والمعنى. والعرب أولى وأحرى أن يُضاف ذلك إليها لأنهم يقولون: زوّرتَ كلامك. أي حسنته وقوّيته. و: زوّرتَ لي كلاماً حسناً. وشهادة الزور من ذلك، يُزيّنُها الشاهد بما ليس فيها. وأما (الخيم) بالعربية والفارسية. فهي: الطبيعة. قال الشاعر:

وَمَنْ يَنْتَدِعْ خَيْمًا سَوَى سَوْسٍ يَدَعُهُ وَيُرْجِعُهُ إِلَى النَّفْسِ خَيْمُهَا⁽¹⁾

والفرس يقولون: مُردى بَذخيم أي: رديء الطّباع. و: بَذسوس، وبذتوس: أي رديء الطّباع. و(السّخت): الشديد. بالفارسية والعربية. وتقول: السّختيت والسّخت، على وزنين والأمر واحد. قال:

هَلْ يُنْجِيَنِي حَلْفٌ سِخْتِيْتُ أَوْ فِضَّةٌ أَوْ ذَهَبٌ كَبْرِيْتُ⁽²⁾

أي: يمينٌ شديدة. والفرس يقولون: سَقْ كندى سَخْت. كما قالت العرب: قَسَمٌ شديد. فائتفاقٌ مثلُ هذا غير ضائر، كما يقعُ في كلام العرب اختلاف اللفظين والمعنى واحدًا. كقولك: جلستُ وقعدتُ، وذارع وساعد، وأنفٌ وميرسن.

وكذا في اختلاف مراتب الأعراب، يقولون: (45/ظ) انقضّ الجدار،

(1) البيت من البحر الطويل، وفي نسبه اختلاف كبير فلم يثبت لأحد، إذ هو لكثيرٍ عزّه في ديوانه 148، ولحاتم الطائي في ديوانه 305، وللأعور الشّبي في الوساطة 200، لسليمان بن المهاجر في حماسة البعربي 266، ولخالد بن عبد الله الطائي في الفاضل 40، ولذبي الإصبع في محاضرات الأدباء 1/276، ولم يرد في ديوانه.

(2) البيت من بحر الرجز، وهو لرؤبة في ديوانه 26 برواية: هل يعصمني.

وانهدمت الدار. فيرفعون، وكلُّ واحدٍ منه في المعنى: مفعولٌ به؛ وذلك لأنَّ هذا الفعل إنما ذُكِرَ لِيُعْلَمَ أَنَّهُ قد وَصَلَ إلى هذا المذكور، ولم يُذَكَّرْ معه من فعله، فصار كالمالك له. فأرادوا أن يكون بينهما في اللفظ فَصْلٌ حتى يكون لفظ (خرق الثوبين) على غير لفظ (يُحَرِّقُ الثوبان) إذ كان فيه هذا المعنى الذي ذكرنا أَنَّهُ لا يجيءُ معه فاعل فجُعِلَ لفظُ ما لا يجيءُ معه أبداً "مخالفاً" للفظ ما يجيءُ معه الفاعل لأنه قد صار كأنه هو الفاعل بنفسه، وكذلك: طَلَعَتِ الشمس، وجرت السفينة، وهبَّتِ الرياحُ - والله يرسل الرياحَ - لأنَّها كَلَّه لم يُذَكَّرْ معه فاعله في اللفظ، وأما أضفت إليه فعلاً لتُخَيَّرَ أَنَّهُ صار فيه. فَفُصِّلَ بين ذا وبين المذكور فاعله. نحو: أجرى اللهُ السفينةَ، وأطلع اللهُ الشمسَ، وأما قولك: أبكاني زيدٌ وهو ميّتٌ. فأما المعنى: بكيتُ إذ ذكرتُ زيدا

فلما جئت به في اللفظ الذي يكون الفعلُ فيه واقعاً، بل أجرته على ذلك الأعراب.

وفصلوا بالأعراب بين اللفظين في قولهم: أبكى زيدٌ عمراً. و: أبكى زيداً عمرو. وكذلك (46/و): أعجبتُ زيدا دارك. لأنَّ هذا قد يكون أن تقول: أعجبَ زيداً عمرو، فيكون الذي أعجب هذا الأخير، وأن لم يكن منه فعلُ البتة. لكن هذا المعنى قد يكون من الأول إلى الأخير. ومن الأخير إلى الأول، فلما جاء أعجبتُ زيدا دارك كان حالُ زيدٍ كحالِهِ في قولك: أعجبَ زيدا عمرو، والدار لا تُعجِبُ.

وأما قولك: تأمَّ لي فعله. و: تهيأ لي صنعه فصنعتُه. فإنَّ ذا لا يُمكنُ الأخبار عنه إلا هكذا. وهذا معنى مفهوم إنما هو: قد أمكنتني أن أفعل وأن أصنع، والمصنوع لم يفعله بعد. وإنما هو كقولك: فرَضَ عليّ فعلٌ كذا وليس قولك: فعلٌ - لشيءٍ حاضرٍ.

وكذا: فُرِضَتْ عليه الصلاة. ولم تكن صلاة ذات جسم ولا فع ل، وإنما المعنى فُرِضَ عليّ أن أفعل وأن أصلي. فلَمَّا كان نحوذا مفهوماً وكان له نظائر في الكلام، استقام.

فمنها قولك للنساج: اعمل لي هذا الثوب. وإنما معك غزل. وتقول للصواغ: إذا عملت لي هذا الخاتم شارطتك على السوار. وإنما معك ذهب أو فضة.

وإنما وضع الكلام ليذل على المعنى كدلالة الأعراب، وأرادوا أن يكون للمتائي وللمتهيي لفظ (46/ ظ) من الأعراب غير ما يكون للمؤتى والمهياً هذا يكون نصباً لأنه مفعول به، والأول مرفوع معروف المعنى.

وأما (دخرجت الحب فتدحرج) فهذا جسم موجود انقاد لما أردت به وطاوع فعلي، ولا اختيار له. وهذا من اتساع معاني اللغة.

وجاء في الحديث: (رأيتُ علياً في السوق يُدحرج حباً)⁽¹⁾ تواضعاً، والله المنان على عباده بأيسر فعال. وأجزل منال. وهو الكبير المتعال.

وأما ما ذكرت الرواة من العلماء بالتنزيل، وعن أهل التفسير والتأويل، من أن حروف الفواتح في سور القرآن يدل كل حرف منها [على] أنه مأخوذ من أسماء الله، عز وجل، وأن رسول الله (ﷺ) قال: (تعلموا أبا جاد)⁽²⁾ وتفسيره،

(1) لم أقف على هذا الحديث.

(2) لم أقف عليه.

رُوِيَ لَنَا ذَلِكَ عَنْ معاوية بن قُرَّة⁽¹⁾: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ: (وَيْلٌ لِعَالَمٍ جَهْلٍ تَفْسِيرَ أَبِي جَاد)⁽²⁾ فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَمَا تَفْسِيرُ أَبِي جَاد؟ فَقَالَ: (أَمَّا الْأَلْفُ فَحُرْفٌ مِنْ اسْمِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، وَأَمَّا الْبَاءُ: فَبِهَاءِ اللَّهِ، وَالْجِيمُ: جَلَالُ اللَّهِ (وَالِدَالُ: قَدِيرٌ (وَالهَاءُ: الْهَائِيَةُ - نَعُوذُ بِاللَّهِ مِمَّا فِي الْهَائِيَةِ، وَالْوَاوُ: فَوَيْلٌ لِمَنْ هَوَى فِيهَا، وَالزَّايُ: الزَّائِيَةُ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِمَّا فِي (47/ و) الزَّائِيَةِ، وَأَمَّا الْحَاءُ: [فَحِظْوُظُ الْخَطَايِ]⁽³⁾ عَنِ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ، وَأَمَّا الطَّاءُ فَطَوْبَى لَهُمْ وَحَسَنُ مَا بَ، شَجَرَةٌ غَرَسَهَا اللَّهُ تُنْبِتُ بِالْحَلِيِّ، وَأَمَّا يَافَيْدُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَكَلِمَتَانِ: الْكَافُ: كَلَامُ اللَّهِ لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ، وَأَمَّا لَامُ: فَتَلَاوَةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ بَيْنَهُمْ بِالتَّحِيَّةِ وَأَمَّا مِيمُ: فَمُلْكُ اللَّهِ الَّذِي لَا يَزُولُ، وَأَمَّا نُونُ: فَنُونُ وَالْقَلَمُ، يَجْرِي بِمَا هُوَ كَائِنٌ. صَعْفَصُ: صَاعُ بَصَاعٍ - الْجَزَاءُ بِالْجَزَاءِ، قُرَيْشِيَّاتُ: قَسْرَهُمْ⁽⁴⁾ فَجَمَعَهُمْ. يَحْشُرُهُمْ⁽⁵⁾، يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ. فَهَذِهِ رَوَايَةٌ قَدْ جَاءَتْ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِصَحَّتِهَا.

وَسَمِعْتُ بِمَكَّةَ عَنِ الْعَسْقَلَانِيِّ،⁽⁶⁾ لَمْ يَرْفَعْهُ، وَرَفَعَهُ مِسْعَرُ بْنُ

(1) ابن إياس، أدرك سبعين من أصحابه، ثقة، الجرح والتعديل 378/4/4، والصفوة 179/3.

(2) لم أقف عليه.

(3) في الأصل فحظوظ الخطايا، وهذا لا يستقيم ولعل الصواب ما صححناه.

(4) يعني: قاف: قسرهم، وشين: يحشرهم

(6) آدم بن أبي إياس عبد الرحمن بن محمد الخراساني المروزي أبو الحسن العسقلاني، أصله من خراسان ونشأ ببغداد، وبها طلب الحديث ورحل إلى الكوفة والبصرة والحجاز ولقي الشيوخ واستوطن عسقلان إلى أن مات بها سنة (220 هـ)، طبقات الحفاظ 172، تذكرة الحفاظ للذهبي 409/1، وتهذيب التهذيب 196/1، وطبقات ابن سعد 186/7، والمعارف 524، واللباب 339/2.

كِدَام⁽¹⁾ عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري⁽²⁾، قال: قال رسول الله، (ﷺ):
(إن عيسى أسلمته أمه إلى الكتاب، فقال له المعلم: اكتب (بسم)، قال: وما
(بسم)؟⁽³⁾، وعن الربيع بن أنس⁽⁴⁾. قال له المعلم: اكتب ما يقال لك، قال لا
أكتب ما لا أعلم، (قال): وأن كنت لا تعلم علمتكم. قال علمني، قال: الألف:
من الآء الله، والباء: من بهاء الله، والجيم: من جلال الله، والذال: وأدوا
الأمانات إلى أهلها⁽⁵⁾.

قال⁽⁶⁾ وحروف أبي جاد سبع وعشرون مكتوبة على (47/ ظ) العرش. ما
منها كلمة إلا في الآء الله وبهاء الله، وفي مدة قوم وفي آجال آخرين.

(1) ابن ظهير بن عبيدة الهلالي العامري، أبو سلمة الكوفي، روى عن قتادة وعطاء وعدي
بن ثابت، وعنه أبو حنيفة، وسليمان التيمي، وشعبة والسفيانان، قال عنه التوزي: كنا إذا
اختلفنا في شيء سألنا عنه مسعراً، وقال شعبة: كنا نسمي مسعراً؛ المصحف، مات (سنة
153 هـ). طبقات الحفاظ 88، تذكرة الحفاظ للذهبي 88/1، وتهذيب التهذيب 10/113،
والمعارف 481.

(2) سعد بن مالك الأنصاري الخزرجي المدني، كان من علماء الصحابة، وعمن شهد
الشجرة، روى أحاديث كثيرة وأفتى مدة. مات (سنة 74 هـ). طبقات الحفاظ 19، تاريخ
بغداد 1/180، تذكرة الحفاظ للذهبي 1/44، وشذرات الذهب 1/81.

(3) الحديث أخرجه الطبري 1/121 بسنده عن ابن مسعود، وفي إسناده إسماعيل بن يحيى،
وضعه السيوطي في اللآلي 1/172، فقال ضعيف، إسماعيل بن عيسى كذاب.

(4) البصري ابن زياد البكري سمع من أنس، وروى عن أبي العالية، مات في خلافة
المنصور. الجرح والتعديل 1/1/454، ولمعرف 466، والتاريخ الكبير 3/272.

(5) يبدو أن هناك تناقضاً في الكلام وخلطاً؛ فالمعلم سأله أولاً عن (بسم) ولم يسأله عن
(أجد).

(6) يعني الربيع.

فأما ابن عباس فقال ليس شيء إلا وله سبب، وليس كل أحد يفتن له، ولا بلغه علم ذلك، إن لأبي جاد لحديثاً عجيباً أما أبو جاد: فأبى آدم الطاعة وجد في أكل الشجرة، وأما هواز: فنزل آدم فهوى من السماء إلى الأرض، وأما حطّي، فحطت عنه خطيئته، وأما كلمن: فأكل الشجرة ومُنّ عليه بالتوبة، وأما صعفص: فعصى آدم ربه فأخرج من النعيم إلى التكد المقيم، وأما قريشيات: فأقر بالذنب، وسلم من العقوبة.

وقال قوم: بل هي أسماء الأيام الستة التي خلق الله تعالى فيهن السماء والأرض. قال الضحاك⁽¹⁾: ليس منهن يوم إلا له اسم أبجد، هوز، حطّي، كلمن، صعفص، قريشيات. فهذه ستة أيام، أولها الأحد وآخرها الجمعة.

والأصوب في قياس اللغة والأشبه بالصواب أن تكون أسماء إماء لقوم وأما لأيام. فأما ما رُفِعَ إلى رسول الله، (ﷺ)، فلو صح ما عدل عنه ولا اختلف فيه، ولكنها أسانيد مفردة واهية لا يجوز الاحتجاج بها، وقد اختلف فيها المتأولون. فأعدل الصواب وأجزل المقال، أن يُختار القول الذي على دلالة واضحة من معروف كلام العرب.

وشاهد فطرة العقل أن قول القائل: أبو جاد بكنية آدمي أشبه منه بالحروف المقطعة التي يدل كل حرف منها على ما فصل من اسم أو فعل. وكذا هواز بأسماء بعض بني آدم أشبه منه بحروف المعجم هواز نظير روماد وجواب. والعرب تقول هواز من (هوز)، إذ ذهب وحطّي على وزن (فعلّي) مثل:

(1) ابن مزاحم الهلالي، أبو القاسم الخراساني في المفسر، صدوق كثير الإرسال من الطبقة الخامسة (مات سنة 105هـ)، طبقات المفسرين (دار الكتب العلمية) 155، و التاريخ الكبير 4/332، وغاية النهاية 1/337، وميزان الاعتدال 2/325.

دُبِّيَّ ودُرِّيَّ أشبهُ منه بالحروف. وأنَّ كَلْمُنْ بالاسم الذي يأتي على مثل (فَعْلُول) ⁽¹⁾ كـ (القَرَبُوس) ⁽²⁾ و(طرسوس) أشبهُ منه بذلك. وأنَّ صَعْفَصَ بالاسم الذي يأتي على مثل (فَعْلَل) مثل جعفر وزنفل، أشبهُ منه بغير ذلك وأنَّ قُرَيْشِيَّات بالاسم الذي يأتي على (فُعَيْليَّات) التي هي نظيرُ (عُرَيْشِيَّات) ⁽³⁾ و(وصُئيَّعات) ⁽⁴⁾ أشبهُ منه به. واللغة دليلة متبعة إذا كان الأمر كذلك فلا شكَّ أنها المُسمِّيَّات بهنَّ. إمَّا من بني آدم أو من غيرهم.

ولو كان كما قيل، أنها حروف هجاء كل حرفٍ منها من كلمة، وإمَّا من فعل، و(إمَّا) اسمٌ ينفصلُ منه، فاستغنيَ بذكره عن سائر (48/ظ) حروف ذلك

(1) يريد أن الأصل (كَلْمُون) وأنَّ الواو حذفت للاختصار وما لا يجاز، وسيذكر المؤلف ذلك.

(2) قال الجوهري: القَرَبُوس للسرّج، ولا يُخَفَّف إلا في الشعر مثل طَرَسُوس؛ لأنَّ (فَعْلُول) ليس من أبنيّتهم.

الصحاح (قربس) وانظر: ليس في كلام العرب 253.

(3) بضمّ أوله، وفتح ثانيه بعده ياء ساكنة وتاء معجمة بائنتين من فوقها مكسورة، ثم نون على لفظ تصفير الجمع: وهو من مواضع ديار بني أسد، كما ذكر البكري في معجمه 81/2، 200/3 وأنشد قول بشر بن أبي خازم:

عَفَا مِنْهُنَّ جِرْعُ عُرَيْشِيَّاتٍ فَصَارَةُ فَالْفَوَارُغُ فَالْحِجْسَاءُ.

وقال عنه سيبويه: أصل هذا الاسم (عَرْتَن)، وهو الشجر المعلوم، ثم جُمِعَ بالألف والياء.

انظر: الكتاب 4/270.

(4) بضمّ أوله وفتح ثانيه.... مِياة لِعَطْفَان، قال زهير بن أبي سلمى:

فأورَدَهَا مِياة صُئيَّعاتٍ فَالْفَاهُنَّ لَيْسَ بِهِنَّ ماءٌ.

معجم ما استعجم 3/119.

الاسم أو الفعلِ لدلالته عليه - لجاءً مَقْطَعاً كما جاءتْ أوائلُ السُّور. ولم يجيء مجيء أسماءٍ وكثيٌّ على ما يُعرفُ من أبنيةِ أسماءِ العربِ وكُنَّا هاوٍ [ما] لم يُعرف. ولكنها وَقَّفتْ لأنَّ الأعرابَ أنما يَدْخُلُ على الأسماءِ إذا كانَ لها مُعْرَبٌ.

فأمَّا إذا لم يُقصدَ قص الخبر عنها بما يُعرَّبها فلا وجهَ لأعرابها. ولو أُخبرَ عنها مُخبرٌ لوجبَ أنْ يُلزِمَها من وجوه الأعراب ما يُلزِمُ سائرَ الأسماء، فيقول: هلك أبو جادٍ وبقيَ بعده هوازٌ فَعَرَبِيَّةٌ. غيرَ أنه ما كانَ مثلاً ذلك من الأسماء التي لا تُعْرَبُ في أسماء العربِ وكان من أسماء العجمِ فأنه لا ينبغي أن يُجرَّيه.

فإن قيل: لِمَ كتبوا (أبجد) بغير الواو؟ فالجواب: إنَّ الخطَّ لم يَجْرِ في كلِّ الأشياءِ على قياسِ مُطْرَد. فكتبوا (أبجد) بحذف الواو من (الأب) والألف من (جاد)، لعلمهم بموضعه، طلباً للاختصار والإيجاز إذ كان المراد وصولَ قارئ الكتاب إلى معرفة ما تضمَّنهُ من المعاني، دونَ تقويمِ رسومِ هجاءٍ ما فيه من صور المباني. وكذا القولُ في حذفهم الألفَ من (هوز)، بعد الواو، وحذفهم الواو من (كلمن) بعد الميم، وبهذا احتجَّ أبو عمرو في قراءة: ﴿فَأَصْدَقَ وَأَكُنْ﴾⁽¹⁾ (لنفاقون / 10) أنه إنَّما (49 / و) كُتِبَ (وأكن) كما كتبوا (كلمن)⁽¹⁾.

(1) قرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم وحمة والكسائي: (وأكن) جَزْماً بحذف الواو. وقرأ أبو عمرو وحده (وأكون) بواو.
فحجة من قرأ: (فأصدَقَ وأكن) فهو عطف على موضع قوله: (فأصدَقَ) لأن (فأصدَقَ) في موضع فعل مجزوم.

وبعد، فإنّ هذه الواو من نوع الضم والرفع، وكذا (اليا) من نوع الكسر والحفّض ولا يقعان إلاّ وما قبلهما منهما، كما لا تقع الالف إلاّ وما قبلهما مفتوحاً أبداً فكلُّ واحدٍ من هذه الحركات قد ينوبُ عمّا هو من جنسه ونوعه، فينوبُ الفتحُ عن نوعه الذي هو الألف، والضمُّ عن نوعه الذي هو واو، والكسرُ عن نوعه الذي هو ياء. ولا حرفَ من سائر حروف المعجم سوى ذلك ينوبُ عن غيره. فلذلك استجازوا حذف الألف والواو والياء في المواضع التي حذفوا ذلك فيها. إذ كانت الحركات الباقية في الحرف الذي حُذِف ذلك منه دالةً على المحذوف منه، كما قال الشاعر:

إذا ما شاء ضرّوا مَنْ أرادوا ولا يستطيعهم أحدٌ ضرّاراً⁽²⁾
وهو يريد: شاءوا فاكتمى بضمّ الهمزة من (شاء).

وأما قراءة أبي عمرو: (وأكون) فإنه حُمِل على اللفظ دون الموضع، وكانّ الحمل على اللفظ أولى؛ لظهوره في اللفظ وقربه؛ ولأنّ ما لا يظهر إلى اللفظ - لانتقاء ظهوره - قد يكون في بعض المواضع بمنزلة ما لا حكم له. وزعموا أنّ في حرف أبي: (فأتصدّق وأكون).

انظر: الحجة في علل القراءات السبع، لأبي علي الفارسي (دار الكتب العلمية) 4/442، السبعة في القراءات 637، والحجة في القراءات السبع لابن خالويه 319، وقراءة أبي كعبي، ومشكل إعراب القرآن 737.

(1) وفي تأويل مشكل القرآن 56: إنّ الكاتب أسقط الواو، كما تسقط حروف المدّ واللين في (كَلَمْن) وأشباه ذلك.

(2) البيت من البحر الوافر، وهو في معاني الفراء 1/91، وفيه أنّ البغدادي قال عنه في شرح شواهد المغني 2/897، إنّ "هذا البيت مشهور في تصانيف العلماء ولم يذكر أحد منهم قائله. وانظر: خزنة الأدب 5/231، والإنصاف في مسائل الخلاف 1/212.

والدليل على أن الاختيار ما قلنا، من أنها تكون أسماء أشبه منها بالحروف - أن الرواة قال بعضهم⁽¹⁾: هوّاز وأخواتها أسماء ملوك مَدِين، سُمّوا بالحروف لئلاً تبيد، وهلكوا في زمن شُعيب - عليه السلام، يوم الظلّة⁽²⁾ (الشعراء/ 189) فكان أعظمهم كَلْمُن، فلَمّا هلك قالت أخته:

كلمن قد ههدركني هلكه وسَطَ الحُلّة⁽³⁾

وكان شعيب (49/ظ) بن صفوان بن عنقاء بن ثابت بن مدين بُعث إليهم فعصوا. وقال الشعبي⁽⁴⁾: كفر قُرَيْشِيّات فمُسِخ أحداها قاله سبعة أروس بعدد حروف قُرَيْشِيّات، فقال رجل⁽⁵⁾ من أهل مَدِين:

ألا يا شعيبُ قد نطقتَ مقالةً سببتَ بها عمراً وحيّ بني عمرو
ملوك بني حُطَي وهوّاز منهم وصعفصُ أهلٌ للمكارم والفخر⁽⁶⁾

(1) هو الإمام الشعبي كما في تفسير الطوسي 50/1.

(2) من قوله تعالى: (فأخذهم عذابُ يومِ الظلّة) قال الجوهري في الصحاح/ ظلل/: "عذابُ يومِ الظلّة" قالوا: غيمٌ تحته سَمومٌ.

(3) البيت من مجزوء الرمل، وله حكاية وتنمة سأذكرها بعد قليل إن شاء الله.

(4) عامر بن شراحبيل أبو عمرو التابعي الكوفي، من كبار الفقهاء، أدرك خمسمائة من الصحابة، وكان يقول: ما كتبتُ سوداء في بيضاء قط، ولا حدّثني رجلٌ بحديث فأحببتُ أن يعيده عليّ، ولا حدّثني رجلٌ بحديث إلا حفظته.

انظر: طبقات الحفاظ (العلمية) 40، والمعارف 449، واللباب 2/198.

(5) هو المنتصر بن المنذر المدني كما في مروج الذهب 2/150، والمزهر 2/348.

(6) البيتان من البحر الطويل، وهما في تاج العروس مادة/بجد/وقد وجدتُ من النافع أن أسوق كلام الجوهري كلّهُ عن أبجد هوّز، حيث قال في التاج/بجد/:

(وَأَبْجَدُ، كَأَحْمَرٍ، وَقِيلَ مُحْرَكَةٌ سَاكِنَةٌ الْآخِرِ، وَقِيلَ أَبَا جَادٍ، كَصَيْفَةِ الْكُنْيَةِ إِلَى قَرَشْتِ، حَرَكَةٌ سَاكِنَةٌ الْآخِرِ، وَ (كَلَّمُنْ)، بِالضَّبْطِ السَّابِقِ: رَيْسُهُمْ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُمْ كَانُوا مُلُوكَ مَدْيَنَ، كَمَا قِيلَ، وَفِي رِبْعِ الْأَبْرَارِ لِلزُّخْرِيِّ أَنَّ أَبَا جَادٍ كَانَ مَلِكًا مَكَّةَ، وَهُوَ زُ وَحُطِّي يَوْجٌ مِنَ الطَّائِفِ، وَالْبَاقِيْنَ بِمَدْيَنَ. وَقِيلَ: بَلْ إِنَّهَا أَسْمَاءُ شَيْطَانِيْنَ، نَقَلَهُ سَحْنُونٌ عَنِ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ وَقِيلَ: أَوْلَادُ سَابُورَ، وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ.

وَهُمْ أَوْلُ مَا وَضَعُوا الْكِتَابَةَ الْعَرَبِيَّةَ عَلَى عَدَدِ حُرُوفِ أَسْمَائِهِمْ. وَقَدْ رُوِيَ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، وَعُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّهُمَا قَالَا: أَوْ مَنْ وَضَعَ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ قَوْمٌ مِنَ الْأَوَائِلِ نَزَلُوا فِي عَدْنَانَ بْنِ أَدَدَ وَاسْتَعْرَبُوا، وَأَسْمَاءُهُمْ: أَبْجَدُ، وَهُوَ زُ، وَحُطِّي، وَكَلَّمُنْ، وَسَعْفَصُ، وَقَرَشْتُ، فَوَضَعُوا الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ عَلَى أَسْمَائِهِمْ، وَهَكَذَا ذَكَرَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ حَمَزَةُ بْنُ الْحَسَنِ الْأَصْفَهَانِي قَالَ: وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُمْ هَلَكُوا يَوْمَ الظُّلِّ مَعَ قَوْمِ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ ابْنَةُ كَلَّمُنْ - مُحْرَكَةٌ - وَقِيلَ - بِالضَّمِّ - وَيُقَالُ بِسُكُونِ الْمِيمِ مَعَ التَّحْرِيكِ، وَمِنْهُمْ مَنْ ضَبَطَهُ بِالْوَاوِ بَعْدَ الْمِيمِ - وَفِي (أَلْفِ بَا) لِلْبَلْبُورِيِّ أَنَّهَا أَخْتُ كَلَّمُنْ، تَرْبِيهِ: وَفِي التَّكْمَلَةِ تُؤْبَى:

* كَلَّمُنْ هَدَمَ رُكْنِي *

وَفِي أَلْفِ بَا:

ابن أمي هدم ركني	هَلَكُوهُ وَسَطُ الْحُلَّةِ
سيد القوم أتاه الـ	سَحَتْ نَارًا وَسَطُ ظَلَمَةٍ
جعلت ناراً عليهِ	دارهم كالمضمجلة

وقال رجلٌ من أهل مَدْيَنَ يرثيهم، فذكر البيتين، ثم ذكر لهما ثالثاً وهو قوله :

هُمُ صَبَّحُوا أَهْلَ الْحِجَازِ بَغَارَةً كَمِثْلِ شُعَاعِ الشَّمْسِ أَوْ مَطَّلَعِ الْفَجْرِ

... وَذَكَرَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَقِيَ أَعْرَابِيًّا فَقَالَ لَهُ: هَلْ تُحَسِّنُ أَنْ تَقْرَأَ

القرآن؟

قال: نعم. قال: فاقراً أم القرآن. فقال والله ما أحسنُ البنات فكيف الأم. قال: فَضْرَبَهُ ثُمَّ
أسلمهُ إلى الكتاب، فمكث فيه ثم هَرَبَ وأنشأ يقول :

أيتُ مهاجرينَ فعلموني ثلاثة أسطرٍ متتابعاتٍ

كتابَ الله في رَقٍّ صحيحٍ وآياتِ القرآنِ مفصلاتٍ

فخطُّوا لي أبا جادٍ وقالوا تعلمُ سَعْفَ صاً وقُرْبَ شاتٍ

وما أنا والكتابةُ والتَّهْجِيُّ وما حظُّ البنين من البناتِ

ثم وَجَدُوا بَعْدَهُمْ أَحْرَفًا لَيْسَتْ مِنْ أَسْمَائِهِمْ، وَهِيَ: الشَّاءُ، وَالْحَاءُ، وَالذَّالُ،
وَالضَّادُ، وَالظَّاءُ، وَالغَيْنُ، يَجْمَعُهَا قَوْلُكَ: (تَحَدَّثَ) حَرَكَةٌ سَاكِنَةٌ الْآخِرُ، وَ (ضَمَّغَ) بِالضَّبِطِ
الْمَذْكُورِ، وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ: ظَعَشَ - بِالشَّيْنِ - بَدَلَ الْغَيْنِ، فَسَمَّوْهَا الرُّوَادِفَ.

وقال قُطْرُبٌ: هُوَ أَبُو جَادٍ، وَإِنَّمَا حُذِفَتْ وَامِرُهُ وَالْفَاءُ؛ لِأَنَّهُ وَضِعَ لِدَلَالَةِ الْمُتَعَلِّمِ،
فَكُرَّةَ التَّطْوِيلِ وَالتَّكْرَارِ، وَإِعَادَةَ الْمَثَلِ مَرَّتَيْنِ، فَكَتَبُوا (أَبْجَد) بِغَيْرِ وَاوٍ وَلَا أَلْفٍ؛ لِأَنَّ
الْأَلْفَ فِي أَبْجَدٍ وَالْوَاوُ فِي هَوَزٍ قَدْ عُرِفَتْ صُورَتُهُمَا، وَكُلٌّ مَا مُثِّلَ مِنَ الْحُرُوفِ اسْتَعْنِي
عَنْ إِعَادَتِهِ... وَقَدْ سَرَدَ نَصَّ هَذِهِ الْعِبَارَةِ أَبُو الْحَجَّاجِ الْبَلْخَوِيُّ فِي (الْفِ بَا) أَيْضًا.

ثم الاختلاف في كونها أعجميات أو عربيات كثير، فقليل إنها كلها أعجميات كما جوزه
المبرد، وهو الظاهر، ولذلك قال الأسيدي: لأشك أن أصلها أعجمية أو بعضها أعجمية
وبعضها عربي، كما هو ظاهر كلام سيبويه، وغير ذلك مما ذكره الرضي وغيره. ووسع
الكلام فيها الجلال السيوطي في المزهري.

قلت - والقول للجوهري -: وبقي إن كان (أبجد) أعجمياً كما هو رأي الأكثر
فالصواب أن همزته أصلية، وأن الصواب ذكره في فصل الهمزة كما أشار إليه شيخنا.
وجزم جماعة بأن أبجد عربي، واستدلوا بأنه قيل فيه: أبو جاد بالكنية، وجاد من الجود،
وهو قول مرجوح أ. هـ.

=

وقد جاء في خطّ المصحفِ حَذَفَ الألفِ والواو والياء في المواضع المختلفة لذلك. وحُذِفَتِ الياء في مواضعٍ لا تُحذَفُ في مثلها، ولكِنَّه اتساعٌ في الخطِّ، وإيجازٌ في اللفظ، كقوله: ﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ ﴾ (النساء / 146) والأصل: يُؤْتِي اللهُ، وكذا قوله: ﴿ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾ (الرعد/9)، لأنَّ هذه الياء ⁽¹⁾ لامُ الفعل، فإثباتها واجب.

فأما من زعم أن في القرآنِ واواتٍ مزيّدة، وأنَّ الكلامَ بطرحِها تامٌّ، كقوله: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا وَقَفَّتْ قُرُونُهَا ﴾ (الزمر/73) المعنى: فُتِحَتْ. وكذا قوله: ﴿ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ (٧٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ (الزمر/73-74) والواو دَخَلُوا لأنَّهم قد أَمَرُوا بذلك، فَقَبِلُوا: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ وَأَوْثَقَنَا ﴾ (الزمر/74) وأذِنَ لنا في دخولِ الجنةِ نَتَّبِعُوا منها حيثُ نشاء.

فأما قوله في أهل النار: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا فَتُحْتِ أَبْوَابُهَا ﴾ (الزمر/71) إِنَّمَا فَتُحْتِ حِينَ جَاؤَهَا (50/و)، وأما الجنةُ فَانَّ أَبْوَابَهَا فَتُحْتِ قَبْلَ مَجِيءِ أَهْلِهَا فِيمَا ذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ فِي الْقُرْآنِ حَرْفًا زَائِدًا لِغَيْرِ مَعْنَى بِهِ (و) لَا تَوْكِيدٍ، فَقَدْ أَبْعَدَ الْقَوْلَ.

أقول: بل هو قول راجح، فهذه كلها عربية محضة، ولكني لا أجد تعليلاً لأقوال كثير من العلماء الذين ردّوا نصف لغتنا العربية إلى الفارسية والرومية والحبشية والقبطية والخورانية وما إلى ذلك؟ وهذا منافٍ ومجافٍ للحقيقة العلمية والتاريخية والإنسانية، وأرى أن كثيراً من هذا الكلام هراء، ومحض افتراء مع أنني أشكك في نوايا وطوايا كثير من العلماء الذين يُعجِّمون ما كان فصيحاً، ويستعجمون ما كان واضحاً وصريحاً.

(1) يعني ياء (يؤتي).

وقول امرئ القيس:

فلما أجزنا ساحة الحيّ وانتحي بنا بطنَ خَبْتِ ذِي قِفَابٍ عَفْتَقَلْ⁽¹⁾

فزعَمَ الأَخْفَشَ والفَرَاءَ⁽²⁾ وغيرُهُمَا⁽³⁾ أَنَّهُ أَرَادَ: انتحي بنا والواو زائدة.

وإنما هذا من سوءِ جسارةِ على توهين العبارة، لأنه يُمكنُ أن يكونَ تَرَكَ الخَبِرَ الذي تَرَكَهُ موجودٌ في القرآن وغيره.

وكذا قولُ أبي كبيرٍ الهذلي⁽⁴⁾:

فإذا وذلكَ ليسَ إلا ذِكرُهُ وإذا مضى شَيءٌ كأنَّ لم يُفْعَلْ⁽⁵⁾

(1) البيت من البحر الطويل وهو في ديوانه بتحقيق ياسين الأوبي 62، وفي أشعار الشعراء الستة الجاهليين (دار الكتب العلمية) 33، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات 54.

(2) في معاني القرآن 2/ 211.

(3) كأبن قتيبة في تأويل مشاكلة القرآن 197.

(4) واسمه عامر بن الحليس، شاعرٌ صحابيٌّ، اشتهر بكنيته: أصابني سهل بن هذيل، والحليس: مصغرُ الحليس؟، بكسر الحاء المهملة وسكون اللام والحليس للبعير: كساء رقيق يكون تحت البرذعة.

وأبو كبير، بفتح الكاف وكسر الباء أسلم ثم أتى النبي (ﷺ) فقال له: أجلُّ لي الزنى. فقال: أتحبُّ أن يوتى إليك ذلك؟ قال: لا. فقال: فأرضَ لأخيك ما ترضى لنفسيك قال: فادعُ لي أن يُذهبَ عني. خزانة الأدب 8/ 209، والشعر والشعراء (دار الكتب العلمية) 404.

(5) البيت من البحر الكامل، وهو في الشعر والشعراء (العلمية) 405، جاء مع قصيدة وهو آخر بيتٍ فيها، والبيت في خزانة الأدب 11/ 58-59 وقد نقل البيت عن كتاب التفسيح هذا، والبيت في مجالس ثعلب 126، والخصائص 2/ 171، والعمدة 2/ 61، والضرائر لابن عصفور 72.

أما أراد فإذا هذا وذلك، وأضمرها، وقال: ليس إلا ذكره أي ضمركم
الحاضر، فأما الماضي فمعدوم الذكر بالأياس منه.

وكذا قول تميم (بن أبي) بن مقبل⁽¹⁾:

فإذا وذلك يا كبيشة لم يكن إلا كلمة حالم بخيال⁽²⁾

فلم يخصص واحداً. لأن كل شيء زائل، فهو كالأحلام.

وإنما أراد من زعم أن الواوات مزيدة أنها جاءت لغير رباط، وهذا مفصل

الكلام.

وقد وصف الله تعالى قريشاً باللدود في الخصام، وقال: ﴿سَلَفُكُمْ بِاللَّيْنَةِ

(1) (وأبي) بالتصغير وتشديد الياء، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، وكان يبكي أهل
الجاهلية، وكان يهاجي النجاشي الشاعر، فهجاه النجاشي فاستعدى عليه عمر رضي الله
عنه، فحبسه، وقيل جلده. عاش مائة وعشرين سنة.

خزانة الأدب 1/ 231، ومعجم الشعراء المخضرمين 69-70.

(2) البيت من البحر الكامل، وهو احد شواهد البغدادي في خزانة الأدب 11/ 58، وعلق
عليه حيث ذكر: أن "الواو" ليست زائدة كما يقول الكوفيون، بل هي عاطفة على مبتدأ
محذوف، والتقدير: فإذا الإمامك وذلك الإمام... فجعل المعطوف والمعطوف عليه شيئاً
واحداً لأجل قوله: لم يكن. وصحح نسبة البيت إلى ابن مقبل عن طريق صاحب كتاب
التفسيح.

واللَّمَّةُ: بفتح اللام، قال صاحب الصحاح. يقال: أصابت فلاناً من الجئة لمة، وهو
المس وال شيء القليل، و (كبيشة) من أسماء النساء، مصغر كبشة بالشين المعجمة،
والحالم اسم فاعل من حلّم - يحلّم من باب قتل - يقتل - حلماً بضممتين وإسكان الثاني
تخفيفاً أي رأى في منامه رؤيا، وكذا احتلم، و (الخيال) كل شيء تراه في الظل. خزانة
الأدب 11/ 60، 1/ 231.

حِدَادٍ ﴿ (الأحزاب/19) أي: بالغوا في الأقاويل البعاد والأفاعيل (50/ظ) الشّداد، والله لا يُخْلِيفُ الميعاد.

ألا ترى قوله: ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الصفات/87) هذه كلمة تهديد ووعيد شديد قال الشاعر⁽¹⁾:

للهِ دركٌ ما تظنُّ بثائرٍ اسهَرْتُهُ عَنْ نَوْمِهِ يَاقِئِدُ⁽²⁾
وكذا اللدُّ موجودٌ في قبائل من العرب، كما جلس معاوية يوماً للناس
مجلساً عاماً فلما اطمأن المجلس بأهله دخل فتى جميل الوجه، مديد القامة، بين
الذّرابة⁽³⁾، فأجتهره⁽⁴⁾ معاوية فقال: ممّن أنت؟ قال من رؤساء السّلوف⁽⁵⁾

(1) هو قيصة بن عمرو الحنفي في الوحشيات 121، أو الجراح الغطفاني في محاضرات الأدباء 174/3.

(2) البيت من البحر الكامل، وقد ورد في الوحشيات واللباب بقافيه مكسورة، وبرواية:

للهِ دركٌ ما ظننت بثائرٍ حرّان ليس عن الثرات براقيد
أخذتُهُ ثم اضطجعت ولم تئنم أسفاً عليك وكيف نوم الحاقيد

(3) الفصاحة، وأذرب الرجل، إذا فصّح لسانه بعد حصرمة، ولسان ذرب: حديد الطرف، وفيه ذرابة أي: حدة.... وأصل معنى الذّرابية: حدة نحو السيف والسنان... وتستعار لإطلاق اللسان مع عدم اللكنة.

تاج العروس/ذرب/.

(4) جاء في الصحاح: جهرت الرجل وأجتهرته، إذا رأيتُهُ عظيم المرأة.

تاج العروس والصحاح/جهر/

(5) والسلف: الناقة تكون في أوائل الإبل إذا وردت الماء. الصحاح/سلف/، يريد أن لا أحد يتقدم عليهم لمكتهم ومنزلتهم العالية.

وحِماة الصنفوف ومُعلمي السيوف ومُقاري الضيوف وعَقْل⁽¹⁾ الألفوف، قال معاوية ومن هُم؟ قال: أربابُ القبابِ والأعْطان⁽²⁾ الرِّحابِ والعِيدانِ الصِّلابِ، والعطايا الرِّغابِ. قال: مَنْ هُم اللهُ أبوك؟ قال: أطولُ الناسِ رماحاً وأكرمهم صِباحاً وأحسنهم صِفاحاً وأبذلهم سَماحاً: بنو عبد الدَّارِ مُقْعَضِيوا⁽³⁾ الأقرانِ ومنازلو الفرسانِ. فقال له معاوية: أنكَ لَتَفَخَّرُ سائرَ اليومِ بأعيرابِ أجلافِ على ذوائبِ قُريشِ الأشرافِ، ونسبِكَ خاملٍ وشرفِكَ ما حِلٌّ. فقال: مَهْلاً فَرُبَّ سَيِّدٍ من قومي مهيبُ الجلالِ، جَمُّ التَّوالِ، كريمُ الفِعالِ، شديدُ المِحالِ، واري الزُّنادِ، عالي العِمادِ، عظيمُ الرِّمادِ، عطاؤه جَهْرُ (51/ و) وأخذه قَهْرٌ ونواله غَمْرٌ⁽⁴⁾، ورُبَّ مَلِكٍ - يا معاوية - بالِتاغِ مُغتَصِبِ بالعزِّ محتجبِ للأَمِّ⁽⁵⁾ مُسْتَلَبِ، قد أبشاه على ضَمَدِهِ⁽⁶⁾ وقومنا من أودِه

(1) يعني: نعطي دية القتيل ولو كانوا الؤفاً، فهي من قولهم: عقلتُ القَتيلَ: أعطيتُ ديةَهُ وَعَقَلْتُ له دمَ فلانٍ، إذا تركتَ القَوَدَ للدية، قالت كبشةُ أخت عمرو بن معد يكرب: وأرسلَ عبدُ اللهِ إذحانَ يومَهُ إلى قومِهِ لا تُعَقِّلُوا لَهُمُ دَمِي. عَقَلْتُ عن فلانٍ، أي: غَرَمْتُ عنه جنايته ؛ وذلك إذا لَرَمْتَهُ ديةً فأدَيْتَها عنه.

انظر: الصحاح/عقل/.

(2) والمعاطن، وهي مَبْرَكُ الإبلِ عند شربِ الماءِ لتَشربَ عَلَلاً بعد نَهْلِ، فإذا استوتفت رُدَّتْ

إلى المِراعِي والأظماءِ. والأعطان الرِّحابِ كناية عن الغنى وكثرة المال. الصحاح/عطن/.

(3) قَعَضْبُهُ، بمعنى: استأصلُهُ كما في الصحاح.

(4) العَمْرُ: الماءُ الكثيرُ، والفرس الجوادُ، ورجلٌ عَمَرَ الخَلقَ وعَمَرَ الرِّداءَ إذ، كان سخياً،

انظر: الصحاح/عمر/ والمراد هنا أنه يعطي الكثير من ماله.

(5) الأَمِّ: الرِّقابِ.

(6) معناه: أبشاه على غضبه (رمم).

وَرَمَمْنَا⁽¹⁾ من لَدَدِهِ⁽²⁾، حتى ماتَ غَيْظاً كَمَدَ الحَبَارَى⁽³⁾ إِذِ قَوْمُكَ مُعْتَصِمُونَ
بِالْأَنْصَابِ وَالْأَزْلَامِ، يَكْظُمُونَ عَلَى الْأَوْتَارِ، فَقَالَ مَعَاوِيَةَ: أَنِي أَحَالُ جَهْلَكَ
سَيَذْرَأُ بِكَ فِي صَدُورِ الْمِهَالِكِ، وَلَوْلَا فَضْلُ أَنَاةٍ وَعَوَاطِفِ حِلْمٍ، لَسَطُوتُ بِكَ
سَطُوتَةً تَكُنُ لِمَنْ طَمَحَ بِهِ جَهْلُهُ بَعْدَكَ نِكَالاً.

فقال الفتى: دون ذلك لو رمته رجال أنف، وخيل خنف، ورماح رُغف
وسيوف حُذف، وإنا وإياك لكما قال الأول⁽⁴⁾، يعني اليمامة:
هَلَمْ إِلَيْهَا قَدْ أَنَاَفَتْ عَرُوسُهَا وَكَرَّتْ عَلَيْهَا الْمُنْجِنُونَ تُكَدِّسُ⁽⁵⁾
تُمَثِّلُ بِهِ عَلَى طَرِيقِ التَّهَكُّمِ وَالْوَعِيدِ. أَي، إِنْ قَدَرْتَ فَتَقَدَّمْ، فَكَانَ الْأَعْرَابِيُّ
مِطْعَنًا سَلَاقًا، حَسَنَ الْوَجْهِ مِبْهَاجًا يِقْتَحِمُ الْبَلَاغَةَ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا.

(1) أي أصلحنا، جاء في الصحاح: رَمَمْتُ الشَّيْءَ أَرَمُهُ وَأَرَمُهُ رَمًا وَمَرَمَةً إِذَا أَصْلَحْتَهُ، يُقَالُ:
قَدْ رَمَّ شَأْنُهُ
(2) الشدة في الخصومة.

(3) هذا مثل من أمثال العرب، وذلك أنهم يقولون: مات فلان كمد الحبارى، انظر: مجمع
الأمثال 2/ 170، وجمهرة الأمثال 133، والحيوان 5/ 445. وعندهم أن الحبارى إذا
تُحَسِّرَ وَقَعَ رِيشُهُ فَيُرِيدُ الطَّيْرَانَ فَلَا يَقْدِرُ فَيَمُوتُ. وَذَكَرَ الزَّيْدِيُّ فِي تَاجِ
العروس/ حبر/ شرحاً مقارياً لهذا حيث قال: فلان مَيَّتَ كَمَدَ الحَبَارَى. وَذَلِكَ أَنَّ تُحَسِّرُ
مَعَ الطَّيْرِ أَيَّامَ التُّحْسِيرِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ ثُلُقِيَّ الرِّيشِ، ثُمَّ يُنْطِيءُ نَبَاتُ رِيشِهَا، فَاذَا طَارَ سَائِرُ
الطَّيْرِ عَجَزَتْ عَنِ الطَّيْرَانَ فَتَمُوتُ كَمَدًا، وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي الْأَسْوَدِ الدَّؤَلِيِّ:
يَزِيدُ مَيَّتَ كَمَدَ الحَبَارَى إِذَا ظَعَنْتَ أُمِّيَّةً أَوْ يُلْمُ.

أي يموت أو يقرب من الموت.

(4) هو الشاعر المتلمس.

(5) البيت من البحر الطويل وهو في ديوانه/ 122، باختلاف بعض الألفاظ.

قال ربيعة بن الحارث:

أكرم بقوم رسول الله شرعهم
يدعو إلى الحق ميمونا نقيثه
إذا تفرقت الأشياء في الأمم
يجلو بضوء سناه داجي الظلم⁽¹⁾

ويقال: كفى بلسان رسول الله (ﷺ)، بياناً في إيجازٍ وأعرابٍ في غير إعجاز،
من غير تمطيط (51/ظ) ولا تشديق.

وقال أبو سفيان بن الحارث⁽²⁾:

ومنا خيرٌ من ركب المطايا
متى ينزل بساحة دار قوم
رسول الله يُسمعنا القرانا
يُغشيها المذلة والهوانا⁽³⁾

(1) البيتان من البحر البسيط، وهذا البيت وحده في سؤالات نافع/ 10 منسوب إلى أبي سفيان، وكذلك في الإتيان 57/2.

(2) ابن عبد المطلب، واسمه المغيرة، ابن عم النبي (ﷺ)، كان أبو سفيان أخا النبي من الرضاعة، وكانت "حليمة السعدية" هي التي أرضعتها معاً، وكان يشبه رسول الله (ﷺ).

كان أبو سفيان شاعراً في بني هاشم، هجا النبي فردّ عليه حسّان بن ثابت بقوله:

ألا أبلغ أبا سفيان عني مغلغلة فقد برح الخفاء

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء

ثم اسلم يوم فتح مكة وحسن إسلامه، وثبت مع النبي، وأحبه الرسول الكريم وشهد له بالجنة مات (سنة 20 هـ) وصلى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

معجم الشعراء المخضرمين 190، خزانة الأدب 4/249، الروض الأنف 2/182-187، ومعجم الشعراء 271، والاشتقاق 67.

(3) البيتان من البحر الوافر.

والقرآن هو لسان إسماعيل، كما قال أمية بن أبي الصلت - وكان حكيماً في شِعْرِهِ، وقد أذْرَكَ من عِلْمِ قريش وهم بقية ولد إسماعيل - يذْكَرُ وفاء إبراهيم بنذره، وطاعة ابنه لأمره، في قوله (تعالى): ﴿يَتَأْتِ أَفْعَلٌ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ سَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصفات/ 102):

ولا إبراهيم الموفى بالثذ
 يكره لم يكن ليصبر عنه
 راختساباً أو حامل الأجزال
 لو رآه في معشر أقبال
 بينما يخلع السراويل عنه
 فكاه ربه بكبش جلال⁽¹⁾
 وقوله: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ (الصفات/ 103) معناه: استسلمنا لأمر الله وأذعنا
 له. قوله: ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ (الصفات/ 103) أي: صرعه. والجواب محذوف لأن
 طاعته قد عرفت، فالتقدير: فلما أسلما سلما وتله فحذف قوله: سلما، وهو
 الخبر والله اعلم.

وقال ابن أوفى العبسي⁽²⁾:

سَلَكْتُ لَهُ بِالرَّمْحِ جَنْبِي قَمِيصِهِ فَحَرَّ تَلِيلاً لِلْيَدَيْنِ وَلِلْقَمِ⁽³⁾

- (1) الأبيات من البحر الخفيف، وهي في شعره 251-253، باختلاف بعض الألفاظ.
 (2) شريح بن أوفى، لم تذكر المصادر من ترجمته سوى أنه شاعر من شعراء الخوارج، معجم الشعراء المخضرمين والأمويين 204.
 (3) البيت من البحر الطويل، وهو لشريح في طبقات ابن سعد 39/5، ولعصام بن وحده في أدب الكاتب 401، وتأويل مشكل القرآن (دار التراث) 569 بلفظ:
 * فخرٌ صريعاً لليدين وللقم *
 واستشهد به على مجيء "اللا" مكان "على" ومثل بقولهم "سقط لفيه" بمعنى على فيه.
 وصدر العجز الذي رواه المؤلف قوله:

ويقال: تله للجين الأيسر والإنسان جينان بينهما الجبهة، قتال الراجز:
ألا يُقاسي الرأس أو يُقنَعُ ما رأسه إلا جيناً أجمع⁽¹⁾

(52/و) أي هو أصلح.

وقوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ (النحل/ 125) أي: إلى دينه (بالحكمة)
أي: بالقرآن.

وسئل هرم بن حيان⁽²⁾ فجودل، فقال: اللهم إني أعودُ بك من شرِّ زمانٍ
يتمرّدُ صغيرهم ويأمل فيه كبيرهم وتقرّبُ فيه آجالهم.

﴿ وَحَدِّدْ لَهُمِ الْآتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل/ 125) هذا قبل أن يُؤمر بالقتال.

وقوله تعالى (52/ظ) ﴿ سَلَفُكُمْ بِالْأَسِنَّةِ جِدَادٍ ﴾ (الأحزاب/ 19) حدُّ كل
شيءٍ: حدُّه ويقال: خطيب مسلّق سلاقٍ ومِسْلاقٍ ومِسْقَعٍ: أي وقّع على سَقْعِ
كلِّ خطابٍ بليغٍ.

و(حدُّ) كلُّ شيءٍ: ذُلُقُهُ وسرعته في المضاء، وقال أبو محمد⁽³⁾: يقال: لسانٌ
ذَلِقٌ طَلِقٌ، وطَلِقٌ - بضمّتين - ويقال: أذلق السيف، أي أحْدَهُ، وانشَدَ لأبي
ذؤيب:

* تناولتُ بالرّمح الطويل ثيابه *

والبيت تجاذبه كثير من القراء فقد نسب إلى الأشعث بن قيس، وإلى المكعب الضبي.
(1) البيت من الرجز، وهو بلا نسبة في ديوان المعاني 2/ 161، وبرواية

* ما رأس ذا جيناً أجمع *.

(2) من الفصحاء الزّهاد، روى عن الحسن البصري وغيره، مات في خلافة عثمان رضي الله
عنه، المعارف 435 و الإصابه 3/ 569، وحلية الأولياء 2/ 119.

(3) التّوزي.

فتخالسا بمذالقين كأنما بهما من التّضجِ المجسّدِ أيدعُ⁽¹⁾
والمجسّدُ: المصبوغُ المشيعُ. والأيدعُ: دمُ الاخوين.
وقال آخر⁽²⁾:

* وقد بَلَغَ الدَّلْتُ الشَّوَارِبَ أَوْ نَجَمَ*⁽³⁾

يعني: حدّ السكين. (ونجم)، يقال: ما نجم هذا الكلام من في فلان أي ما خرج من فمه.

فما من هؤلاء، مع لددهم وتمكّن عداوتهم، أحدٌ طَعَنَ (52/ظ) على قراءة القرآن في لغةٍ ولا أعراب، ولا تقصيرٍ في خطابٍ ولا نقص. هذا عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، لما قدّم عليه غبذ يسوع بن حرب التغلبي وكان لسينا،

(1) البيت من البحر الكامل، وهو في شرح أشعار الهذليين (دار الكتب العلمية) 8/1. جاء في قصيدته المشهورة:

أَمِنَ المَنُونِ وَرِيبِهِ تَتَوَجَّعُ وَالذَّهْرُ لَيْسَ بِمَتِيبٍ مَن يَجْزَعُ
وانظر البيت في جمهرة أشعار العرب 693.

(2) علباء بن أرقم بن عوف بن الأسعد، شاعر جاهلي، كتاب الاختيارين 205، وخزانة الأدب 4/364.

(3) هذا عجز بيت من البحر الطويل ورد ضمن قصيدة طويلة للشاعر في كتاب الاختيارين 209 وصدرة:

* يُثِيرُ عَلِيَّ التُّرْبَ فَحِصاً بِرِجْلِهِ*

وَالدَّلْتُ الحُدَّ. يقال: سثنانٌ مُدَلَّتٌ و"الشَّوَارِبُ": مجاري النَّفْسِ، و"نَجَمَ": طَلَعَ.

وقف بين يديه، وقال: إِنَّ حذريات⁽¹⁾ قريش توهس⁽²⁾ إلينا أنك لنا ضغين، فقال عمر: أجل، وذو طنى⁽³⁾ كمين، قال: وَلِمَ ذاك؟ قال: استأذيتكم الأتاوة المرقومة في كتاب الله فتمكستم عنها، وسأبعث إليكم من يأخذها منكم عن يدٍ وأنتم صاغرون، قال عبد يسوع: إِذْ نَحْدُ أسيافاً حِداداً. ورجالاً شِداداً يدفعون عن بيضيتهم، وتشرع إليكم الأسنّة الرهاف بأيدي أشراف لا اسراف، على خيل غير عجاف، ورجال لم يُهجنوا باقتراف. لا يقبلونكم العشرة يا عبد مناف، فقال عمر: إِذْ نَظَأْكُمْ الضَّمْرُ المَخاصيرُ، على متونها الأَسْدُ المِغاويرُ، فقال يسوع: إِذْ نَلَقَاكَ بالبيضِ المُرَهقاتِ، والدِّلاصِ السابغات فقال عمر: إِذْ نَلَقَاكَ الصَّبْرُ بالويةِ النصرِ، بهم يضمحلّ الكفر ويقذفُ الله بالحق على الباطل فيدمعه فإذا هو زاهق⁽⁴⁾ ﴿وَلَكُمْ أَلْوَيْلٌ مِّمَّا نَصَفُونَ﴾ (الأنبياء/18). فخرج مغضباً وهو يقول:

أبت لأبي حفص مناصلٌ حُدِّدَتْ بِحِرَّةٍ دَمَخٌ أَنْ يُضَامَ إِمَامُهَا
(53/ و) وأمضت له أحكامه سُمَهريّة كأنّ سنا وجه الصباح اضطرأها⁽⁵⁾

فقد جمعت العرب بلاغةً وشعراً وشجاعةً وصبراً، فما ظنك بفصاحة قريش؟ هذا ابنُ عباس جمع مع الفصاحة فطنةً وصباحةً فروت الرواة: أن ملك

(1) لعلها "الحذاريات" بالضم: وهم القوم الذين يُحذرون، أي: يُخوفون، كما جاء في تاج العروس/ حذر/.

(2) من وعاني الوهس: النميمة، فلعله أراد أن أناساً يحذروننا منك وهم بذلك كأنهم يسعون بالنميمة. والله أعلم.

(3) الطئى: لزوق الطحال بالجنب من شدة العطش.

(4) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ﴾ (الأنبياء/18).

(5) البيتان من البحر الطويل.

الروم لما بعث إلى معاوية يسأله عن: رجل لا أب له، ورجل لا عشيرة له، وعن شيء لا قبيلة له، وقبر سار بصاحبه، وعن ثلاثة من الخلق ذوي أرواح لم يخلقوا في رجم، وعن شيء ونصف شيء ليس بشيء، وما موضع لم تُصبه الشمس إلا مرة واحدة، وما بقعة رُفعت من الأرض؟ فتثبت معاوية في الجواب - والعرب تقول: من أعجله الحرص عن التثبت غمرة الخطل وحالفه الزلل، ونصب ورأيه غرضاً للملام، واستهدف لعوارض المكروه من الأيام، ومن زلت به القدم لم يعدم بوادئ الندم وجوائح السدم - فأجاب عنه ابن عباس فقال: من لا أب له: عيسى، ومن لا عشيرة له: آدم، ومن لا قبيلة له: ظهر الكعبة، والقبر الذي سار بصاحبه هو: حوت يونس، والثلاثة: عصا موسى وكبش إبراهيم وناقاة ثمود، والشيء: الرجل الكامل الحازم، ونصف الشيء: الذي إذا نزلت به الأمور شاور ذوي الحجا، والذي ليس بشيء: الرجل لا عقل له، وموضع لم تُصبه (53/ظ) الشمس قط إلا مرة واحدة: البحر - انفلق لبني إسرائيل، وبقعة رُفعت من الأرض: الجبل الذي رُفع كأنه ظلّه.

وهذا داخل في علوم القرآن، لأن القرآن على مثل ما تشتمل عليه الفطن والأفهام.

وقد يأتي فيه اللفظة باطنها مُخالفة لمعنى ظاهرها، كقوله، تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْطِفُونَ لَهُ، كَمَا يَحْطِفُونَ لِكُرِّهِمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ (المجادلة/18) ومُمتنع في الأفهام أن يكونوا شاكين في أمرهم، وهم مبعوثون بعد موتهم وقد عاينوا الآيات وإنما معناه، والله أعلم: أنهم يفعلون فعل مَنْ يَحْسِبُ أنه على شيء، وهم في الحقيقة عالمون أنهم ليسوا على شيء ولكنه كالمثل.

ونظيره قوله: ﴿أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمْ﴾ (هود/101) ولم يوقع الله عز وجل عليهم اسم آلهة على أنها آلهة تُعبد معه - تعالى عن ذلك - وإنما معناه: ما أغنت

عنهم آلهتهم في زعمهم. ولهذا نظائر كثيرة، ومعانيه قريبة عند أهل الفهم والبصيرة ممن إذا سمع ما يرد عليه من لفظ شك أو محسبة أو تظن أو استخبار، اعتبره و ﴿الَّتَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق/37) أي: يشهد بقلبه ما نعي أذناه فلن يكذبا، ولم يكن كما قال الشاعر:

هُمَا حَادِيَاكَ الْيَوْمَ سَاقَا مَطِيَّةً أَلَا رِمَا كُذِبَ السَّمِيعَ عَنِ السَّمْعِ⁽¹⁾
يريد أذناك ساقنا إليك ظناً من القول ولم يكن حقاً. (54/و) (ربما كُذِبَ) فأسكن الذال، لأنَّ العرب تسكن الضمَّ والكسر تخفيفاً.

فإن تهيأ أن يمضي ما سمعه ووعاه على ظاهره أمضاه ولم يطلب له تأويلاً يصرفه إليه، وأن استحال عنده إمضاؤه على ظاهره لدليل من الأدلة صرفه بفهمه وذهنه وعلمه إلى الجهة التي تصلح لها

وكذا سبيل الكنايات إذا جاءت فحقها أن تقصر على أقرب المذكورات فإن جاءت دلالة تستوي بين المذكور الأول والثاني في الكناية دخلاً معاً في الاستثناء، وأن جاءت دلالة تُخرج الآخر وتدخل الأول سلم للدلالة كقوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ هَمَزًا فَانْفَضُوا إِلَيْهَا﴾ (الجمعة/11) فلولا التائيت لكانت الكناية عن اللهو وحده، لأنه آخر المذكورين. ولكن رد المؤنث إلى المؤنث أشبه بالحكمة، وأفسح في فقه العربية، إذ كانت التجارة هي المقصودة بالعناية منهم. وقال أعرابي، فجمع بين الكنايتين فقال:

وَمَا دَبُّ مَنْ قَوْمِي وَقَوْمِيكَ بَيْنَنَا بِنَقْضِ الْعُرَى يَا عَزُّ إِلَّا شِرَارُهَا⁽²⁾

(1) البيت من البحر الطويل ولم أقف عليه ولا على قائله.

(2) البيت من البحر الطويل، ولعله لكثير بدليل (يا عز) وليس في ديوانه.

فلو قصر الكناية على قومها - لأنها أقرب إلى الكناية - لبقى ذكر قومها عارياً من المعنى، وشعره يقتضي الطائفتين جميعاً، أي: لا ينقض العرى بيننا لإشراز الفريقين. والكنايات ضربٌ من المختصرات الموجزات، وليس (54/ظ) يُكنى إلا عن مذكورٍ أو مدلولٍ عليه.

والاختصار وأن كان مُجزياً من الإكثار عند أهل الفطنة والاعتبار، فإنه لا يتقرر في أفهام أهل الغباوة حتى يتبين لهم معناه بالتأكيد والإكثار، فتصير الأطلاة في هذه الحال كالاختصار عند ذوي الأفكار، إذ كانت المعاني لا تتضح لذوي العجز إلا بالبسط والترداد. وكلا الأمرين من الله حكمةً وبيان لخلقه، وامتحاناً لهم بلطفه الرّيح النجیح. إذ كان هو تبارك اسمه أعلم بطبائعهم، منها الذكي والغبي، فهو أقدر على ما يصلح كل فريق منهم. قال الله تعالى: ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (الأنعام/38) و ﴿ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرْنِي لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ (ق/8).

وعبارات العرب العاربة من أولها إلى آخرها لا تنفك من ثلاثة أقسام بها خاطبهم الحكيمُ العلامُ بما يوصل الحقائق إلى الأفهام. فأولها: خطابٌ فيه حذفٌ يُعرف بما بقي منه ما ألقى عنه، وهذا هو الخطاب الموجز، ثم: خطابٌ يُعبر عن المعنى في نفسه بغير نقصانٍ من لفظه يُستدلُّ عليه من غيره، ولا زيادة في آخره يكون تأكيداً لأوله. وهذه هي العبارة المتوسطة تُبين لذوي التفرس واليقظة. وخطابٌ ثالث: يُعبر عن حقيقة المعنى ويزيد عليه بياناً مؤكداً أو برهاناً نيراً ليقربهُ (55/ و) من فهم من بعد عن فهمه، ويُزيل به مواضع الشكوك عن وهمه، وهذه هي العبارة التي لا يقع العذر لمن ادعى أن قد أشكلت عليه أو قصر به الأعراب عن الهداية إليه.

فأما الاختصار الذي يُستدلُّ بباقيه على معنى ماضيه إيجازاً واختصاراً فكقول الله تعالى لبيته، (ﷻ): ﴿ فَإِنْ أَسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْنِيَنَّ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا ﴾

(الأنعام/ 35) فقولهُ: (إن استطعت)، شرط ولا بُدَّ له من جزاء، وجزاؤه: فافْعَلْ، أو كلمةٌ نحوها. فالأعراب قد ألدَّرَ بالإيضاح فَمَنْ ذَهَبَ عن الدلالة بهذا، فقد بَعَدَ عن معرفة الأفضاح.

ومثلُ هذا الحذفِ اختصاراً، من كلام العرب قبل الإسلام - قولُ الكندي⁽¹⁾ لَمَّا تَقَطَّعَ بدنه بقميصٍ مسمومٍ ألبسه إياه ملك الروم، قال:

فلو أنَّها نفسٌ تموتُ جميعَةً ولكنَّها نفسٌ تَقَطُّعُ أنفُساً⁽²⁾

والمعنى: فلو أنَّها نفسٌ تموتُ جميعَةً لَهَانَ عليَّ أمرُها. وكذا قولُ ابن الطُّرَيْبِ⁽³⁾

فأقسِمُ لو شيءٌ أنا رسولُهُ سواك، ولكن لم نجد لك مِذْفَعاً⁽⁴⁾

يقول: لو أنا رسولٌ غيرُك ما أطعنا. فحذف جواب (لو) إذ كان معلوماً أن لا بُدَّ من الجزاء.

(1) امرؤ القيس.

(2) البيت من البحر الطويل، وهو في ديوانه (بتحقيق الأيوبي) 286، بلفظ: تَسَاقَطُ أنفُساً. وقوله: جميعَةً، أراد بها: جميعاً، فبالغ بإلحاق الهاء - وحذفَ الجواب للعلم به، كأنه قال: لَفَنَيْتُ واستراحت.

(3) يزيد بن سلمة بن سمرة، شاعر مطبوع من شعراء بني أمية، مقدّم عندهم، والطُّرَيْبِ أمة، كان حلواً الحديث، شريفاً، متلافياً للمال، عدّه ابن سلام في الطبقة العاشرة من الشعراء الإسلاميين، قتل غيلة سنة 126هـ.

الشعر والشعراء (العلمية) 258، ومعجم الشعراء المخضرمين والأمويين 538،

وطبقات فحول الشعراء 777.

(4) البيت من البحر الطويل، وهو في ديوان امرئ القيس بتحقيق الأيوبي 416، برواية: وجدك لو شيءٌ.... وجدك قسمٌ عربي قديم، تقسم بحده وأبي آباءه.

ومما عليه دليلٌ يُستدلُّ به جواباتُ الأدوات المفصول منها، قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ (فصلت/ 41) لم يصحب (إنَّ) خبرها (55/ ظ) فذكرت العلماء، منهم الاخفش، أنَّ الخبر: ﴿أُولَئِكَ يُتَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (فصلت/ 44) المعنى يقتضي ذلك. والقرآن سورة واحدة يشهد بعضها لبعض. والله الموفق للصواب.

وكذا قوله تعالى: ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ (٩٠) الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ (الحجر/ 90-91)، ﴿فَأَصْدَعِ يَا تَوْمُرُ﴾ (الحجر/ 94) وما بينهما⁽¹⁾ اعتراض. وقوله: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ (الأنفال/ 5). ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ (الأنفال/ 1) فقدّم الكلام. وهذه التشبيهات تقديرها: كما كان كذا، فافعلوا كذا.

وقال الاخفش⁽²⁾: بل المعنى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ (الأنفال/ 74)، ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ (الأنفال/ 5) أي: هذا حق، كما أنَّ هذا حق. وأخبرت عن أبي يعقوب⁽³⁾ لقارئ: أنَّ الاخفش قال في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ (الرعد/ 31) محذوف الخبر، لعلم المخاطب بما يُراد من ذلك؛ لأنَّ (لو) لا بُدَّ لها من جواب⁽⁴⁾.

وقال الكسائي: هو محمولٌ على ما قبله. على قوله: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي

(1) وهو قوله تعالى: ﴿فَوَرِّكَ لِنَسْعَلْنَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (١٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الحجر/ 92-93)

(2) انظر: القول في معانيه 318/2.

(3) يوسف بن موسى بن أسد الكوفي القطان، حدّث عنه البخاري، وأبو داود والترمذي وابن ماجه وابن معين. مات سنة 253 هـ. غاية النهاية في طبقات القراء (العلمية)

350/2

(4) انظر: معاني الاخفش 467/2

أَمَةٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَّمٌ لَتَتَلَوُا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُورِتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِسَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ (الرعد/30-31) الآية، كقولك: فلان هو لا يُحِبُّني ولو مؤلثه. وهذا أوضح القولين، على تقدير: وهم يكفرون بما أنزل الرحمن من القرآن، ولو صادفوه على هذا الوصف. وقد رأيت (56/ و) الأخفش ذهب إليه ورضية، والله اعلم بالصواب.

ولا تصح الانتزاعات بالدلائل من القرآن إلا لكل ذي فهم عليم، فينبغي للمتقي أن يتوقى العجلة في هذه الأشياء فيما بعد عن فهمه، فإن كثيراً من ذلك قد يفضله غيره فيه، وقد لا يدري كيف هو حتى يُنعم النظر ويُجمل الفكر. ومثله في كتاب الله تعالى كثير، والذي ذكرناه هو أبين مما تركناه من ذلك توقياً.

وأما إعطاء الكلام حقه، وتجريده عن الاختصارات وعن التأكيدات، فلا سؤال فيه، كما قال المتلمس⁽¹⁾، فجاء بالشرط وجزائه جميعاً فوقى الكلام حقه:

(1) جرير بن عبد المسيح، شاعر جاهلي فحل، عدّه ابن سلام في الطبقة السابعة من فحول الجاهلية، هجا عمرو بن هند الملك، وحرّم عمرو حبّ العراق على المتلمس، فقال قصيدته المشهورة التي أوردها أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب وهي من المنتقيات ومطلعها:

كم دون مئة من مُستعملٍ قَدَفٍ ومن فلاة بها تُستودعُ العيسُ

إلى أن قال:

فلو غيرُ أحوالي أرادوا نقيصتي جعلتُ لهم فوقَ العرائنِ ميسماً⁽¹⁾
 ومثله ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ (الأنعام/ 9) فأتى بجواب (لو)
 وأكده باللام، فأما المعنى في قوله: ﴿لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ أي: في صورة آدمي، لأنَّ
 المَلَك لو نظرَ إليه ناظرٌ على هيئته لصعقَ أو بعل⁽²⁾. ورُوي: أنَّ الله تعالى قضى
 ألا ينظرَ الناسُ في الدنيا الى مَلَكٍ في صورته التي هي صورته. ولو نزلَ مَلَكٌ ثم
 لم يتوبوا، لم ينظروا. وكان يُلحِقُهُم من اللبسِ والأشكالِ ما لِحِقَ ضعيفُهُم،
 فقالوا: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ (المؤمنون/ 33)، واللبسُ معروف عند العرب،
 يقولون لبسَ عليّ فلان أمره، أي: خلطَ عليّ (56/ ظ) وعمي، فلم أتوجه
 لمعرفة أمره، وما لبسَ قومٌ على أنفسهم إلا لبسَ الله عليهم، قال الله تعالى:
 ﴿وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلِيثُونَ﴾ (الأنعام/ 9). وأما⁽³⁾ معنى التأكيد المبيِّن بالشرح
 والتزويد فله وجوه منها: إنه بلسان العرب، فخطبوا على حسب ما جرى في
 عاداتهم، فكان مما تعودوه بينهم أن يختصروا أحيانا فيلقفه ذوو الفاهمة،
 ويؤكدوا المعاني أحيانا ليفهمه ذوو الفهامة فجاءهم القرآن بمثل ما يعرفون في
 مخاطباتهم ويستعملونه في محاوراتهم، ومنها: إنَّ الله تعالى بيَّنه بضروبٍ من البيان

أَلَيْتَ حَبَّ الْعِرَاقِ الدَّهْرَ أَطْعَمَهُ وَالْحَسْبُ يَأْكُلُهُ فِي الْقَرْيَةِ السُّوسُ

جمهرة أشعار العرب 561-565، الشعر والشعراء (العلمية) 91، طبقات فحول
 الشعراء 155.

(1) البيت من البحر الطويل وهو في ديوانه 29.

(2) بَعَلَ الرَّجُلُ - بالكسر - دُهِشَ. الصحاح/ بعل/.

(3) هذا النوع الثالث من أنواع الخطاب، وهو مما جاء مؤكداً.

للتفاضل، فيفهمه قومٌ يعقلون ويتفكرون، ويجهله آخرون، ليكون فوق كل ذي علم عليم.

وأما إعادةُ قصص الأنبياء فإنَّ الله تعالى له في إعادتها حكمةٌ لطيفة. لم يُنزلْه جملةً، إنما نُزِلَ فِرْقاً، فكانت كلُّ فِرْقَةٍ تنزلُ تصير إلى الحاضرين في وقتها وتعزب عن الآخرين، فيكون لكلِّ حِزْبٍ حظٌّ. ومع ذلك أن الرجل إذا سَمِعَ الموعدة مرةً ثم لم تُعَدَّ عليه خفيَ قَدْرُها وذهبَ عنه وصفُها، فأذا وعظ بها مرةً بعد مرةً صارت نصباً لخواطره وفكره ووفقاً على همته وذكره؛ ولذلك صارت الخطباءُ تُعيدُ الموعدة الواحدة في كلِّ مقامٍ ومشهدٍ ومحضِرٍ، وتُرَدُّ القصةُ في المجتمع بكلِّ مَحْفَلٍ فلا تُسمي ذلك عيياً.

(57/و) وقد يردُّ القارئ الآية مراراً فيزادُ بها ذو الفكرة تذكراً واعتباراً قال الله تعالى: ﴿لِيَذَّبَرُوا مِنِّيهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (ص/29) ولم يقل: ليقراءوا آياته، فيكون قراءة الشيء من التلاوة مرةً مُجْزِيةً من إعادتها حالةً بعد حالة، بل قد دَمَّ اللهُ مَنْ يَمُرُّ بِالآيَاتِ فَلَا يَتَذَكَّرُ بِهَا، ويرى المعجزات فلا يتأملها، قال الله تعالى: ﴿وَكَايِنٍ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ (وسف/105) أي: عن الاعتبار بها.

وكلُّ قصةٍ جاءت فيها فائدةٌ وضربٌ من اللفظ ليس في أختها ليكونَ آتقَ في السمع وأبعدَ من الملال وأقربَ إلى الأفهام والصقِّ بالقلوب، وأشبهَ بالحكمة عند ذوي الأبواب العارفين بقدره ربُّ الأرباب ولم يعنِ بخلقهم لا لاجتلابِ منفعةٍ أو دفعِ مضرةٍ عنه، إذ كان ذلك يوجبُ النقصَ في المحتاج إلى المنفعة.

فوضَّحَ أنَّه تعالى خلق الخلقَ لعلَّه التفضلُ على خلقه، حكمةٌ لا يُنكرُها ذو فهمٍ صحيح. فآلهمتهم تعظيمه، وجبلهم على علمٍ مراده بهم، وأخبرهم بما وعدَ

به المتقين وما توعد به العاصين، فقال تعالى مخاطباً - لمن علم منه أنه
 يبتغي مراماً لسبب الطاغين من المرتابين - خطاباً لفظه أمرٌ وهو خبرٌ في المعنى:
 (57/ ظ) ﴿يَمَعَشَرِ الْجَيْنِ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا
 لَا تَنْفُذُوا إِلَّا بِإِذْنِ رَبِّكُمْ﴾ (الرحمن/ 33) إنما أراد أن ينبههم على أنهم غيرُ مستطيعين،
 كما تقول العرب للرجل، يُريد أمراً صعباً تعلمُ أنه لا يستطيعه ولا يطيقه: مُسُّ
 السماء. و: أزلِ الجبال. وإنما أخبروه أنه لا يقدرُ على ما يحاول، فالمعنى: لا
 تعرضُ لهذا الأمر الذي ترومه.

ولم يدع الله تعالى لفظ الأذن في النفوذ مُرسلاً في القرآن حتى وصله بقوله:
 ﴿لَا تَنْفُذُوا إِلَّا بِإِذْنِ رَبِّكُمْ﴾ (الرحمن/ 33). فوضح الدليل على أنه إنما قرعهم
 بعجزهم عن أن ينفذوا بغير حجة، ثم أكد ذلك بقوله: ﴿فَيَأْتِيءَ آيَاتِنَا رِيكْمًا
 تُكَذِّبُونَ﴾⁽¹⁾ واستدل أهل العلم باللغة أنه لم يتعبدهم بالنفوذ.

وكذا قول الراغبين عن السحر لفرعون: ﴿فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ (طه/ 72)
 فلم يُبيحوه، بل جعلوا الأمر في يديه، فإن يُقدِّم على قتلهم فهو الذي قد وطَّئوا
 أنفسهم عليه، إذ كانوا غير راجعين إلى طاعته بعدما وضح لهم من إصابة الرشد
 في معصيته، وأن يرغب في تركهم فهو الذي قد ندبوه إليه. ولم يتركوا لفظ
 التخيير مُرسلاً فيكون تأويله مُشكلاً، ولم يكن قولهم: ﴿فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ أمراً
 منهم له بقتلهم فيجب عليهم به عقابٌ في آخرتهم إذ أعانوا على قتل أنفسهم،
 (58/ و) وهذا مذهبٌ مشهور في كلام العرب مُستعملٌ عند وقوع الغضب، كما

(1) وردت هذه الآية في مواضع متعددة من سورة الرحمن.

قال أبو صخر الهذلي⁽¹⁾:

فَيَقِينِي أَنْ قَدْ كَلَفْتُ بِكُمْ ثُمَّ أَصْنَعِي مَا شِئْتِ عَنْ عِلْمٍ⁽²⁾
فلم يأمرها أن تصنع ما يكره، ولكن لما لم يجذ منها بُدًا أحب أن يؤكد
لنفسه عندها ما ترعاه به، أو تُقيم على ما أحببت من أذاه، على غلم بما يلقاه،
فيحتمل ذلك ترضياً لها.

فهذا من المخلوقين اختيالاً، وهو من الله - تعالى - تهديداً وإنذاراً كقوله:
﴿ قُلْ يَتَقَوَّمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾ (الأنعام/ 135) و: ﴿ قُلِ اسْتَمْرِعُوا إِنِّي أَنَا اللَّهُ مُخْرِجُ
مَا تَحْذَرُونَ ﴾ (التوبة/ 64) فلا يتهدد الكفار إلا بالسطوة والاقْتدار، كما أمر
عباده بجهاد أعدائهم بقوله تعالى: ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ
وَيَصْرِكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَسْفِئُ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ (١٤) وَيَذْهَبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ
اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة/ 14-15) فهو وأن كان في المحاربة ألم
الجراح وبذل الأرواح، ففي الآخرة النجاح والفلاح، وفي العاجلة تجرُّع الأحقاد
بمسألة الأضداد، وفي مجانبتهم الرشاد والسداد وقد يُبتلى الرجل بكيد خصمه
ويُمنع من الانتصار لنفسه فيود أن الموت نزل به، كما قال الشاعر في بعضهم:
يرى الموت خيراً من حياةٍ وصحةٍ على الذل إن نابت عليه النوائبُ

(1) عبد الله بن سلمة، كان شاعراً أمويّاً يجيد الغزل، وكان تابعاً لبني مروان في الحجاز،
ومدح عبد الملك بن مروان، وهو من الشعراء الهذليين، له شعر رقيق.

معجم الشعراء المخضرمين والأمويين 212، ورسالة الغفران 428، وخزانة الأدب
39/1، شرح أشعار الهذليين (العلمية) 323.

(2) البيت من البحر الكامل، وهو من قصيدة طويلة في شرح أشعار الهذليين (العلمية) 358.

مع أن الله قد أخبرهم: (58/ ظ) ﴿بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كَيْبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ (التوبة/120) فهذا في الأجلة، وفي العاجلة أخبرهم أن محاربتهم مع النصر عليهم شفاء لصدورهم وذهاب لغيظهم، وانتصار من عدوهم، فلو لم يكن في محاربتهم إلا واحدة من هذه الخلال لكان فضلاً عظيماً وحظاً جسيماً. ولذا قال رجلٌ من بني عبد شمس:

دعوتُ الله إذ قُذنا إليهم نلقى منقراً وبنى عمرو
فأني قد نقيمتُ وكان برِّي بقرواش بن حارثة بن صخر⁽¹⁾
وقال شيخٌ من باهلة، وقد دُعِيَ إلى المبارزة، فخرج على فرسٍ أعجمي،
فقال أبو موسى⁽²⁾: بالِ على بالِ، فقال الشيخ:

رأني الأشعريُّ فقال: بالِ على بالِ ولم يعرف بلائني

(1) البيتان من البحر الوافر وهما في الحيوان 6/ 421 لرجل من عبس وبين البيتين بيت آخر:

وكانت حِلْفَةٌ حَلِقتُ لوتِرٍ وشاءَ اللهُ أن أدركتُ وئري.

(2) الأشعري عبد الله بن قيس، استعمله النبي (ﷺ) مع معاذ على اليمن ثم ولي لعمر الكوفة والبصرة، وكان عالماً عاملاً صالحاً تالياً لكتاب الله، إليه المنتهى في حسن الصوت بالقرآن، حدث عنه طارق بن شهاب، ومعيد بن المسيب وخلف، قال أبو إسحاق: سمعت الأسود يقول: لم أر بالكوفة أعلم من علي، وأبي موسى، مات سنة 44 هـ.

انظر: طبقات الحفاظ 15، طبقات القراء 1/ 442، وطبقات القراء للذهبي 1/ 37، الإصابه

ومثلك قد كسرت الرّمح فيه فآب بدائه وشفيت دائي⁽¹⁾

وقد أمر الله تعالى نبيه عليه السلام، أن يُخاطب أعداءه، عند اغتمامهم بما أنعم به عليه: ﴿قُلْ مَوْتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ (آل عمران/119). ومن كلام العرب:

فقلنا لهم موتوا خزايا أدلة ولم نخضب الأرماح إلا من الثغر
(الثغر): جمع ثغرة، وهو موضع النحر بين الحلقوم والصدر، يقول: قد
خضبنا رماحنا من دمائكم (59/و) فموتوا بغيطكم ذلاً، إذ لا تقدر على
الانتصار مما نزل بكم. وقال بعضهم في صفة سيف:

حسام غداة الرّوع حتى كانه من الله في قبض النفوس رسول⁽²⁾

وكذا قوله تبارك اسمه: (مَنْ كَانَ يَظُنُّ) أي: يتيقن بزعمه (أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ
اللَّهُ) أي ينصر محمداً (فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبِ إِلَى السَّمَاءِ) أي: مجبل إلى السقف ﴿فَلْيَنْظُرْ
هَلْ يَدْهَبَ كَيْدُهُ﴾ (الحج/15) إذا تعلق به وقطعه مختبئاً.

وذهب السلمي إلى هذا المعنى فقال:

فدق هجرها قد كنت تزعم أنه رشا، ألا يا ربما كذب الزعم⁽³⁾

(1) البيتان من البحر الوافر، وهما في الحيوان 422/6، والبيت الثاني في بهجة المجالس 475/1.

(2) البيت من البحر الطويل، ومختلف في نسبه، فإلى أبي الهول الحميري في نهاية الأرب 210/6، والأنوار ومحاسن الأشعار 20، وإلى الغنوي في العقد الفريد 217/1.

(3) البيت من البحر الطويل، والبيت في مجالس نعلب 1/236، منسوب إلى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، وفي أمالي القالي 2/20، وخزانة الأدب 9/133، ونسبه القرطبي في تفسيره 14/99 إلى عمر بن أبي ربيعة، وليس في ديوانه.

أي: كانت محبتي لها غرراً ومزعماً كاذباً.

وقيل في قوله: ﴿فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في نصرة رسوله ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ﴾ (العنكبوت/3) أي: لِيَمَيِّزَنَّ⁽¹⁾. كقوله: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَيْثَ مِنْ الطَّيِّبِ﴾ (الأنفال/37) وقيل: فيه معنى آخر، تأويله: فليُعرِّفِ اللهُ ذلكَ لهم وليشكركنَّ المحسنين، كقولك: لأعلمنَّ لك إحسانك وأساءتك. أي: لأكافئتك وكذا قال المفسرون: ليعلمنَّ اللهُ للمؤمنين إيمانهم، أي: يكافئهم كقول العرب: لا عرفنَّ ما صنعت.

وقال معمر: هذا صواب بين في اللغة، حسن جميل، قد جاء في القرآن (59/ظ) مثله قرأ أبو عبد الرحمن السلمي⁽²⁾: ﴿عَرَفَ بَعْضُهُ﴾⁽³⁾ (التحريم/3)

(1) عدها أبو عبيدة معمر بن المثنى من المجاز، فبعد أن ذكر الآية قال: "مجازه: فليميزنَّ اللهُ؟ لأنَّ اللهُ قد علم ذلك من قبل". مجاز القرآن 2/113.

(2) عبد الله بن حبيب بن ربيعة الكوفي، الإمام، مقرئ أهل الكوفة، ولد في حياة النبي (ﷺ)، وقرأ القرآن، وبرع في حفظه، مات سنة 74هـ.

معرفة القراء الكبار للذهبي بتحقيق طيار آلي 146-151، الجرح والتعديل 3/6، وغاية النهاية في طبقات القراء 497/1-498.

(3) (التحريم/3) من قوله تعالى: (عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ)، وبها قرأ الحسن البصري وقتادة وأبو عمرو البصري - والكسائي - وهي قراءة سبعية. انظر: البحر المحيط 8/290، وفي السبعة 640 أنها للكسائي وحده، والباقون بالتشديد. قال الأزهري: من قرأ (عَرَفَ بَعْضُهُ) فالعنى: أن النبي (ﷺ)، قد عرف كل مكان أسرّه إلى حفصة، والإعراض لا يكون إلا عن ما عرفه.

ومن قرأ (عَرَفَ بَعْضُهُ) بالتشديد، فمعناه: خبر بعضه، أي: عرف بعضه حفصة، وأعرض عن بعض أي: عرفها بعض ما أفشت من الخبر في أمر ماريه.

=

مخففة، وزعم الكسائي أن عليا - كرم الله وجهه - خففها⁽¹⁾. ومعنى عرف: غضب منه وجازى عليه، وقد (جازى حفصة بأن طلقها واحدة)⁽²⁾ وهو وجه هذا، والله اعلم. وأنشدوا لطفيل⁽³⁾:

وللخيل أيام فمن يضطرب لها ويعرف لها أيامها الخير يعقب⁽⁴⁾
أي / يحفظ لها.

وكذلك نفاق القائلين: ﴿تَشِيَعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ (الفرقان/8) فسروه على وجهين: سحر من السحر، أي: غر بالسحر، وقيل: بل أرادت قريش الوضع منه بأنه بشر، كقولهم: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ (الفرقان/7) أي هو بمنزلة بشر ممن له سحر - بفتح السين لغتهم، ولغة نجد بالضم يقولون انتفخ سحر كأي: جبت وضعت عن اللقاء، والبطن نصفان: الأعلى منهما هو: السحر منه يخرج النفس والصوت، وهو متعلق بالمريء والحلقوم.

والقلب بضعة واحدة من الفؤاد. وقال الأصمعي: من له سحر يُخدع

انظر: السبعة في القراءات 640، وكتاب معاني القراءات للأزهري (العلمية) 495، والبحر المحيط 8/290.

(1) انظر تفسير الطبري 18/187.

(2) سنن النسائي 6/213.

(3) ابن كعب الغنوي، كان من أوقف الناس للخيل، وكان يقال له في الجاهلية المحبّر لحسن شعره، قال عنه عبد الملك بن مروان: من أراد أن يتعلم ركوب الخيل فليرو شعر طفيل.. الشعر والشعراء (العلمية) 275.

(4) البيت من البحر الطويل وهو في ديوانه/35.

ويُغْرُ بالطعام والشراب كما تُغْرُ العصافير. وإنما ذهب إلى ضعف العصفور - يقولون: فمُحَمَّد كَأَحَدِنَا، فكيف صارَ أَحَقَّ (60/ و) بالرسالة؟ ﴿ وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُنْفِثَ إِلَيْهِ كَنْزًا أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾ (لفرقان/ 7-8) وهم الظالمون ﴿ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾ لا نظام له، وقال حمزة (1):

وعابوا قَتَلْنَا عَمْرًا عَلَيْنَا وما في قَتْلِ عَمْرٍو مِنْ نَدَامٍ
وقالوا: حُرْمَةٌ، وَهُمْ أَبَاحُوا فحَلَّتْ حُرْمَةُ الشَّهْرِ الْحَرَامِ
وقد كانوا هناك أَشَدَّ جُرْمًا بِمَكَّةَ بَيْنَ زَمَزَمَ وَالْمَقَامِ
بِمَا صَدَّوْا الرَّسُولَ وَأَخْرَجُوهُ وقالوا: ما لِأَمْرِكَ مِنْ نِظَامٍ (2)

وَمَنْ تَفَقَّدَ بَدْهَنَهُ مَعَانِي الْأَلْفَاظِ، وَلَمْ يَجِدْ بَعْدَهَا خَبْرًا يَوْضَحُهَا فِيهَا لَا مَحَالَةَ دَلِيلٌ لِمَنْ اخْتَبَرَهَا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَلَا يَعْزُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴾ (غافر/ 4) لِأَنَّ الْغُرَرَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ إِنَّمَا هُوَ تَوْهَمٌ مَا لَيْسَ بِمُسْتَقِيمٍ، فَلَمَّا كَانَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ غَيْرَ دَالٌّ عَلَى سُوءِ عَاقِبَةٍ وَلَا حَسَنِهَا، اعْتَبَرَ الْفَهْمُ بِقَوْلِهِ: ﴿ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ﴾ (آل عمران/ 197) وَعَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ التَّقَلُّبَ عَارٌ عَلَيْهِمْ. فَهُوَ كَلَامٌ مُنْفَرَدٌ بِنَفْسِهِ مُسْتَعْنٍ عَنِ دَلَالَةِ غَيْرِهِ عَلَيْهِ، إِذْ كَانَ التَّقَلُّبُ مَتَاعًا قَلِيلًا. وَهَذَا الْمَعْنَى فِي كَلَامِ

(1) عم النبي محمد (ﷺ).

(2) الأبيات من البحر الوافر.

العرب كثير، كقول أحدهم⁽¹⁾:

فلا تحسبي أنني تخشعتُ بعدكمُ لشيءٍ ولا أُنِي من الموتِ أفرقُ⁽²⁾

فقوله: لا تحسبي، معناه: اعلمي أنني بخلاف ذلك (60/ظ) لأنه نهاها عن وقوع المحسبة فيها ثم تركها في عمياء من أمرها لا تدري أكان ما حسبته حقاً أم باطلاً (61/و) وقال آخر⁽³⁾. في⁽⁴⁾ مثله:

فإن شاء كان الغزوُ جوداً ولدتهُ لديهِ ولكن ما لدى الله أوفرُ

أراد: ولكنّه وفر أمر الله، وماله عنده من الأعمال الصالحة ليُجازيه عليها.

وفي القرآن: ﴿فَاتَّ جَهَنَّمَ جَزَاءً وَكُرْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ (الإسراء/ 63) يقال: وفر الشيء يفره وفرأ وفرأ وفره، ووفرت الشيء وأوفرته ووفرته (بالتخفيف) ولن يكون قوله (مَوْفُوراً) إلا من قولهم: وفرته، بالتخفيف، ولن يجدوا من دون الجزاء الموفور (مُلْتَحِداً)⁽⁵⁾، المُلْتَحِدُ: المُدْخِلُ في الأرض. كما قال خصيبُ الضمري⁽⁶⁾:

(1) جعفر بن عُلبة بن ربيعة الحارثي، أبو عارم، أدرك الدولتين الأموية والعباسية، شاعر غزلٍ مقلِّ، فارس من شعراء الحماسة لأبي تمام، لص.

معجم الشعراء المخضرمين ولأمويين 282، الأعلام 3/125، خزانة الأدب 2/130، سبط اللالي 1/100، ديوان اللصوص 1/180 (دار الكتب العلمية).

(2) البيت من البحر الطويل، وهو في ديوان الحماسة للجواليقي 32، والحلل 190، وشرح التبريزي 1/27، وشرح الموزوقي 1/54، وخزانة الأدب 10/304، وديوان اللصوص (العلمية) 188.

(3) انتهى الجزء الأول من كتاب التفسح.

(4) من هنا يبدأ الجزء الثاني من كتاب التفسح.

(5) الكهف 27، والجن 22.

(6) شاعر جاهلي، ذكر ابن حبيب في "المهبر" 498 مع طائفة من الفرارين العرب.

يا لهفَ نفسي ولهفي غيرُ مُجديةٍ عني وما عنَ قضاءِ اللهِ مُلتحدٌ⁽¹⁾

وروي أن ابن عباس سأل كعباً⁽²⁾ عن أم الكتاب فقال: علمُ الله عز وجل ما هو خالقٌ وما خلقه عاملون، فقال لعلمه: كُنْ كتاباً. وقال ابن سيرين⁽³⁾: أعودُ بالله من مُخبّاتِ القدر، أي ما علمه الله فاستطرز كما أمر، وأنشدوا:

المائع الهادي المٌضِلُّ الرازقُ إذا قضى دانت له الخلائقُ

لأنه بتوفيق الله وصل إلى طاعته، وبمعونته (61/ ظ) بُلِّغَ رضوانه، وبألهامه عرِفَ فضلُه، وبتأييده استحقَّ شكره، وبصنعه تُمَّتِ النعمةُ على عباده.

قال الحسن⁽⁴⁾: إن الله عز وجل، لم يُطعَ بأكراه، ولم يُعصَ بغلبة، ولم يُهمَلَهُم من الملكة، ولم يُخرَجَهُم من القدرة، فهو المالكُ لما أملاكهم والقادرُ لما أقدَرَهُم، فإن ائتمروا بطاعةٍ ورشدٍ لم يكن الله عن ذلك مُبْطِئاً ولا صادّاً، ولكن الذين ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَوَسَّعَتْهُمْ نِعْمَتُهُمْ ﴾ (محمد/ 17) وأن ائتمروا بمعصية فإن شاء الله أن يحولَ بينهم وبين ما ائتمروا به فعَل، وليس كلُّ مَنْ لم يحلِ الله بينه وبين المعصية، حتى ركبها، أجبره عليها، وأبْنُ آدمَ صريعُ دنياه، قتيلُ هواه،

(1) البيت من البحر البسيط، وقد جاء مع أبيات أخر في المحبّر 499، وهو وحده منسوب في

إيضاح الوقف والابتداء 90/1، وبلا عزو في البحر المحيط 353/8.

(2) كعب الأحبار، واسمه كعب بن مائع الحميري.

(3) محمد بن سيرين البصري، الأنصاري، فقيه، محدث، مفسر، معبّر للرؤيا، ولد بالبصرة

ونشأ بزازاً، وكان في أذنه صَمَم، اشتهر بتعبير الرؤيا، استكتبه أنس بن مالك، له كتاب

(تعبير الرؤيا). معجم المؤلفين 59/10، تاريخ الإسلام للذهبي 192/4،

والأعلام 25/7.

(4) البصري.

مُعَدِّمٌ مِمَّا يُحِبُّ بَقَاءَهُ، مُثَّرٌ مِمَّا يَكْرَهُ فَنَاءَهُ، وَالدُّنْيَا تُخْلِقُ الْأَبْدَانَ وَتُجَدِّدُ الْأَحْزَانَ وَتُقَرِّبُ الْمُنِيَّةَ وَتُبَاعِدُ الْأَمْنِيَّةَ، وَالرَّأْيُ وَالهُوَى مُتَعَادِيَانِ، وَمِنْ شَأْنِ النَّاسِ تَسْوِيفُ الرَّأْيِ وَاسْعَافُ الْهُوَى. فَإِذَا اشْتَبَهَ أَمْرَانِ لَا يُدْرَى فِي أَيِّهِمَا الصَّوَابُ، فَمَنْ وَفَّقَ لِرُشْدِهِ نَظَرَ أَهْوَاهُمَا عِنْدَهُ. وَطَبَائِعُ النَّاسِ مُخْتَلِفَةٌ وَأَهْوَاؤُهُمْ مُؤْتَلِفَةٌ، تَوْصَفُ بِجَمَلَتِهَا وَيَضِيقُ الْقَوْلُ عَنْ تَفْسِيرِهَا، وَإِنَّمَا تُوصَفُ إِذَا ظَهَرَتْ، وَلَا تُعْرَفُ بِصِفَةٍ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ، فَمِثْلُهَا كَقَوْلِ الشَّاعِرِ فِي الْمَنْظَرِ الْمُخَالَفِ لِلْمُخْبِرِ:

(62/ و) فمثلُ السيوفِ النَّاسُ والنَّصْلُ وَيَسْدُو لَعِينِ جَفْنُهُ وَحَمَائِلُهُ (1)

وقد أعذر الله إلى خلقه، فقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ ﴾ (التوبة/ 115) أي: يُسَمِّيهِمْ ضَلَالًا وَحَتَّى يَبِينَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ، لِأَنَّ الضَّلَالَ لَا يَقَعُ لِمَنْ لَنْ يَنْتَهَ عَنْ شَيْءٍ ففَعَلَهُ، إِنَّمَا يَقَعُ اسْتِحْقَاقُهُ لِمَنْ أَمَرَ بِشَيْءٍ فَتَرَكَهُ أَوْ نَهَى عَنْ شَيْءٍ فَارْتَكَبَهُ مُخَالَفًا فِيهِ لِمَنْ يَعْبُدُهُ.

وقوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا بِهِ ءَوْ لَا تُؤْمِنُوا ﴾ (الإسراء/ 106-

107) ليس بتخيير، ولكنه تهديدٌ ووعيدٌ لِمَنْ قَالَ: ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَوَّءُو ﴾ (سبا/ 31) فتصدَّ يَقْهَمُ بِالْقُرْآنِ وَتَكْذِيبُهُمْ لَهُ سَيِّانٌ وَمِثْلُهُ: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ (الكهف/ 29) لا تخيير، ولكن تخويفٌ وتحذيرٌ وكذا قوله: ﴿ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾ ثُمَّ قَالَ: ﴿ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (فصلت/ 40). و ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ (الأنعام/ 59) من ظاهرٍ وكامنٍ ووما كلُّ امرئٍ عامل.

فأما قوله تعالى: ﴿ مَنِ ظَلَمْتِ الْبَرَّ وَالْبَحْرَ ﴾ (الأنعام/ 63) وليس بمُظْلَمِينَ،

(1) البيت من البحر الطويل ولم أفق عليه ولا على قائله.

فقالوا⁽¹⁾: تأويله: شدائدهما من قولهم لليوم الذي تلقى فيه شدة: هذا يوم مظلم. وتقول: هذا يوم ذو كواكب أي اشتدت ظلمته حتى طلعت نهارة كواكبه، كما قال الشاعر:

بني أسد هل تعلمون بلاءنا إذا كان يوم ذو كواكب أشهب⁽²⁾.

(62/ظ) قال الأصمعي: إنما ظبطت العربية قبل الإسلام بمئتي سنة. وذلك لخروج النبي (ﷺ) باللسان العربي المين المعاني، وإنما سُميت الجاهلية، لأنها جهلت بما جاء به الأنبياء عليهم السلام.

وقوله: ﴿عُدْرًا أَوْنَدْرًا﴾ (المرسلات/6) واحد. والأعذار والإنذار واحد، إلا أن الأعذار من الله تعالى، والإنذار من الرسول ﴿لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ (يس/6).

(1) (انظر التأويل في الكشف 2/33) وزاد المسير 2/57.

(2) البيت من البحر الطويل ويبدو أن البيت مُلَفَّق، والصحيح أنهما بيتان رواهما سيبويه، فالبيت الأول في كتاب سيبويه 1/47، والمقتضب 4/96، واللسان وتاج العروس (شهب) مروى:

فدى لبني ذهل بن شيبان ناقي إذا كان يوم ذوب كواكب أشهب

وقد نسه سيبويه لمقاس العائذي.

ثم روى سيبويه البيت الآخر ونسبه إلى عمرو بن شأس، وهو قوله:

بني أسد هل تعلمون بلاءنا إذا كان يوماً ذا كواكب أشنعا

ثم اتبعه بيتان يقول فيه:

إذا كانت الحو الطوال كائما كساها السلاح الأرجوان المضلعا

انظر البيتين في ديوانه 31-32، وكتاب سيبويه 1/46-47 والأول في النكت في تفسير

كتاب سيبويه للأعلم الشتمري 1/184.

وقد ذكرنا أن في القرآن من فوائد اللغات مثل ما في الكلام العربي من الغريب ومن المحتمل للاختصار والحذف والكف عن الأخبار ومجاز ما لفظه الواحد ووقع على الجمع⁽¹⁾.

وما جاء من كلام العرب ليس على جمعٍ مُطردٍ نحو: الجمع الذي هو على غير واحد، يقولون: ظنُّوا و ظنُّوا⁽²⁾، وللحمار: عيرٌ ومغيوراء للجمع، وشيخ ومشيوخاء - فكلُّ ذا على غير قياسٍ ما جمعَ عليه الواحد. وإنما ذلك لأنَّ ذا لا يُفسدُ من المعنى شيئاً، وإنما هو كالأسماء المفردة التي يوضعُ كلُّ واحدٍ منها على شيء ليُعرفَ به. والقرآن قد جاءَ بمثله، كقوله تعالى: ﴿أَبَشْرٌ يَهْدُونَنَا﴾⁽³⁾ (التغابن/6) لأنه اسمٌ للجمع. ألا ترى قولهم: (إيل) لجماعة الجمل وغنم لجماعة الشاء، (63/و) وخيل لجماعة الفرس، ونساء لجماعة المرأة، فالمغيوراء والمشيوخاء أقربُ من هذا إذ كان فيه حرفٌ من حروف الواحد.

وليس في كلامهم شيءٌ يكثرُ فيه ما لا يطرُدُ فيه القياس، إلاشباه، هذا المعنى مما لا يُغيِّره ترك القياس.

ومن كلامهم ما لفظه لفظُ الجميع ويقعُ معناه على الاثنين، اتساعاً من العرب في كلامها ومعاني ألفاظها، فالاثنان جمعٌ في حقيقة القياس لأنه جمعُ أحدهما إلى الآخر.

(1) هذا الكلام منقول عن مجاز القرآن 18/1 بتصرف.

(2) جاء في الصحاح (ظار): الظنُّرُ مهموز، والجمع: ظنُّارٌ على فُعالٍ - بالضم - وظنُّورٌ، وأظارٌ، وظنُّورة... وظارَّتُ النَّاقَةُ ظارًّا، إذا عَطَفَتْها على غير ولد غيرها. وانظر: العين 167/8.

(3) (التغابن/6) قال الأخفش في معانيه 501/2؛ لأنَّ البشر في المعنى: جماعة.

وهم يتكلمون بالفاظٍ مختلفةٍ لمعنى واحدٍ، ويضمرون كلاماً لو أظهره
حَسَنَ إظهاره، وأما تركوه استغناءً عن إظهاره، ويكررون التوكيد يقال: تكرير
وتكرارٌ، وكلُّ هذا جائزٌ عربيٌّ قد تكلمت به فصحاء العرب.

ويتكلم بعضهم بالفاظٍ لا يتكلم بها الآخرون، ولعلَّ عامةَ الأجناس من
العجم لا يفعلون ذلك، فليس لأحدٍ أن يحْمَلَ ألفاظَ العرب على ألفاظِ العجم
ولا ألفاظَ العجم على ألفاظِ العرب، وليس لأحدٍ أن يَدْخُلَ على أحدٍ في لغته.

وسنذكرُ علَّةَ ما اتَّسعوا فيه من هذه الأبواب، ففهمها واجبٌ لطالبِ
راغب لا لنحوي بزعمه، وهو عن محضِ الصوابِ ذاهبٌ، لأنه قلَّ نحويٌّ للرزق
طالبٍ إلا (63/ظ) وهو لا اشتغاله بدنيِّ المكاسب لا يُحيطُ بعلم ما يرجو نفعه في
العواقب من سنيِّ الذخائر وشريفِ المراتب، ومن لم تُسَمِّ نفسه لعلم تلك
المواهب لم يكن بالقرآن ذا فهمٍ وعلمٍ ثاقبٍ وأن كان متعمقاً في الشعر وعويصه،
والغريب ووحشيته، ولعمري، لو اختبروا لعزَّ أن يوجد الواحدُ منهم بعلم كتاب
الله - تعالى - ماهراً، بل تراه في طلبِ علمِ القرآن زاهداً وفي معاني الشعر
راغباً، مؤثراً لقرآنِ الشيطان⁽¹⁾ على تنزيلِ الرحمن فمثلهم كقول الشاعر⁽²⁾:

(1) يريد به الشعر، كما قال أبو النجم العجلي:

إنني وكلُّ شاعرٍ مِنَ البشرِ شيطانهُ أنشى وشيطاني ذكُرُ
فما رأني شاعراً إلا أستترُ فسئلَ نجوم الليل عاينَ القمرِ

انظر: خزانة الأدب 1/ 103.

(2) عبد الله بن الحارث، كما ذكر السهيلي في الروض الأنف 3/ 213.

إِنَّا تَبَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ وَاطَّرَحُوا قَوْلَ الرَّسُولِ وَعَالُوا فِي الْمَوَازِينِ⁽¹⁾
 وقد أوضح الله الحقَّ ودلَّ عليه، وأقامَ الحجَّةَ فيه، وأنزلَ كتابه باللغة التي
 يعرفها أهلها ويُجْرُونَ عليها معانيهم بلا كُلفة ولا اعتياصٍ.

فأما نحن - بعد تغيير الطبائع - فنحتاجُ أنْ نَتَكَلَّفَ ما يُقَرِّبُنَا مِنَ اللِّهَاقِ
 بهم في مذاهبهم، فنعتمدُ على الأخبارِ عن أئساعهم في اللغة التي فضَّلها الله
 تعالى بذلك، فالطاعنُ على العرب في كلامها جاهل هالكٌ بذلك، لأنَّه كالوحي
 منها والإيماء إلى معانيها، فيقعُ فيه الاختصار والإيجاز.

وأما الاحتجاجُ باللغة على أهل الإلحاد في الدين لما أنكروا التوكيد
 والتكرير (64/ و) في التنزيل بعد الإيجاز، جهلاً منهم بالتأويل، فتعلَّقوا بمثل قوله
 تعالى: ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ (النحل/ 26) والسَّقْفُ لا يكون إلا من
 فوق، وبقوله: ﴿ وَلَا ظَلِيمٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ (الأنعام/ 38) وما أشبه ذلك، وقد بيَّناه
 في (معاني القرآن).

وإنما وقع التوكيد في كلام العرب للائساع، وذلك غيرُ مدفوع، قال أوس
 بن حجر⁽²⁾:

(1) البيت من البحر البسيط، وهو غير منسوب في سؤالات نافع 20، وأساس البلاغة
 (عول)، والجمهرة 3/ 140.

(2) ابن عتاب الشاعر الجاهلي الوصَّاف، للحُمُر والسلاح، كان شاعرَ مُضَرَ حتى نشأ النابغة
 وزهير، فأخلاه. فكان شاعر تميم في الجاهلية غير مدافع، قال عنه الأصمعي: أوس بن
 حَجْرَ أشهر من زهير، ولكنَّ النابغة طأطأ منه.
 الشعر والشعراء (العلمية) 107-109، وانظر: الاشتقاق 207.

- (1) ألم تكسف الشمسُ شمسُ النهار مع السَّجْمِ والقمر الواجب⁽¹⁾
والشمس لا تكون إلاً بالنهار، وقال آخر⁽²⁾:
- (3) أجلُ شغلتَ فما أعطيتَ من سعةٍ حتى يُغَيَّبَ لحييَ رأسك الجولُ⁽³⁾
أي جانب القبر. واللحيان لا يكونان إلاً للرأس. وقال عنتره⁽⁴⁾:
- (5) حَرِقَ الجناحَ كأنَّ لحييَ رأسه جَلَمَانِ بِالْأَخْبَارِ هَشٌّ مَوْلَعٌ⁽⁵⁾

(1) البيت من البحر المتقارب، والبيت في ديوانه/10 باختلاف الألفاظ.

والواجب هنا: الغائب، قال ثعلب: وجبت الشمسُ: غابت.

انظر: شرح الفصيح، لابن هشام اللخمي 102، وتاج العروس (وجب).

(2) أبو عطاء السندي كما في أمالي ابن دريد 162.

(3) البيت من البحر البسيط، وليس في شعره.

(4) ابن شداد العنسي، شاعر جاهلي من أصحاب المعلقات، شهد داحس والغبراء، فحسُنَ

فيها بلاؤه، وحمدت مشاهدته، وكان يلقب بعنتره الفلحاء، ذهبوا به إلى تأنيث الشفة،

مأخوذ من الفلح وهو انشقاق الشفة السفلى. وهو صاحب المعلقة المشهورة من البحر

الكامل ومطلعها:

هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُتْرَدِّمٍ أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوْهَمِ

انظر الشعر والشعراء (العلمية) 137، شرح ديوان عنتره (العلمية) 3.

(5) البيت من البحر الكامل، وهو في ديوانه (العلمية) 84، وهو البيت الثاني من قصيدة

مطلعها :

ظَعَنَ الَّذِينَ فَرَأَقَهُمْ أَتَوْعُ وَجَرَى (ببينهم) الغرابُ الأبقعُ

وقد ورد بلفظ (بينهم) وبذا يختل وزن البيت، فلا يستقيم عروضياً.

والجلمان: مثني: جلم، وهو المقص، أو المقراض. وهذا المعنى أرادته المتنبي عندما قال :

من آية الطَّرْقِ يَأْتِي لِحُوكِ الكَرَمِ أَيْنَ المَحَاجِمِ يَا كَافُورُ وَالجَلَمُ

ومثله كثيرٌ في كلام فصحاء العرب.

وفي كتاب الله - تعالى - الفاظٌ كالألفاظهم تسبقُ إلى القلوب معانيها على ظاهر لفظها، وتأتي العلماء بخلاف ذلك كقوله تعالى: ﴿وَلَيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ (الحج/ 29)

قالوا: ليس عَتِقَهُ قِدَمَهُ، ولكنه عَتِقَ من مَلِكِ الجبابة⁽¹⁾.

وقوله: ﴿إِن مِّنْ أَرْوَاحٍ وَأَوْلَادٍ كُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ (التغابن/ 14) قالوا: معناه: محبتكم لهم تدعوكم إلى أن تعصوا الله - تبارك وتعالى - في ارتكاب المحظورات احتياطاً لهم، لأنه لم يخص كبيراً دون صغير، فتلك عداوتهم، والله أعلم.

وقوله تعالى: (64/ ظ) ﴿يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾ (الأعراف/ 163) بمعنى/ يعتدون.

(وقوله تعالى): ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ﴾ (العنكبوت/ 29) أي: في أديباركم، وإنما خوطب بهذه الآية قوم لوط، فكنى عن الأدبار، وعن ابن مسعود: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ أي: من أمرائكم، ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ (الأنعام/ 65) بسقلتكم. وهذا يُصحِّحُه ما نراه في زماننا.

(وقوله تعالى): ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ (محمد/ 22) بمعنى: وليتُم، وقد قُرئ (توليتُم) بضم التاء⁽¹⁾.

(1) فلم يظهر عليه جبار قط، وهذا قد رواه ابن الزبير في حديث مرفوع، وصححه السيوطي، انظر: تاج العروس/ عتق/ والجامع الصغير 1/ 103.

وكله عربيّ أنزله الله بالفاظهم المعروفة عندهم، وأراهم قدرته فيه، بعجزهم عنه في فهمهم له ومعرفتهم به، قال تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (الطور/34) والحديث في كلام العرب هو الأخبار. فأخرس الله تعالى الألسن عن الأخبار بمثله، فلما بهرهم صوابه وأعجزهم جوابه، ولم يقدرُوا أن يعيبوا منه مقالاً، ولم يدعوا في إعرابه مجالاً ردّوه من جهة المعاندة بالمجاحدة، فقالوا: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (فصلت/26).

وفي كتاب الله تعالى من لغات العرب المُجتمِلة للمجاز مثل هذا كثير، ممّا عرفته العاربة المكذبة بالقرآن، فلم ينجحوا عن إبطائها، وعن الجحود بأنزالها عناداً وكفراً وهم بصحة تأويلها عالمون، وأنكر تأويلها (65/ و) المتعربة ممن لم يعرف تصريف لغاتها فظلت أفهامهم زائغة عن صوابها، فلاهم - إذ لم يعرفوا - تعلموا أعراض اللغات، ولا - إذ جهلوا - سلموا من التبعات.

فمن ذلك أن الحرف عند قوم يُقام مقام الحرف في بعض اللغات اتساعاً، كقوله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ (هود/6) فظن من لا يعرف كلام العرب أنه - جل ثناؤه - مُكْتَلٌّ بأرزاق خلقه وعباده أجمعين، ولو كان كذلك ما رأيت جائعاً، وأنت قد تراه ميتاً جوعاً وعطشاً، وإنما المعنى عند أهل الكوفة: ألا إلى الله رزقها، يُعطي ويمنع، وكذا قوله - تبارك وتعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ (النحل/9): أي إلى الله ذلك، ولو كان مُتَكَفِّلاً بقصد السبيل ما

(1) والواو وكسر اللام. بها قرأ عليّ رضي الله عنه، ويعقوب، وأويس، وعبد الله بن أبي إسحاق، قال ابن جني معناها: ان تولأكم الناس، وقال العكبري: أي وليّ عليكم.
انظر: المحتسب (دار الكتب العلمية) 2/321، إملاء ما من به الرحمن 2/237، الإنحاف 394،
وقرأ النبي (ﷺ) ولْيُثْم.

جَارَ أَحَدٌ وَلَا ضَلَّ، والصوابُ عند الفقهاء من أهل اللغة ألا يُخرجوا الحرف عن بابه ما وجدوا لمعناه مَسَاغًا، فالتقديرُ عندهم: إِنَّ اللَّهَ - عز وجل - إِذَا رَزَقَ عِبَادَهُ رِزْقًا فعلى الله سَوَقُهُ إِلَيْهِ حَتَّى يُؤْفِيَهُ إِيَّاهُ، وعلى ذلك قولُ الشاعر:

إِنَّ الْمَقَاسِمَ أَرْزَاقٌ مَقْدَرَةٌ بين العباد فمحرومٌ ومُدْخِرُ
فما رُزِقْتَ فَأَنَّ اللَّهَ جَالِبُهُ وما حُرِّمْتَ فما يَجْرِي بِهِ الْقَدَرُ
فألمُ فضلٌ وطولُ العيش مُنْقَطِعٌ والرزقُ آتٍ وروحُ الله مُنْتَظَرُ⁽¹⁾

(65 / ظ) والله - عز وجل - أن يبتلِي من عباده مَنْ شَاءَ بِمَا شَاءَ كقولهِ:

﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ (المعارج / 24-25).

وقد وصفَ اللهُ نفسه بأشياءَ قد وصفَ بها بعضَ خلقه فأنفقت الأسماءَ في المعلوماتِ المشاهداتِ، واختلقت في الذواتِ المعيّباتِ، فأرادَ تعالى منا أن نستبدلَ على ما لا نعلم من صفته بما قد علمناه من صفاتنا وهيأتنا، فالأسماءُ بالفاظِها واحدةٌ وهي في ذاتها مختلفةٌ متباينةٌ، فنسبَ - عز وجل - إلى نفسه الرضا والغضبَ، وقد عرفناهما من أنفسنا، فكان رضاءُ ثواباً وغضبُهُ عقاباً، وهو منا - وأن وافقت الأسماءُ الأسماءَ - على خلافِ ذلك، فعُضِبنا أَلَمٌ ورضانا سرورٌ، وهو عن ذلك - جل وعز - مُتعالٍ وكذلك الرحمةُ من الله - عز وجل - تفضلٌ ورافةٌ، ومنا ضعفٌ وريقةٌ.

وفي القرآن ألفاظٌ للمعاني مترجماتٌ، وقد تحتمل التأويلاتِ، فلا يُقطع على الله تعالى أنه أرادَ كذا دون كذا، إلا فيما لا يحتملُ غيرَ تأويلٍ ظاهرٍ وقد

(1) هذه الأبيات من البحر البسيط جاءت في قصيدة أوردها أبو علي القالي البغدادي في أماليه 2 / 223، ولم يُشر إلى اسم الشاعر.

جاء عن ابن عباس أنه قال⁽¹⁾: ليس في الدنيا شيء من وصف الآخرة إلا الأسماء، فأما المعاني فمختلفة.

وكذلك ليس شيء من أفعال المخلوقين يُشبهه أفعال الخالق، وهي عنه - عز وجل - مُخْبِرَةٌ وَعَلَيْهِ دَالَّةٌ، فالألفاظ (66/ و) مَثْفُفَةٌ مَسْمُوعَةٌ والمعاني مفهومة معلومة.

فالدنيا مرآة الآخرة تُريك ما غابَ عنها بما شاهدتَ منها فالأسماء تُجمَعُ بالصفات وتُفترقُ بالذات.

فاليقينُ ما باشرتهُ بجواسك، والأيمان ما عرفته بقلبك.

فَجَعَلَ اللهُ الْقُرْآنَ هُدًى لِمَنْ رَفَعَهُ إِلَى عِلْمِ فَضْلِهِ، وَعَمَى عَلَى ثُرْكِهِ اللهُ فِي ضَلَالَتِهِ عِنْدَ إِعْرَاضِهِ عَنْ تَفْهَمِ فَضِيلَتِهِ، كَالْمُعَاقِبِ لَهُ، بِذَلِكَ تَرْكُهُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ يَعْهَمُونَ.

فالقرآن رحمة من الله تعالى لِمَنْ رَفَعَهُ إِلَى عِلْمِ فَضْلِهِ، وَلَا حُجَّةَ عَلَى اللهِ لِمَنْ رَفَعَ فَضْلُهُ عَنْهُ، لِمَعْرِفَةِ بَعِيدَةٍ، وَقَدْ جَعَلَ اللهُ الْقُرْآنَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ، وَهُدًى وَرَحْمَةً، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ﴾ (النساء/ 59) أي: إلى كتابه الذي وصفه فقال: ﴿حَكْمًا عَرَبِيًّا﴾ (الرعد/ 37) فأحكامه لعباده مُنِيرَةٌ شَافِيَةٌ، وَالسُّنَّةُ الْعَادِلَةُ بِإِيضَاحِهَا مَاضِيَةٌ.

وفي القرآن ألفاظٌ تُحْتَمِلُ معنى شِدَّةٍ وَلِينٍ، ومعنى لِينٍ - لِيَكُونَ مَن هَمَّ بِهَا خَائِفًا مِنْ شِدَّتِهَا وَأَلِيمٍ عَقُوبَتِهَا، وَمَنْ وَقَعَ فِيهَا كَانَ رَاجِعًا لِللَّيْنِ،

(1) انظر: القول باختلاف في تأويل مشكل القرآن 57.

مؤملاً للخلاص منها، كما قال القائل:

أَمُورُ اللَّهِ مُرْتَجَةٌ عَلَيْنَا لِيَأْمَنَ خَائِفٌ وَيَخَافَ رَاجٍ
فَأَحَدُ الْمَعْنِيِّينَ غَيْرَ مُرْخِصٍ فِي مَعَاصِي اللَّهِ تَعَالَى (66/ ظ) وَالْآخِرُ: غَيْرُ
مُقْنَطٍ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى - وَهُوَ كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة/44)، وَالْكَفْرُ عَلَى وَجْهِهِ: فَقَدْ يَكُونُ غَيْرَ حَاكِمٍ بِهَا وَهُوَ
مُقِيمٌ عَلَى جُحُودِهَا وَالتَّكْذِيبُ بِهَا، فَيَكُونُ ذَلِكَ مُسْتَوْجِباً لِاسْمِ الْكُفْرِ. وَقَدْ
يَكُونُ: غَيْرَ حَاكِمٍ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى غَيْرِ الْجُحُودِ وَالتَّكْذِيبِ، فَيَكُونُ
مُسْتَوْجِباً لِاسْمِ الْخَطِيئَةِ دُونَ الْكُفْرِ، فَأَنْزَلَتْ مُجْمَلَةً غَيْرَ مُفَسَّرَةٍ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾
(النساء/93) فَجَاءَتْ عَلَى لَفْظٍ يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: إِيجَابُ النَّارِ، وَالْآخَرُ:
الْأَخْبَارُ عَنِ الْجَزَاءِ، أَيْ: فَجَزَاءُ الْعَبْدِ هَذَا الْجِزَاءُ. كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ
أَمْوَالَ آلِهَتِهِمْ تُلْمَةً﴾ (النساء/10) فَالظُّلْمُ قَدْ يَكُونُ: شِرْكَاً⁽¹⁾، كَمَا قَالَ عَزَّ
وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الشِّرْكََ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان/13) وَالظُّلْمُ يَكُونُ: الْخَطِيئَةَ.

فَالوَاجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَكُونَ مِنْ ذَلِكَ خَائِفِينَ، وَمِنْ رَحْمَتِهِ غَيْرَ آيسِينَ، وَأَنْ
نُؤْمِنَ بِالْأَلْفَاظِ الَّتِي نَزَلَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتُرَدُّ الْحُكْمُ فِيهَا إِلَى عِلْمِ اللَّهِ
تَعَالَى بَعْدَ التَّفْهِيمِ لِأَمْثَالِهِنَّ قَبْلَ الْإِبْتِلَاءِ بِهِنَّ وَقَدْ يَجِيءُ اللَّفْظُ فِي الْقُرْآنِ عَلَى
مَعْنِيَيْنِ كَمَا جَاءَ فِي اللُّغَةِ الْوَاحِدِ فِي مَوْضِعِ الْأَثْنَيْنِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (السُّلْطَانُ)
يَكُونُ عَلَى وَجْهِهِ: حُجَّةٌ وَقَدْرَةٌ (67/ و)، فَالْقَدْرَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عِبَادِي
لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ (الحجر/42) أَيْ: قَدْرَةٌ، بَعْصَمَتِي لَهُمْ. وَبِالْبَاقِي حُجَّةٌ.

(1) انظر: تأويل مشكل القرآن 359.

ومثل ذلك: (المَلِك) يكون مُلْكاً وَعِلْماً، كقوله في آل إبراهيم: ﴿وَأَيَّتَنَّهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ (النساء/ 54) أي: عِلْماً، ألا تراه قال: ﴿فَوَيْتَهُمْ مِّنْ أَمْنٍ بِهٖ﴾ أي: صَدَقَهُ ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ﴾ (النساء/ 55) أي: عن العِلْمِ، وقال تعالى في التمليك: ﴿تُوَفَّى الْمُلُوكُ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِجُ الْمُلُوكَ مِمَّنْ﴾ (آل عمران/ 26).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَأْتِيَافِرَعُونَ فِقُولًا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء/ 16) ولم يقل: (إنا رسولا) استغنى بعلم المخاطب أنه ذلك يعني.

وقد قيل⁽¹⁾: إن الرسول قد يكون بمعنى: الرسالة، كما قال لبيد:

* ولا أرسلته أمة برسول⁽²⁾ *

أي: برسالة.

وكقوله تعالى: ﴿وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾ (القمر/ 45) ولم يقل: الأدبار. وقال تعالى: ﴿فَأَنبَهُمْ عُدُوًّا لِّحِيٍّ﴾ (الشعراء/ 77) وقال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ (التحریم/ 4) ولم يقل: ظهراء، وقال تعالى: ﴿إِنَّ النَّارَ فِي جَهَنَّمَ وَنَهْرٍ﴾ (القمر/ 54) وذلك كقول العرب: ظللنا في خوخةٍ وتفاحةٍ ورمانةٍ، وما أشبه ذلك، وقد ظلوا في كثيرٍ من ذلك، وكقولهم: هلك الشاةُ والبعيرُ، وأهلك الناسَ الدينارُ والدرهمُ، يعنون الجماعة، فكذلك قوله: (ونهرٍ) بمعنى الأنهار.

وقال الله تعالى: ﴿فَإِن طَبَنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ (النساء/ 4) وقال تعالى: ﴿تَمَّ يَحْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ (غافر/ 67) وقال عز وجل: ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء/ 69) وقال تعالى: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ﴾ (الملك/ 11)، وقال تعالى:

(1) القائل أبو عبيدة في مجاز القرآن 2/ 84.

(2) هذا عجز لبيت من الطويل، وهو غير موجود في ديوان لبيد.

﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ﴾ (المالك/ 13) ولم يقل: أقوالكم، وقال تعالى: ﴿لَا يَزِيدُ الْيَاسِمَ﴾ (إبراهيم/ 43).

فكلّ هذا اتساع معلوم، ومعنى مفهوم، ومثله في اللغة قول العباس بن مرداس⁽¹⁾:

فقلنا أسلموا إنا أخوكم وقد برنت من الأحن الصدور⁽²⁾
 ولم يقل: إنا إخوانكم، وقول الآخر:

يا عاذلاتي لا تُردنّ ملامتي إن العواذل ليس لي بأمر⁽³⁾
 أي: بأمراء. وقال جرير:
 دعون الهوى ثم ارتمين قلوبنا بأسهم أعداء وهنّ صديق⁽⁴⁾.
 أي: أصدقاء.

وقد يجيء قول يسبق إلى القلوب خلافة، قال الله تعالى: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا

(1) ابن أبي عامر بن رفاعة بن الحارث، أحد فرسان الجاهلية وشعرائها المذكورين، وقد على النبي (ﷺ)، وأسلم قبل فتح مكة، شاعر مخضرم، أمّة الخنساء الصحابية الشاعرة، كان من المؤلفة قلوبهم، يدعى فارس العبيد (والعبيد: فرسه) وكان يّمن ذم الخمر في الجاهلية وحرّمها. (مات سنة 18هـ).

معجم الشعراء المخضرمين 236، سمط اللّالي 1/ 32-33 - البرصان والعرجان/ 182.

(2) البيت من البحر الوافر وهو في ديوانه/ 52.

(3) البيت من البحر الكامل، وهو غير منسوب في معاني الاخفش 2/ 423، والخصائص 174/ 3، والمغني 1/ 232، وشرح أبيات المغني لعبد القادر للبغدادى 4/ 283 نقلا عن التفسّح والعجز وحده في مجاز القرآن 2/ 45، وتأويل مشكل القرآن 220.

(4) البيت من البحر الطويل وهو في ديوانه/ شرح عمر فاروق الطباع 331.

وَأَخْرَجَ سَيِّئًا عَنِ اللَّهِ ﴿ (التوبة/ 102) فسبق إلى القلوب أنهم أساؤا، فرجالهم أن يتوبوا، وذكر ذلك لسفيان، فقال: والله ما خلطوها، ولقد أفردوا كل واحد منهما، ولكنهم قوم عملوا السيئات وهم يعلمون أنها محرمة عليهم، وهم ضد قوم ويحهم بقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعَكُمْ وَلَا أَبْصَارَكُمْ وَلَا جُلُودَكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿ (فصلت/ 22-23).

وقوله تعالى: (عسى الله) فهذه عدة من الله واجبة (68/ و) لعبده إذا رجاه وفاه، فهذا خاص للخالق تعالى، و للمخلوق علتان هما منفيتان عن الخالق - جلّ و علا- فقد يعد الرجل الشيء يرى أنه يتم ولا يساعده عليه القدر، أو سبق منه عدة ثم يبدو له في ذلك فيكون له الرجوع، وليس لهذا مجاز في الخالق - تعالى، وقد اوجب على نفسه - عز وجل - بأن قال: ﴿ لَا يُخْلَفُ أَلَيْعَادَ ﴿ (آل عمران/ 9) أي: إن الله لا خلف لوعده.

وقد توهم قوم في إعراب القرآن مجازاً مخالفاً لما نطقت به اللغة القويمة في قوله: ﴿ قَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا لَسِحْرَانِ ﴾ (طه/ 63) فلما أعجزهم فهمه توهموا أنها (إن) الثقيلة العاملة و نسبوه إلى اللحن، وإنما معناها (نعم)⁽¹⁾ لا تساع اللغة في فنون العربية، كقول الأسدي⁽²⁾:

قالوا غدرت فقلت إن و ربما نال العلى و شفى الغليل الغادر⁽³⁾

(1) هذا رأي المبرد قال: أولي الأمور ب (إن) المشددة أن تكون هاهنا بمعنى (نعم). انظر:

الحجة في القراءات لابن خالويه 243.

(2) مسعود بن عبد الله كما في حماسة البحرني 12.

(3) البيت من البحر الكامل، وغير منسوب في إعراب القرآن للنحاس 44/3، وآمالى ابن

الشجري 1/323.

وأما النحويون فقد اختلفوا بغير ذلك⁽¹⁾ وليس الاحتجاج بالشواذ من اللغات حجة، ومعاني الفصاحة موجودة.

فكذلك توهموا في معرفة إعراب: ﴿إِيَّاكَ نَفْسٌ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِثُ﴾ (الفاتحة/ 5) والعرب تقول: إياك وأياها. وأصل الكلام عندهم: لقيثك إياك، يجعلون: إياك، صفة للكاف وتبعاً لها. وقد يستغنون أيضاً ب (كاف) المخاطبة و (الهاء)، (68/ ظ) اللتين يكونان في آخر الفعل، عند إدخال إياك بعدهما، إذ كان كالنعت فتقول: لقيثك، وتسكت، ولا تذكر إياك بعده.

وربما اتسعوا فجعلوا (إياك) في موضع (كاف) المخاطبة و (الهاء) في

(1) وكان مما احتجوا به أن قالوا: "ويجوز أن تكون (إن) مهملة، ف (هذان) مبتدأ، و (ساحران) خبره واللام هي الفارقة التي تُشعر بكون (إن) مخففة وقالوا: إن: نافية، واللام: بمعنى "إلا" وفيه بُعد وتوجيهها أن الأصل (إن هذين) فخففت (إن) بحذف النون الثانية وأهملت كما هو الأكثر فيها إذا خففت وارتفع ما بعدها بالابتداء والخبر، فجيء بالألف، ونظيره أنك تقول: (إن زيدا لقائم) فإذا خففت فالأصح أن تقول: (إن زيدا قائم) على الابتداء والخبر.

وقرأ أبو عمرو بن العلاء (هذين) وشدّد النون يعني: (إن هذان) بالتشديد والإتيان بالألف؛ لأنّ إنّ يجب إعمالها مكان الظاهر الإتيان بالياء - وقد أوجب عنه من وجهين: أحدهما: أنها على لغة بلحارث، وخنعم، وزبيد، وكنانة، وآخرين، ممن يستعملون المثني بالألف دائماً يقولون: جاء أخاك، ورأيت أخاك، ومررت بأخاك. وعليه جاء شاهد ابن عقيل :

إِنَّ أَبَاهَا وَأَبَا أَبَاهَا قَدْ بَلَغَا فِي الْمَجْدِ غَايَتَاهَا

والآخر: أنه لما كان الإعراب لا يظهر في الواحد وهو (هذا) جعل كذلك في التثنية كالمفرد؛ لأنه فرغ عليه، واختار هذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

الغائب، اللتين في آخر الفعل، كقولهم:

* إِيَّاكَ حَتَّى بَلَغْتَ إِيَّاكَ ⁽¹⁾ *

يريد: حتى بلغتك. وكقوله:

مُبْرَأً مِنْ عِيُوبِ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَاللَّهُ يَرَعِي أبا حَرْبٍ وَإِنَّا ⁽²⁾

ولم يقل: ويرعانا. فحذفوا كما ترى (كاف) المُخاطَبَة، وجعلوا إِيَّاكَ فِي

موضعها. وَخَلَفًا مِنْهَا لِاصْطِحَابِهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ تَبَّؤْ وَإِيَّاكَ﴾

ومثله: إِيَّاكُمْ طَلَبْنَا، وَإِيَّاهُمْ لَقِينَا. لَيْسَ قَبْلَ هَذَا الْكَلَامِ فِعْلٌ وَلَا غَيْرُهُ،

فَيَكُونُ (إِيَّاكَ) تَابِعاً، فَلِذَلِكَ صَارَتْ (إِيَّاكَ) بِمَنْزِلَةِ الظَّاهِرِ، إِلَّا أَنْ يَحْتَاجَ عَرَبِيٌّ أَنْ

يُدْخِلَ (كاف) المُخاطَبَة عَلَى مَا حَقَّ التَّأخِيرُ ضَرُورَةً، كَقَوْلِهِ:

فَلَوْ أَنَّهَا إِيَّاكَ عَضَّتْكَ غَيْرُهَا جَزَرْتَ عَلَى مَا شِئْتَ نَحْرًا وَكُلْكَلا ⁽³⁾

(1) شطر بيت من الرجز لحميد الأرقط كما في كتاب سيبويه 362/2، وانظر: الخصائص

307/1، والإنصاف 699، وخزانة الأدب 406/2، ومعناه: إن هذه الناقة سارت إليك

حتى بلغتك، وقوله:

* أَتُنَّكَ عَنَسٌ تَقَطِّعُ الْأَدْرَاكَ *

والشاهد فيه: وضع إِيَّاكَ موضع الكاف ضرورة.

(2) البيت من البحر البسيط، وهو مجهول القائل، من الأبيات التي لم يتمكن الدكتور رمضان

عبد التواب من نسبتها إلى قائل معين في بحثه أسطورة الأبيات الخمسين 244، المنشور في

مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الرابع والعشرون لسنة 1974م.

(3) البيت من البحر الطويل، وهو للمرار بن سعيد الأسدي كما في الكتاب 150/1، ولم يرد

في شعره، أو لعبد الله بن الزبير الأسدي كما في فرحة الأديب 180-181، ولم يرد في

شعره المبدع أيضاً.

ووجه الكلام: فلو أنها إياك عضلٌ غيرها؛ لأنَّ الفعلَ لـ (غير) فيجب تذكيره لتقدمه.

وكذا قوله: فلو أنَّ حفصاً إياك ضربكَ غيره غضبتَ. والتقدير: فلو أنَّ حفصاً إياك ضربَ غيره غضبتَ. (69/و) ولا يُحتاج إلى الكاف في (ضربك)؛ لأنَّ الكاف في (إياك) دلَّت على المعنى، والتقدير: ضربَ غيره إياك، ألا ترى أنَّه لا يحسنُ: إياك نعبدك.

وهذا التفسُّح في الشَّعر أوسعُ منه في الكلام.

وتقول العرب على هذا الحدِّ وقياسِ هذه اللغة: أتاني القومُ خلا إياك. في لغة من ينصبُ بـ (خلا)، وكذلك: أتاني القومُ ما خلا إياه. لأنك قد تقول: ما خلاك. فجعلتَ (إيا) في موضع الكاف.

ومثل ذلك قولهم: أتاني القومُ ليسَ إياكَ لأنَّك قد تقول: أتوني ليسكَ. غيرَ أنَّه في باب (كان) أحسنُ منه في باب (ليس) و(خلا) لأنَّهما لا يتمكَّنان تمكُّنَ (كان) و لا يتصرَّفان تصرُّفه، لأنَّه أصلٌ في بابها. فهذا فقه اللغة، ولا يخرج شيءٌ منه عن قياس.

وتميمٌ تجعلُ (أنتَ) تبعاً للكاف، وهو قياس صحيح، لأنَّ الفعلَ لا يخلو من فاعله، مضمراً أو مظهراً، كقولهم: لقيتكَ أنتَ. فإنَّ بُدِيَّ بها قبلَ الفعلِ، لم يجعلوها: أنتَ. لا يقولون: أنتَ لقينا، ولا: أنتَ طلبنا، لأنها إنما تُقع تأكيداً. وقد يجعلون: أنتَ في موضع (إياك) كما قال الشاعر⁽¹⁾:

(1) جران العود النميري.

- يا ليتني و أنتِ يا لميسُ ببلدةٍ ليس بها انيسُ⁽¹⁾
 (69/ظ) ف (النون و الياء) نُصِبْتُ. و (أنتِ) رفع، وكذا قوله⁽²⁾:
- وَأَلَّا فاعلموا أَنَا و أَنثُمُ بُغَاةٌ ما بقينا في شِقاقِ⁽³⁾
 وكذلك يفعلون بالشريك الذي ب(الواو) و يُقَدِّمُونَهُ قَبْلَ المُشْرِكِ بِهِ
 اتساعاً، كقوله⁽⁴⁾:
- ألا يا نخلةً من ذاتِ عِرْقٍ عليكِ و رحمةُ اللهِ السَّلامُ⁽⁵⁾
 وكذلك قول الآخر⁽⁶⁾:
- أَتَجَزَعُ إِنْ نَفْسٌ أَتَاهَا حِمَامُهَا فَهَلَّا التِي عن بين جنبيكَ تَدْفَعُ⁽⁷⁾
 والوجه: فهلاً عن التي بين. فَقَدَّمَ (التي) فجعلها قبل (عن) اتساعاً.

- (1) البيت من بحر الرجز، وهو في ديوانه 97 بتحقيق د. نوري حمودي القيسي، مع اختلاف في ترتيب الأبيات والأشطر. والرجز قد نسب إلى رؤبة في ديوانه 176.
- (2) البيت ليشير بن خازم الأسدي.
- (3) البيت من البحر الوافر وهو في ديوانه 165. والبيت من شواهد سيبويه 2/156.
- (4) هو الأحوص كما في تزيين الأسواق 1/59.
- (5) البيت من البحر الوافر ولم يرد في ديوان الأحوص، وهو غير معزو في الخصائص 2/62، والمغني 1/395، وباختلاف في مجالس ثعلب 1/198، و تهذيب اللغة 3/62، و خزنة الأدب 1/400.
- (6) زيد بن رزين الملوح كما في المؤلف والمختلف 291، أو لرجل من محارب كما في ذيل أمالي القالي 105.
- (7) البيت من البحر الطويل، وهو في معاني الاخفش 2/327، و أضداد أبي الطيب 2/726، و المحتسب 1/281، و المغني 1/160، و خزنة الأدب 10/144.

وفي القرآن مواضع كثيرة تكون (ما) في معنى (ليس) و كذا (ليس) في معنى (ما) و مثله في كلام العرب قولهم: ليسَ خَلَقَ اللهُ مثلَ أدمِ الأروى للدلاء: الأروى الكبير من فحول الظباء - كأنك قلت: ما خَلَقَ اللهُ - عز و جل - مثل أدمِ الأروى للدلاء، ف (ليس) و (ما) بمعنى واحد.

ويقولون الاتساع: ما في الدنيا خَلَقَهَا اللهُ مثلُ أدمِ الأروى للدلاء. فاختصروا و قدّموا الكناية عن (الأروى)، وإِثْمًا تَقَعُ الكناية بعد تقديم الاسم، نحو: جاءني زيد - حياهُ اللهُ - فأكرّمته.

وكذا يتسعون في التشابهات، كقوله:

تركضُ بالراياتِ شئى نحرُها كأنَّ طيراً سودَها و حُمُرُها⁽¹⁾

(70/ و) ووجه الكلام: كأنَّ سودَها و حُمُرُها طيرٌ، لأنَّه يُشَبَّهُ الرايات بالطير و لا يُشَبَّهُ الطيرَ بالرايات، ولكنَّه لما شُبِّهَتْ هذه بتلك جازَ أن يُشَبَّهوا تلك بهذه توسعاً لكلامهم و لا إشكال في أفهامهم. فهل ترى شيئاً من هذه الاتساعات فارقة الأعراب أو دَلُّ على معانيها غيره؟

ومثله:

حتى إذا احتدمت و صا رَ الجَمْرُ مِثْلُ ثُرَابِها⁽²⁾

(1) البيت من بحر الرجز ولم أقف على قائله.

(2) البيت من مجزوء الكامل، وهو للأعشى الكبير، وميمون بن قيس، في ديوانه (دار الكتب العلمية) ص 18 برواية:

حتى إذا أوقدت فالجمرُ مِثْلُ ثُرَابِها

وإِئْمَا: حَمَى الثَّرَابُ، ومثله:

لَنَعْمَ الحَيُّ حَيُّ بَنِي نُمَيْرٍ إِذَا مَا الْمَسْكُ شُبِّهَ بِالقُتَارِ⁽¹⁾

أي: شُبِّهَ القُتَارُ بِالمَسْكِ. وفي القرآن من الاتساع الذي لا يخرجُ عن صحيح اللغة، قوله: ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ (آل عمران/ 117) وإِئْمَا يقع المعنى على الحرث الذي اهلكته الريح، فحوَّلَ اللفظ إلى الريح التي اهلكت الحرث لما كانت من الأمر بسبب. وكذا قوله: ﴿ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعَقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ ﴾ (البقرة/ 171) وإِئْمَا يقع التشبيه على العَئِمِّ التي يَنْعَقُ بها الراعي فحوَّلَ اللفظ إلى الراعي الذي يَصِيحُ بها لما كان من الأمر بسبب.

ومثله: قوله تعالى: ﴿ آيْتَهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَّرِقُونَ ﴾ (يوسف/ 70) الْعَيْرُ لَا تُسْرِقُ وَلَكِنْ عَلَى النَّاسِ الَّذِينَ فِيهَا.

وقالت العرب في (70/ ظ) المثل: الطَّرِيقُ يَطْوُنَا. أي: أَهْلُ الطَّرِيقِ⁽²⁾ و: مَا زَلْنَا نَطًّا السَّمَاءَ يَعْنُونَ المَطْرَ، وَيُنْشِدُونَ:

وَاعْوَرُ مِنْ نُبْهَانَ أَيْمًا نَهَارُهُ فَاعْمَى وَأَيْمًا لَيْلُهُ فَبَصِيرٌ⁽³⁾
وإِئْمَا هو الأعمى لا النهار، و(أَمَا) و(أَيْمًا) واحد.

وفي القرآن: ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ ﴾ (الأنبياء/ 37) المعنى و الله اعلم: خَلَقَ العَجَلُ مِنَ الْإِنْسَانِ.

(1) البيت من البحر الوافر ولم أقف عليه.

(2) انظر كل هذه الأمثلة والشواهد الدالة على التوسع في كتابي: التوسُّع في كتاب سيبويه ص 130 وما بعدها.

(3) البيت من البحر الطويل وهو لجرير في ديوانه بشرح الطبَّاع 232، بلفظ: أَمَا نَهَارُهُ وَأَمَا لَيْلُهُ.

قال المبرد: المعنى: خُلِقَ الانسانُ ومنه العَجَلَةُ.

فأما من روى⁽¹⁾ إنَّ ابن عباس قال: العَجَلُ: الطين فليس بمعروفٍ في اللغة.

وقول الشاعر:

فلا يَكْسِرُوا أَرْماحَهُمْ في صَدورِكمُ فَتَغْشِمَكُمُ إنَّ الرماحَ من العَشمِ⁽²⁾

أراد: العَشمُ من الرماح، وقال آخر

* تَمادُوا فالفجورُ مِنَ التماذي *⁽³⁾

أي: و التماذي من الفجور.

ومكورة⁽⁴⁾ وأبو رجاء يقولان، وهما فصيحان: حَكَّني رأسي، وثوبي،

فحَكَّكْتُهُ، والرأسُ لا يَحْكُ، وكذا الثوب، ولكِنَّه كقولهم: هذا الثوبُ لا يقطعُني.

وأنشد أعرابي:

قد حَكَّني الأسيْدُ الأصكُ أْحْكُ حتى منكي مُنْهَكُ⁽⁵⁾

(1) الذي روى ذلك ابن الإعرابي كما في تهذيب اللغة 1/ 369.

(2) البيت من البحر الطويل وهو للأعشى في ديوانه (ط. دار الكتب العلمية) 185، برواية: فلا تكسروا....

(3) عجز بيت من البحر الوافر غير منسوب في أضداد ابن الانباري 100، وأضداد أبي الطيب 2/ 724، وصدرة:

* فأنَّ بني شَرَحْبِيل بن عمرو*

(4) هو العلاء بن بكر بن عبد ربِّ بن مسحل، من فصحاء الأعراب الذين أخذت عنهم اللغة، انظر: الفهرست 76.

(5) البيت من بحر الرجز، وهو في كتاب الحيوان 5/ 391، والأضداد لأبي الطيب 2/ 731، واللسان (حكك).

يعني: البرغوث. والفصحاء يقولون: أكلني رأسي.

وقال أعرابي:

* لآني أراني في زمانٍ أعجيبه⁽¹⁾ *

قيل: ما تعني؟ قال: يُعجبني وقال:

يا طولَ ليلي و عاذني سَهري ما نلتقي مُقلتي على شُفري⁽²⁾

(71/و) والشفران يلتقيان على المقلة.

وفي القرآن: ﴿لَنَنْوَأَ بِالْعُصْبَةِ﴾ (القصص/76) لما كانت العصبه تنؤ

بالحمل و ينؤ بها لم يُبَلَّ أيها يقول، ومثله في اللغة: إنها لتنؤ بعجيزتها، وإِنما العجيزة تُثقلها فتنؤ بها، وفي القرآن: ﴿كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ (يونس/24) وإِنما الماءُ يختلط بالنبات.

والله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَالْمَلِكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا﴾ (الحاقة/17) وهم الرُّسل،

واللفظ مؤحّدٌ، والعرب تُسَعُّ في واحده و جمعه، وتقديم همزه و تأخيره، فقال عديّ بن زيد⁽³⁾:

(1) شطر بيت من الرجز.

(2) البيت من البحر المنسرح.

(3) العبيادي، شاعر قديم، له حديث. وكان ترجمان (أبرواز) ملك فارس وكاتبه بالعربية، قال عنه أبو عمرو بن العلاء: كان عديّ بن زيد في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم يعارضها ولا يجري مجاريها. قال: والعرب لا تُروي شعره؛ لأنّ ألفاظه ليست بنجدية، وكان نصرانياً من عباد الحيرة قد قرأ الكتب، قال ابن دريد: والعبيادي منسوب إلى دينه؛ لأنه تنصّر. حبسه النعمان بن المنذر. فمات في سجنه.

انظر: الشعراء والشعراء (ط. دار الكتب العلمية) 121، والاشتقاق لابن دريد 217.

* أبلغ النعمان عني مالكا * (1)

فالجمع على هذا اللفظ: ملائك، الهمزة مؤخره، والأصل تقدئها، كما

قال لبيد:

وغلام أرسلته أمه بألوك (فبدلنا ما سأل) (2)

وقال الأعشى:

* مألكة * (3)

والجمع على هذا: مالك، وألائك. وقال النابغة:

* الكني * (4)

ترك الهمزة، وجعلها على تقدير: أقلني، وكان أصلها: ألكني على تقدير:

أأمني. وهم يقدمون في كلامهم الهمزة ويؤخرونها اتساعا كما قال:

(1) هذا صدر بيت من بحر الرمل عجزه :

* أنه قد طال حبسي وانتظاري *

والبيت في ديوانه 93، وانظر: التوسع في كتاب سيبويه 169، والشعر والشعراء 124،

والمألكة معناها: الرسالة.

(2) البيت من بحر الرمل، وهو في ديوانه (بشرح الطباع) 118.

(3) هذه كلمة من بيت من البحر البسيط له في ديوانه (ط. دار الكتب العلمية) 133، والبيت

هو:

أبلغ يزيد بني شيبان مألكة أبا ئبنت أما تنفك تأتكُلُ

(4) وهذه كلمة من بيت من البحر الوافر له في ديوانه، والبيت هو:

ألكني يا عيين إلك قولاً سأهديه إلك إلك عني

تَقْرَبَ يَجْبُو ضَوْؤُهُ وَشُعَاعُهُ وَيَمْحَصُ حَتَّى يُسْتَرَاءَ فَلَا يُرَى (1)

تقديره: يُسْتَرَاءُ. والأصل: يُسْتَرَأَى، أي: (يُسْتَفْعَلُ) مِنْ: رَأَيْتُ.

وكذا اتَّسَعُوا أَيضاً فِي مَعْنَاهُ، فَقَالَ الشَّاعِرُ (2) (71/ظ) وَأَمَّا الْمَعْنَى

لِلْمَفْعُولِ لَا لِلْفَاعِلِ، فَقَالَ:

الْكُنَى يَا عَيْنَ إِلَيْكَ قَوْلًا سَتَحْمَلُهُ الرَّوَاةُ إِلَيْكَ عَنْ (3)

يريد: اسْمِعْ أَنْتَ قَوْلِي. فقال: أَلْكُنَى، بِمَعْنَى: أَسْمَعْنِي.

وَاللَّلُّوَكَةُ: الرِّسَالَةُ.

ومثله في التحويل قول الآخر (4):

الْكُنَى إِلَى مَنْ كَانَ بِالصِّينِ أَوْرَمَتْ بِهِ الْهِنْدَ الْوَاحِحَ عَلَيْهَا جَلَالُهَا (5)

ووجه الكلام: أَيْكَ مَنْ كَانَ بِالصِّينِ.

وقد أبان ذلك قول الآخر (6):

(1) البيت من البحر الطويل، جاء ثالث ثلاثة أبيات منسوبة إلى حسَّان السَّعْدِيِّ فِي كِتَابِ

النوادر فِي اللُّغَةِ لِأَبِ زَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ (ط. دار الكتاب العربي) 112، وَلَكِنْ بِاخْتِلَافِ

كَبِيرِ فِي الْأَلْفَاظِ. وَرَوَايَتُهُ:

تَقْرَبَ يَجْبُو ضَوْؤُهُ وَشُعَاعُهُ وَيَمْحَصُ حَتَّى يُسْتَسِيرَ فَمَا يُرَى

يُقَالُ: هَيْلًا مَا صَبَحَ إِذَا نَقَصَ.

(2) النابغة الذبياني.

(3) البيت من البحر الوافر وقد ذكرناه في الموضع السابق.

(4) الشاعر الفرزدق.

(5) البيت من البحر الطويل، وهو فِي دِيْوَانِهِ (شرح الطُّبَاعِ) 479.

(6) هو عمرو بن شَّاسِ الْأَسَدِيِّ.

أَلِكُ قَوْمِي السَّلَامَ رِسَالَةً بَأْيَةٍ مَا كَانُوا ضِعَافًا وَلَا عَزْلًا⁽¹⁾
ومعناه: ألك قومي السلام، أي أبلغهم. واللفظ على معنى: أبلغني،
ولكنه مفهوم المعنى.

وَيُحَوَّلُونَ فَعَلَ الْفَاعِلَ كَأَنَّهُ لِلْمَفْعُولِ، كَقَوْلِهِمْ⁽²⁾:

وَمِثْلِكَ بِيضَاءَ الْعَوَارِضِ طَفْلَةً لِعُوبٍ تَانَسَانِي إِذَا قُمْتُ سِرْبَالِي⁽³⁾
فَتَحَ أَوْلَهَا، وَهُوَ يَرِيدُ: تُنْسِينِي.

كما نقلوا لفظ المفعول إلى لفظ الفاعل، قال⁽⁴⁾:

إِنَّ الْبَغِيضَ لَمَنْ تَمَلُّ حَدِيثَهُ فَأَفْسَحَ فُوَادَكَ مِنْ حَدِيثِ الْوَامِقِ⁽⁵⁾
أي: الموموق. أي: ليكن فؤادك في فسحة لسماعه. ويروى:
(فانقع فؤادك)⁽⁶⁾، أي: اروه من حديث الموموق.

(1) البيت من البحر الطويل وهو في ديوانه 72 ط. دار القلم - الكويت. والبيت في كتاب
سيبويه 197/1 مع بيت آخر

(2) القائل امرؤ القيس.

(3) البيت من البحر الطويل، وهو في ديوانه 30 بتحقيق أبي الفضل وغير موجود في ديوانه
بتحقيق الأيوبي، وانظر البيت في مجاز القرآن 6/2.

(4) جرير بن عطية.

(5) البيت من البحر الكامل وهو في ديوانه 330 بتحقيق الطباع، بلفظ: إن البليّة من
يُملُّ... فأشخ... وقد ورد البيت ضمن مقطوعة منسوبة إلى البحر الطويل، وهو وهم
من الشارح.

(6) انظر: الكامل في اللفظ والأدب 261/2، والصاحبي 366 واللسان (نقع).

وذكر الأصمعي أنه قال لحَمَاد بن سَلَمَةَ⁽¹⁾ في مجلسه للحديث: إِنَّكَ لموموق. فقال له حَمَاد: لا تَعُدْ لمثلها، فَإِنَّ هَؤُلاءِ لا يَفْرَقُونَ بَيْنَ مَائِقٍ وَمَوْمُوقٍ⁽²⁾.

وهذا (72/و) مَثَلٌ لِكِتَابِنَا هَذَا يَنْبَسُطُ لِعِلْمِهِ وَيُرْتَاحُ لِفَهْمِهِ مِنْ أَعَانَتِهِ قَرِيحَتُهُ عَلَى قَبُولِ مَا أَمَرَ بِهِ تَنْزِيلُ الرَّحْمَنِ، وَيَقْصُرُ عَنْ بَلُوغِهِ مَنْ رَضِيَ بِدِرَاسَةِ الْقُرْآنِ عَنْ تَدَبُّرِ الْبِرْهَانِ وَالْفَرْقَانِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لِيَذَّبَرُواْ بِآيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوْاْ الْأَلْبَابِ﴾ (ص/29).

ومن هذه الاتساعات قول العرب:

* أَنَا شَرَّ لَا زَالَتْ يَمِينُكَ نَاشِرَةٌ *⁽³⁾

(1) ابن دينار، من متقدمي النحويين، أخذ عنه يونس بن حبيب البصري، وكان فصيحاً يقول: مَنْ لَحِنَ فِي حَدِيثِي فَقَدْ كَذَبَ عَلَيَّ، وقصته مع سيبويه مشهورة، حيث روي "إن سيبويه كان يستملي على حماد يوماً: قال رسول الله (ﷺ): (ما من أحد من أصحابي إلّا من لو شئت لأخذتُ عنه علماً ليس أبا الدرداء)، فقال سيبويه: ليس أبو الدرداء، فقال له حَمَاد: لَحِنْتَ يَا سَيْبُويهِ، ليس أبا الدرداء، فقال سيبويه: لا جرم لأَظْلَمِينَ علماً لا يلحنتي معه أحد، فطلب النحو ولزم الخليل. توفي حَمَاد سنة 169هـ.
انظر: نُزْهَةُ الْأَبَاءِ فِي طَبَقَاتِ الْأَدْبَاءِ 42، أخبار النحويين البصريين 42، وبغية الوعاة 40، ومراتب النحويين 66.

(2) المائق: السميع الخلق، وهو فاعل من: مَاقَ يَمُوقُ. والموموق: المحبوب من: وَمَقَ يَمُوقُ. فهو وامِقٌ، ولا يُقال: وَمِوقٌ. انظر تاج العروس: (وَمِقٌ).

(3) عجز بيت من البحر الطويل تمامه في تهذيب إصلاح المنطق بلفظ:
لَقَدْ عَيْلَ الْأَيْتَامَ طَعْنَةً نَاشِرَةٌ أَنَا شَرَّ لَا زَالَتْ يَمِينُكَ أَشِيرَةٌ

أراد (ب) ناشرة: مقطوعةً بالمِشَار⁽¹⁾ - بالياء - لا يجوز غيره.

وقول الآخر:

* يُدْرَنَ طَرْفًا فِي عَيُونِ جَيْبٍ *

جُبْتُ الشَّيْءَ: قَطَعْتُهُ. ووَحَّدَ الطَّرْفَ لِأَنَّهُ اسْمٌ وَاحِدٌ لِلْجَمْعِ، وَالجَيْبُ:

جمع جائب.

وفي اللغة يقولون: هذه زِراعَةٌ⁽²⁾ بني فلان، وأتما هي تُزْرَعُ، ومن طعنَ على هذه الاتساعات في اللغات فقد طعنَ على القرآن إذ كَانَ قد جاء بمثله، وقد وصفه الله تعالى بأنه ﴿عَرِيْتُ مُيْبِطٌ﴾ (النحل/ 103).

وفي القرآن: ﴿عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ (الحاقة/ 21)⁽³⁾. مثله: قولهم: تطليقةً بائنة.

وهي من قولهم: أَبْتَثُهَا فِيهِ مُبَانَةً، وكذا: عَبْدٌ سَائِبَةٌ. وهو من: سَيْبَتْهُ.

وعطاءً تافهًا، أي: متفوه. وكذا قال أفرار الأعرابي:

قد أَتَفَهْتَ لَنَا الْعِطَاءَ.

وفي القرآن: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۗ لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ﴾ (الواقعة/ 1-2) أي:

تكذيب.

والبيت غير منسوب في الصحاح واللسان/ عيل/ والخصائص 1/ 152، وإصلاح المنطق

138/1، والمعاني الكبير 2/ 836، والأضداد لابن الانباري 228، والبيت لامرأة ترثي

همام بن مرة الشيباني وتدعو على قاتله ناشرة.

(1) وفيه ثلاث لغات: المنشار والمثشار والميشار. اللسان (أشر).

(2) أي: الأرض التي تُزْرَعُ كما في اللسان (زرع).

(3) (الحاقة/ 21) وراضية بمعنى مرضية.

وكان أبو يزيد الأعرابي يقول: أخطأتُ خاطئةً بعيدةً. أي: خَطَأً بعيداً. وفي القرآن: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ (الغاشية/11) (72/ظ) أي: لغواً.
تقول العرب: ما لنا عنده دالّة. أي: ما يُدَلُّ به عليه.
ومما جعلوا الفعل مصدراً، كما في القرآن: ﴿فَضْرَبَ الرَّقَابِ﴾ (محمد/4).
(قوله):

وَأَنبَى وَإِيَّاهُ كَرَجَلِي نَعَامَةً عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ غِنَى وَفَقِيرٍ⁽¹⁾
أراد: وفقر، وأنشد أفار بن لقيط:
* كُلُّ مُجْرٍ فِي خَلَاءٍ مُسَرٌّ *⁽²⁾
ف قيل له: ما هذا؟ قال: مسرور، وأنشد مكورةً و أبو اسلم⁽³⁾:

(1) البيت من البحر الطويل وهو في البرصان والعرجان 365 منسوب إلى ابن الإعرابي أو بعض النحويين الثقات، أو لبعض الأعراب يخاطب امرأةً في جفائها بأخيه. والبيت جاء ثالث ثلاثة أبيات، وهو موجود في عيون الأخبار 1/85، ومجالس العلماء 98، وآمالي القالي 2/188.

(2) شطر بيت من البحر المديد، وذكر الجاحظ في البيان والتبيين 1/203 أنه مثل مضروب وقالوا: مُسَرٌّ ولم يقولوا مسرور، وكُل صواب، وكذا ذكر الزبيدي في تاج العروس/سرر/ ونقل قول ابن سيده الأندلسي، ما حكاه أفار بن لقيط، إنما جاء على توهم أسرّ.

وانظر: الحيوان 1/88، 4/207، وآمالي القالي 2/89، مقاييس اللغة 3/267. ويضرب هذا المثل للرجل تكون فيه الخلة يحمدها من نفسه، ولا يشعر بما في الناس من الفضائل.
(3) ابن بشير روى عنه أبو عبيدة في مواضع من كتابه النقائض، وفي هامش النقائض 1/5، أنه أحد أحفاد حكيم بن معاوية.

وَبَلَدٍ يَعْصِي عَلَى النُّعُوتِ يُغْضِي كَأَغْضَاءِ الدَّوَى الْمَشْبُوتِ⁽¹⁾
 قيل: ما هو؟ قالوا: المُنْبِت.

وفي القرآن: ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ ﴾ (الحجر/22) أي: ملايح تُلْقِحُ
 السحاب. قال أبو عامر⁽²⁾: بل ذواتُ لِقَاحٍ، كقولهم: لابن و تامر، ومثله:

..... مِمَّنْ تُطِيحُ الطَّوَائِحُ⁽³⁾

أي: المطاوح. وقوله⁽⁴⁾:

* يَخْرُجُنَّ مِنْ أَثْبَاجِ لَيْلٍ غَاضٍ*⁽⁵⁾

قيل لرؤبة: ما هو؟ قال: المَغْضِي، المَطْرِق. ومثله:

* يَكشِفُ عَنْ جُمَاتِهِ دَلْوُ الدَّانِ*⁽⁶⁾

(1) البيت من بحر الرجز، وهو في لسان العرب/ سرر/ وفي هامش البيان والتبيين 1/ 204.

(2) لعله: أبو عمرو الشيباني كما ذكر ابن خالويه في كتاب أسماء الرياح 31.

(3) عجز بيت من البحر الطويل منسوب إلى الحارث بن نهيك في كتاب سيبويه 1/ 288
 وتمامه:

لِيُكَّ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِحُصُومَةٍ وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوَائِحُ

وقيل أنه لنهشل بن حري، أو للحارث بن ضرار النهشلي، وقيل هو للييد، والبيت في
 ديوانه بطبعته دار صادر 232، وشرح الطُّبَّاع/ 190، انظر خزانة الأدب 8/ 139، ومجاز
 القرآن 1/ 349.

(4) يقصد: رؤبة.

(5) شطر بيت من الرجز وهو في ديوانه 82.

(6) شطر بيت من الرجز للعجاج في ديوانه 86.

أي: المدلي: وقوله⁽¹⁾:

* كليني لهم يا اميمة ناصب*⁽²⁾

ولم يقل: مُنصب. وهو من: اُنصَبني اَلمم. وقال ابن ابي اسحاق⁽³⁾ لاتساعهم في اللغة اعادةه إلى أصله، لأن ألف (أفعل) زائدة. وانشد بعضُ الفصحاء:

وانكرتُ من زُبان خَضرة لونه و أنفاله مثل الثويليل قاعيا⁽⁴⁾
قيل: ما هو؟ قال: المُقعى: الأخثم. وقال الآخر:

(73/ و) تُندى أكفهمُ بخيرِ فاضل قَدماً إذا يَيسَتُ أكفُ الخَيبِ⁽⁵⁾
أي: امتنعت أكفُ المخيين، فجعلها يابسة. والخيب جمع: خائب.

فهل ترى في اللغة شيئاً إلا وفي القرآن ما يشهد له أنه عربيٌّ مبین؟

وفي القرآن: ﴿ فَطَلَّتْ أَعْنَقَهُمْ لَمَّا خَضِعِينَ ﴾ (الشعراء/ 4).

(1) يعني النابغة الذبياني.

(2) صدر بيت عجزه:

وليلِ أقاسيه بطيء الكواكب

والبيت في ديوانه/ 40، مطلع لقصيدة يمدح فيها عمرو بن الحارث الأعرج.

(3) عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي.

(4) البيت من البحر الطويل، ولم أقف عليه.

(5) البيت من البحر الكامل وهو لجرير في ديوانه بشرح الطباع 38، ومعناه: إن آباءه ذوو جود وكرم وأكفهم ندية بالعتاء بكرمهم الأصيل، وأكف سواهم يابسة جافة لبخلهم وخيبتهم.

ولم يقل: خاضعات، لأنّ (خاضعين) خبرٌ لكنايةِ القوم الذين أضافَ الأعتاق إليهم.

وقال القائل من الفصحاء:

وساقان كعباهما أصمعا ن أعالنهما لكّتا بالزئبر⁽¹⁾

ولم يقل: لكّنن. ذهب بالفعل إلى قوله: هما، وترك أعالي.

ومن كلامهم: هي شرُّ الناس و أخبثهم. ولم يقل: وأخبثه.

وكذا: هم خير البرية وأكرمها. ولم يقل: وأكرمهُ. وهو الصُّ الخلقِ

وأخونهم. ومثل ذلك قول الشاعر:

إنّ الأرابدَ معشرٌ..... دَسِو الثياب و شرهُ لخبيرٌ⁽²⁾

ولم يقل: وشرهم ويقولون: هي أثقلُ بلدة و أوخمه. وكذا: هي أوخمُ

أرضٍ و أوبؤه، ولم يؤبيا.

وهذا التوسع في اللغة يكثر جدا. و مثل ذلك قول رجل وجد نساءً

منهزمات باليمامة حيثُ غزّت حميرُ طسماً فتمثل بقوله:

شرُّ يومئها و أغواهُ لها ركبتُ عنزٌ بمجدجِ جملا⁽³⁾

(1) البيت من البحر المتقارب، ولهذا البيت نظير في ديوان أمريء القيس 163، والبيت:

وساقان كعباهما أصمعا ن لحمِ حماميتهمَا مُنْبِتْزُ

(2) البيت من البحر الكامل ولم أقف عليه.

(3) البيت من بحر الرَّمْل، انظره في الكامل 1/200، والعقد الفريد 1/486، والصاحي 442،

واللسان/ حدج/.

(73/ظ) رَدَهُ إِلَى (شَرٍّ) فَجَعَلَهُ وَاحِداً وَلَمْ يَقُلْ: وَأَغْوَاهُمَا.

وفي القــــرآن: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَا إِنَّ أَمْسَكَهُمَا ﴾ (فاطر/41)؛ لَأَنَّ مَعْنَى السَّمَوَاتِ مَعْنَى السَّمَاءِ لِاتِّصَالِهِنَّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا ﴾ (الأنبياء/30) فَأَبَانَ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، عَنِ اشْتِبَاكِهِمَا قَبْلَ فَتْقِمِهَا.

وقالت العرب⁽¹⁾ في مثله:

لَوْ أَنَّ عَصْمَ عَمَائِتَيْنِ وَيَذْبِلَ سَمِعَا حَدِيثَكَ أَنْزَلَا الْأَوْعَالَ⁽²⁾
وعمایتانِ اثنتانِ و يذبل الثالث، فجعلوا اللفظَ للثنتين، المُشْتَرَكِ بَيْنَهُمَا
كما قال الآخر⁽³⁾:

تَذَكَّرْتُ نَسْرًا وَالسَّمَائِينَ أَنَّهُا عَلَيَّ مِنَ الْغَيْثِ اسْنَهَلَتْ مَوَاطِرُهُ⁽⁴⁾

(1) القائل جرير.

(2) البيت من البحر الكامل، وهو من قصيدة له يهجو فيها الأخطل. والبيت في ديوانه شرح الطباع 370 بلفظ: ... سَمِعْتُ حَدِيثَكَ أَنْزَلُ الْأَوْعَالَ وَقَدْ وَرَدَ فِي الْأَصْلِ: (ولو) باقيان الواو وهو خطأ، إذ لا يستقيم الوزن معه. انظر: مجالس العلماء/ ط الخانجي/212.

(3) يعني الفرزدق.

(4) البيت من البحر الطويل، وهو في ديوانه شرح الطباع 288. بلفظ:

* تَنْظَرْتُ نَصْرًا وَالسَّمَائِينَ..أَيْهُمَا... *

ونصر: هو نصر بن سيار والبيت من قصيدة في مدحه. وقد سكن الباء من (أنهما) ضرورة. وانظر البيت في مجالس العلماء/ مكتبة الخانجي 213، والمحتسب

جعل السماكين واحداً، وأن شئت قلت: حملوه على الموضع (كما) ردوا
السماكين إلى السماء، وعمائتين إلى عماية اتساعاً، كما قال:

تَبَسِّمُ عَنْ مُخْتَلَفَاتِ ثُعَلٍ أَكْسُ لَا حَذْبٌ وَلَا بَرْثُلٌ⁽¹⁾
عنى الأسنان ثم ردّ إلى الفم، إلى موضع الأسنان، وكذا قول الآخر:

فماحت به غرّ الثنايا مُفْلَجاً وَسِماً جلا عنه الطلالُ موشماً⁽²⁾
طلّ المطرُ: إذا كثُر. ذهبَ به إلى الفم فذكَر، أي: جلا عن الفم، ولم يرجع
إلى الثنايا فيقول: جلا عنها. وقال لبيد:

(74 / و) فعلا فروع الأنيهقان بالجهلتين ظباؤها ونعامها⁽³⁾
ولا يُقال: أطفلت النعامة.

ولكن حَسَنَ بما قبله، لأنه كالشريك نحو قولهم: ثَقَلَدَ سيفه ورمحه⁽⁴⁾.
والرمح لا يُثَقَلُ، ولكنه حُمِلَ على ما قبله فحَسُنَ. وقول الشاعر⁽⁵⁾:

(1) البيت من الرجز، وهو غير منسوب في مجالس العلماء/ ط الخانجي/ 213، وعزاه
الأصمعي إلى رجل من بني عباد يهجو امرأته.

(2) البيت من البحر الطويل، وهو غير منسوب في مجالس العلماء/ 213، وهذا الشاهد
والشواهد التي قبله وردت كلها في المجالس وهي منقولة مع شرحها.

(3) البيت من البحر الكامل وهو في ديوانه شرح الطبايع 136، وديوانه/ دار صادر 164.

(4) أصل هذا القول بيت شعر من مجزوء الكامل لعبد الله بن الزّججري يقول فيه :

يا ليت زوجك قد غدا مُثَقَلُداً سيفاً ورمحاً

(5) مسكين الدارمي.

ونابغة الجعدي بالرمل بيثه عليه الصفيح من ثراب وجندل⁽¹⁾
ولا يكون الصفيح من ثراب. وروي عن أبي مسلم⁽²⁾:

ما غرکم بضيغم هزبر عُصل الناب حديد الظفر⁽³⁾
فقال: عُصل، ولم يقل أعصل، جعل الجمع للواحد للمبالغة، كما يقال:
رقباني [للغليظ] غليظ الرقبة، ولحياني للكبير اللحية.

وفي القرآن قوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ ﴿٥٤﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ ﴿٥٥﴾
(المدثر/ 54-55) لأن القرآن تذكرة للعالم وذکر، وقالت العرب⁽⁴⁾ تعني إيلاً:

فصبحت جايبة صهارجا كأنه جلد السماء خارجا⁽⁵⁾
فذکر، ذهب إلى الماء، ولم يقل: كأنها، ومثله:

* ولت ودعواها كثير صخبه *⁽⁶⁾

ذهب إلى الدعاء، وكذا

(1) البيت من البحر الطويل من قصيدة عينية مرفوعة، يرثي بها النابغة الجعدي، ورواية العجز في الديوان 49 (عليه الصفيح من رخام مُرْصَع) وعلى ذلك يكون في البيت إقواء، وهو عيب من عيوب القافية عند العروضيين.

(2) العاصي من الأعراب الفصحاء الذين أخذت عنهم اللغة، روى عنه أبو عمرو الشيباني في نوادره، انظر الفهرست/ دار المعرفة 71، وكتاب الجيم 2/ 102 و 129 و 31/ 3.

(3) البيت من بحر الرجز.

(4) القائل هيمان بن قحافة، من الرجاز الأمويين.

(5) البيت من بحر الرجز.

(6) شطر بيت من الرجز منسوب إلى بشير بن النُّكث في كتاب سيبويه 4/ 41، وغير منسوب في تهذيب اللغة 3/ 120، والمخصص 14/ 155، والمؤتلف والمختلف 61.

* ولا أرض أبقل إبقالها *⁽¹⁾

لأن الأرض: مكان، وكذا قوله⁽²⁾:

* والعين بالأئمد الحاري مكحول *⁽³⁾

ذهب إلى البصر، لأن العين بصر، وفي القرآن: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ﴾
(الشعراء/ 105) (74/ ظ) ذهب إلى الأمة أو العشيرة، كما ذهب إليه الشاعر⁽⁴⁾ في
قوله:

فما تركت قومي لقومك حياةً بأرض فضاء في البلاد ولا بحر⁽⁵⁾

(1) عجز بيت من البحر المتقارب منسوب إلى عامر بن الجوين الطائي كما في سيبويه 2/42،
صدره:

فلا مزة ودقت ودقها .

انظر: الخصائص 2/411، وشرح المفصل 5/94، والمقرب 1/303، والمخصص 6/80،
الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه 307-308، والتوسع في كتاب سيبويه/202.

(2) يعني قول طفيل الغنوي.

(3) هذا عجز بيت من البحر البسيط، صدره :

إذ هي أخرى من الربعي حاجيه .

انظر: البيت في الانصاف في مسائل الخلاف 775، والشاهد وأصول النحو في كتاب
سيبويه 307-308، والتوسع في كتاب سيبويه/202.

والعين بمعنى الطرف ؛ لذلك جاز تذكيرها وهذا ضرب من ضروب التوسع في العربية
يُسمى الحمل على المعنى.

(4) الأخطل التغلبي.

(5) البيت من البحر الطويل وهو في شعره الذي جمعه (فخر الدين قباوة) 1/188.

كما يقولون: هذه قومك، وجاءت قومك، فيؤثنون على معنى قبيلة وعشيرة. ومن الاتساع قولهم:

مررت بنا خولة في نسوة⁽¹⁾ والمسك من أردانها فإيحة⁽¹⁾

ذهب بفعل المسك إلى الريح، لأن الريح هي الفاعلة، ومثله:

يخملن أترجة نضخ العبير بها كأن تطيابها في الألف مشموم⁽²⁾

فكنى عن المرأة، يُريد: كأن تطياب هذه المعشوقة مشموم من هذه الأترجة يذل ما حضر على ما غاب.

وزعم معمر⁽³⁾: أنه سأل أبا الجراح⁽⁴⁾ وأبا زيد⁽⁵⁾ وأبا أدهم⁽⁶⁾.

وغيرهم من الفصحاء، فكلهم يقول: ثلاثة شخوص، للنسوة، فذكروا

الجميع على تذكير الأصل، لأنك تقول: هذا شخص قد أقبل، وأما قول عمر بن أبي ربيعة:

فكان مجئي دون من كنت أتقي ثلاث شخوص كاعبان ومُعصر⁽⁷⁾

(1) البيت من البحر السريع.

(2) البيت من البحر البسيط وهو لعلقة الفحل في ديوانه 51.

(3) ابن المثني، أبو عبيدة صاحب مجاز القرآن.

(4) العقيلي من فصحاء الأعراب وشعرائهم المغمورين، كان عالماً بلغات العرب، وكان يقول: ما من قوم إلأ وقد سمعنا لغائهم - بفتح التاء - راجع تفصيل هذا الكلام في معاني الفراء 2/93.

(5) الأنصاري صاحب النوادر في اللغة.

(6) أبو أدهم الكلابي من فصحاء الأعراب الذين سمع منهم علماء اللغة. الفهرست 71.

(7) البيت من البحر الطويل وهو في ديوانه 100، والبيت من شواهد سيبويه 3/566.

وَأَمَّا أَثَثَ الْعَدَدَ عَلَى الْمَعْنَى، وَقَدْ بَيَّنَّهُ بِقَوْلِهِ: كَاعْبَانٍ، أَنَّهُ يُرِيدُ الْمُؤَنَّثَ وَالْعَرَبُ تَقُولُ: مَا بَقِيَ فِيهَا غَيْرُ ثَلَاثَةِ أَنْفُسٍ، فَيُذَكَّرُونَ الْعَدَدَ كُلَّهُمْ عَلَى الْمَعْنَى، وَأَنْ كَانَ أَصْلُهُ مُؤَنَّثًا، إِذَا عَنُوا الرِّجَالَ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ⁽¹⁾:

ثَلَاثَةُ أَنْفُسٍ وَثَلَاثُ ذَوْدٍ لَقَدْ عَالَ الزَّمَانُ عَلَى عِيَالِي⁽²⁾

أَي: جَارَ، وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (الأعراف/189). الْفَصَحَاءُ يَقُولُونَ: بَقِيَتْ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ، وَأَنْ عَنُوا الذَّكَرَ يَحْمَلُونَهُ عَلَى اللَّفْظِ، وَمَا هِيَ إِلَّا نَفْسَةٌ وَاحِدَةٌ.

وَسَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ يَزِيدَ النَّحْوِيَّ يَقُولُ: لَقِيَ أَبُو عُبَيْدَةَ سَيَبُويه فَقَالَ لَهُ: كَيْفَ تُصَعِّرُ خَمْسًا؟ فَقَالَ: خُمَيْسٌ، فَأَجَابَهُ سَيَبُويه بِالْخَطَا⁽³⁾ لِأَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُ مِمَّنْ لَا يَفْهَمُ حَقِيقَةَ الْأَعْرَابِ.

وَلَا أَظُنُّهُ إِلَّا غَلَطًا مِنَ الْمَبْرَدِ، لِأَنَّ كَلَامَ أَبِي عُبَيْدَةَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ سَأَلَهُ عَنِ (نَفْسٍ) لَا عَنِ (خَمْسٍ).

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: زَعَمَ سَيَبُويه أَنَّهُ إِذَا أَرَادَ ب(النَّفْسِ) الرَّجُلَ صَعَّرَهُ بِغَيْرِ الْهَاءِ، قَالَ: وَلَمْ أَسْمَعْهُ مِنَ الْعَرَبِ.

(1) الخطيئة.

(2) البيت من البحر الوافر وهو في ديوانه/395 وفي طبعة دار الكتب العلمية 165 بلفظ: ... ونحن ثلاثة..... لقد جار. والبيت من شواهد سيويه 3/565.

(3) انظر مسائل التحقير في كتاب الانتصار لسيويه على المبرد، لابن ولاد النحوي مسألة 98 وما بعدها.

فأما قولهم: ابن عيينة، فلو كان اسمه (عيناً) لم يكن تصغيره إلا عيين، كما قال⁽¹⁾:

* الكني يا عيينَ إليك قولاً *

ولما صُعرت العينُ التي هي جارحةٌ ثم سُمِّيَ بها فقليل: عيينة.

كما يقولون: جاءت البلجاء أي الرجل الأبلج الشفة⁽²⁾، لأنه سُمِّيَ بذلك.

ومثله قولهم: أصابتنا سماءٌ جودٍ، ولا يقولون: جوده، فإذا صَعَرُوا قالوا:

سُمِّيَ، يُذَكِّرُونَهُ (75/ ظ) على معنى المطر، وكذا أرادوا بقولهم: جود. قال

مكورةٌ وكان عالماً باللغة: صُمْتُ عَشْرًا من رمضان، فأث، وكذلك قال جابر وابن مسمع و زعيب، وكانوا على طبائعهم في الفصاحة.

ومثله في القرآن: ﴿يَرِيضَنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا﴾ (البقرة/ 234)

على الليالي.

قال محمد بن يزيد، المعنى: أربعة أشهر ومدّة عشر ليالٍ، وأنشد غيره⁽³⁾:

قبائلنا سَبْعٌ وأنتُم ثلاثةٌ وللسبْعُ خيرٌ من ثلاثٍ وأكثر⁽⁴⁾

(1) النابغة الذبياني.

(2) هذا وهم من المؤلف، فالبلج لا يأتي بهذا المعنى، وإنما يقال: بَلَحَ الصُّبْحُ - وأبْلَحَ وبَلَّحَ: أضاء وأشرق. وكلُّ متّضحٍ أبْلَحُ: الضوء، وهو أبْلَحُ: بين اللج ورجلٍ بَلَّحَ: طلقُ الوجه.

... أما الفلحُ فهو: شقٌّ في الشفّة السفلى. فالمراد هنا الفلح لا البلج والله اعلم.

انظر: مختار القاموس: بلج/ و/ فلح/.

(3) انشده سيبويه في كتابه 3/ 565 منسوباً للقتال الكلابي.

(4) بيت من البحر الطويل في ديوان القتال 50.

فذهب مرة إلى الحي فذكر، فقال: ثلاثة، وأعادته بعد إلى القبيلة فقال: من ثلاث، فأث.

فأما قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِن نِّسَائِهِمْ﴾، فتقديره: الذين يخلفون ﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ (البقرة/226) من نساءهم، على التقديم والتأخير، ولا يقال: الذين منك، إنما يقال: عليك.

وقال قوم⁽¹⁾ المعنى: للذين يخلفون أن يبعدوا من نساءهم ﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ لا أكثر من ذلك فحذف (أن يبعدوا) لأنها أنزلت على سبب مُتَقَدِّم. والطلاق مصدرٌ من: طَلَّقْتُ، فصارَ مثل (الكلام) من كَلَّمْتُ فهو موحَّدٌ في اللفظ، كما قال:

* المَالُ هَدْيٌ وَالنِّسَاءُ طَالِقٌ *⁽²⁾

ولم يقل: طوالق.

وفي القرآن: (76/ و) ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَيْمٍ﴾ (يونس/22) معناه: وجرت بكم، وعلى مثال ذلك قول بعض العرب:

رحلتُ وودَّعتُ الخليطَ اليمانيا سُهيلا وأذنتُاهُ الأتلاقيا⁽³⁾
وكان وجه الكلام: وأذنته، لأنه قال: رحلتُ وودَّعتُ، ولم يقل: رحلنا.
ومثل قوله: ﴿وَجَرِينَ بَيْمٍ﴾ قول الآخر⁽⁴⁾:

(1) القول للطبري في تفسيره بتحقيق محمد شاكر 4/456.

(2) شطر بيت من الرجز غير منسوب في معاني القرآن للفرّاء 1/2-3، والخصائص 2/62، 478، وتأويل مشكل القرآن 220 وفيه: طوالق، ولا شاهد فيه حينئذ.

(3) البيت من البحر الطويل.

(4) لبيد بن أبي ربيعة العامري.

باتت تشكى إلى النفس مُجهشةً وقد حملتك سبعاً بعد سبعينا⁽¹⁾
والوجه: وقد حملتها، فتحوّل عن الأخبارِ عنها إلى مخاطبتها، وقد يحدثُ
الرجلُ عن نفسه فيدعُها ويُخاطبُ غيره في اللفظ، لأنَّ المعنى إنما يقع عليه، كما
تمثّل علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه:

أريدُ حياته ويُريدُ قلتي عذيرك من خليلك من مُراد⁽²⁾
ولم يقل: عذيري، وقال الآخر في مثله، فكأنه خاطبَ غيره، والمعنى إنما
يقعُ عليه:

عذيرك من مولى إذا نمت لم ينم يقولُ الخنا أو تُعتريك زنايره⁽³⁾
والمولى: الولي، فأما قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْكٰفِرِينَ لَا مَوْلٰى لَهُمْ﴾ (محمد/11).
فقد بيّنه بقوله: ﴿وَاللّٰهُ وَٰلِىُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران/68).

وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ (البقرة/143).
فقطعن فيها أهل الزبيغ، فقالوا: جعلها ليعلم، فيكون ذلك سبباً لعلمه
فالجواب: (76/ظ) أي: ليظهر فعلٌ من يتبع ممّن ينقلبُ على عقبيه، فيكونُ
فاعلاً أو غيرَ فاعل - وذلك لِمَا رَجاه من ثوابه، وخوفه من عقابه، واللهُ عالمُ
الغيب - وإنما تقعُ المجازاةُ بعد إظهار الفعل من فاعله.

(1) البيت من البحر البسيط وهو في ملحق ديوانه بشرح الطّباع 185، وفي ذيل ديوانه طبعة
صادر ص 225.

(2) البيت من البحر الوافر، وهو لعمر بن معد يكرب الزبيدي في ديوانه 65.

(3) البيت من البحر الطويل، وهو الكتاب 313/1، والمخصص 12/184، والبيت مجهول
القائل. انظر: أسطورة الأبيات الخمسين في مجلة المجمع العلمي العراقي 238.

وقد يجيء الأتساع لفظاً لها ثلاثة معانٍ كقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ (البقرة/66) أي: ما كان بحضورتها، كقولك: كان الأمر بين يدي، أي بحضورتي.

ومجاز آخر (ما بين يديها) أي: ما كان قبلها، كقوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾ (المائدة/48) وقولهم: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ (سبا/31).

ومجاز ثالث: ما يكون بعده، كما تقول للظالم: القيامة بين يديك، أي: تأتي بعد موتك.

وقال ناسٌ من أهل الزبيغ: كيف تكون نكالا لما هو قبلها وإنما بعد ذلك؟ قيل لهم من حيث جهلتم: إن الله جعل ذلك نكالا لمن دان به قبل إهلاكها، كما عاتب قوماً بفعال غيرهم، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يُمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾ (البقرة/55) و ﴿لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاجِدٍ﴾ (البقرة/61) و ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا﴾ (البقرة/72) وليس منهم أحدٌ أذرك موسى: ولكنهم لما دانوا بدينهم عوتبوا على أفعالهم كقوله تعالى: (77/و) ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة/91) أي: صادقين - وغيرهم القاتل.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة/66) فإن العرب تسمي الخلف والوراء في بعض المعاني ما كان: أماماً، كقوله: ﴿وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ﴾ (الكهف/79) أي: أمامهم، لأن ما توارى عن العين فهو غائب، من أمام كان أو غير ذلك ولذلك قيل: إياكم والثُّمَّة لمعاني القرآن وتأويل ألفاظه، فإن يكن عوجٌ فمِن قلوبكم.

وكلُّ معنى في النفس فهو يحتاجُ إلى تَرْجُمانٍ يبيِّنُ عنه ما هو؛ فإذا لم يُذكَرْ ظاهراً أُسْتَدِلُّ عليه باطناً، كما قرأ يعقوب⁽¹⁾ الحَضْرَمِيَّ ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا﴾ (الإسراء/ 13) يُريد: وَيَخْرُجُ لَهُ الطَّائِرُ كِتَاباً مَنْشُوراً، فلولاً دليلاً الأعراب لبعْدَ عن الصواب، ومثله قول الشاعر⁽²⁾:

فَلَقَدْ عَلِمْتُ إِذَا الْعِشَارُ تَرَوَّحَتْ هَدَجَ الرِّئَالِ تَكْبُهْنَ شَمَالاً⁽³⁾
أي: تَكْبُهْنَ الرِّيحُ شَمَالاً⁽⁴⁾، فَتَصَبُّ (شَمَالاً) عَلَى الْحَالِ.

وَفِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَهَزَى إِلَيْكَ بِمَجْنَعِ النَّخْلَةِ سُدَّقْتَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا﴾ (مريم/ 25) نَصَبَ (رُطْباً) عَلَى الْحَالِ، التَّقْدِيرُ: يَسَاقُطُ عَلَيْكَ رُطْبٌ فِي حَالِ مَا هُوَ رُطْبٌ جَنِيٌّ.

(1) ابن إسحاق بن زيد بن عبد الله الحضرمي البصري، مقرئ البصرة في عصره قال عنه أبو حاتم السجستاني: هو أعلم من رأيت بالحروف، والخلاف في القرآن وعلله ومذاهبه، ومذاهب النحو. وقال عنه أحمد بن حنبل: هو صدوق وفي قراءة يعقوب اختلاف نشأ بين المتأخرين، والصحيح أن قراءته ثابتة مقبولة غير شاذة لصحة أسانيدها، ولفصاحتها، ولموافقتها رسم المصحف.

انظر: معرفة القراء الكبار، بتحقيق د. طيار آلتي 328/1 وما بعدها، وغاية النهاية في طبقات القراء (دار الكتب العلمية) 336/2 وما بعدها.

(2) الأخطل التغلبي.

(3) البيت من البحر الكامل وهو في شعره الذي جمعه قباوة 107/1 باختلاف.

(4) انظر: معاني الأخفش 393/2.

وقال سويد بن أبي كاهل في مثل هذا الإضمار:

(77/ ظ) وإذا هبت شمالاً في قدورٍ مُشجّجاتٍ لم تُجَمَّ (1)

أي: مملوءة لحمًا، فإذا لم تكن مملوءة فهي جائعة، يُريد: وإذا هبت الريحُ شمالاً، نصبَ على الحال، كما قال سلامة بن جندل (2):

وقد نحل إذا هبت شاميةً بكلّ وادٍ حطيبِ البطنِ مجدوبٍ (3)

أراد: إذا هبت الريحُ شاميةً، ولو لم يُضمِرِ الريحَ لرفع.

ويجيء في القرآن (ما) بمعنى (الذي) كثيراً، وكذا في اللغة كما قال الشاعر:

* يا هندُ ما أبتغي لقاءكم * (4)

ولو كانت (ما) نفيًا لنصبتَ (لقاءكم)، فقوله: لقاءكم: خبرُ الابتداء و (ما)

أبتغي) مبتدأ.

فهذه الاتساعات تدلُّ بأعرابها ذوي الأفهام على الفطن لعانيها، كذا

اعتراضُ كلامٍ بينَ كلامين في مواضع من القرآن قد ذكرناها، منها: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا

دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ والاعتراض: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (النمل/ 34) تُصوبياً

لقولها، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾، قال لوط لجبرائيل عليه السلام: بل

الساعة، فقال: ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ (هود/ 81).

(1) البيت من بحر الرمل وهو في ديوانه/ 27.

(2) هو من بني عامر بن غبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب جاهلي قديم، من فرسان تميم

المعدودين كانَّ وصافاً للخيل. الشعر والشعراء 152 (دار الكتب العلمية).

(3) البيت من البحر البسيط، في ديوانه 119.

(4) هذا شطر بيت من البحر المنسرح.

وقيل ليوسف: المرأة قد عذرتك بقولها: ﴿أَنَارَوَدْتُهُ﴾ (يوسف/51) فقال:
 ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ (يوسف/52)، ومثلها قول القائل والقرآن افسح:
 (78/و) فقد والشك، بين لي، بعاجل بينهم صرد يصيح⁽¹⁾
 اراد: بين لي بعاجل بينهم صرد يصيح، وقوله: والشك عناء، اعتراض.

ومن المعاني ذوات الفوائد الصحائح التي تنقذ بك القرائح، قول
 القائل، في جميل من لطيف المدائح، فأخبر ثم خاطب، فقال:

وَمَنْ يَتَابُهُ فَئِدَى وَبُخْلٌ فَقَدْ أَوْسَعَتْ مِنْ بُخْلٍ وَجُودٌ⁽²⁾
 ولم يقل: ومن يتابك، اراد: بخلاً بدينه وجوداً بماله، يقال: أوسع الرجل
 إذا جاد بسعة، وفي القرآن: ﴿عَلَى الْمَوْسَى قَدْرُهُ﴾ (البقرة/236)، وقد: وسع فلان
 بناء، أي: بناءً واسعاً.

وقيل في قول يوسف: ﴿إِنِّي حَفِيفٌ عَلَيْهِ﴾ (يوسف/55)، أي: علمي يتسع
 لحفظ خزائن الأرض، أرض مصر، ولم يدل بنفسه ولا امتدحها، ولكنه ضمان،
 يقول: طالبني بالحفظ والإقامة فائي أقوم بذلك، وهذا مثل قولك: طالبني بالبناء
 المحكم فاني بناءً.

وفي القرآن: ﴿مَنْ أَنْصَارِيَّ إِلَى اللَّهِ﴾ (آل عمران/52) أي: من يضم نصرته
 إلى نصرته الله، وعلى هذا قول أوس بن يعمر:

(1) البيت من البحر الوافر، وهو بلا نسبة في الخصاص 1/330 و2/390، و معني اللبيب
 1/186، وشرح شواهد للسيوطي 1/489، وشرح أبياته للبغدادي 4/89.
 (2) البيت من البحر الوافر.

مَنْ ذَا يِعَاوِئُنِي وَيَرْفِدُ مَنْطِقِي إِلَى مَعْشَرِ أَجْزِي بِهِمْ وَأَدَافِعُ⁽¹⁾
 أَي: مَنْ يَضُمُّ مَعُونَتَهُ إِلَى مَعُونَةِ مَعْشَرٍ بِتَصْدِيقِي⁽²⁾ مَنْطِقِي فِي مَدْحِي لَهُمْ
 فَيَشْفَعَهُ بِمَثَلِهِ.

والعرب قد وضعت (هل) بمعنى (قد) لأنَّ قد عِدَّةٌ وتقريب، و(هل) تقرير (78/ظ) وتذكير، والدليل على أنه ليس بإستفهام قول أبي بكر لما نزلت: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ (الإنسان/1) بيَّنه فقال: لَيْتَهُ كَانَ ثُمَّ فَلَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا، أَي: فِي طِينَةِ آدَمَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَكَذَا: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ (الغاشية/1) أَي: قَدْ أَتَاكَ، كَمَا قَالَ قَيْسُ بْنُ زَهْرٍ⁽³⁾:

* أَلَا هَلْ أَتَاكَ وَالْأَبْيَاءُ تَنْمِي *⁽⁴⁾

(1) هذا البيت مُلْفَقٌ فصدره من البحر الكامل، وعجزه من البحر الطويل.

(2) هكذا في الأصل ولعلها (تصديق).

(3) أبو هند بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي، أدرك الإسلام واسلم ثم ارتد وتنسك، كان سيد قومه، أمير عبس وداهيتها، يلقب بقيس الرأي لجودة رأيه، من الأمراء والدهاة والشجعان والخطباء والشعراء، خطبه غير قليلة، وحكمته في مآثور كلامه مستفيضة، وشعره جيد. (مات سنة 10 هـ).

انظر: معجم الشعراء المخضرمين والأمويين 380، الأعلام 5/206، وسمط اللألي 583، خزانة الأدب 1/288، 405، 8/361، 9/524.

(4) هذا صدر بيت من البحر الوافر، والبيت فحل على هذه الرواية والصحيح ما رواه سيبويه في كتابه 2/60 (طبقة بولاق) و 3/316 (طبعة هارون) وقد نسبه إلى قيس بن حجر، أنشده:

أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَبْيَاءُ تَنْمِي مَا لَأَقْتِ لَبُونُ بَنِي زِيَادِ

أي: قد أتاك.

وكذا جاءت الهمزة الي في لفظ الاستفهام، لأنها أختُ (هل) وقد تُبدل منها (هاء) فيقولون: هياك، بمعنى إياك، و: هأنت قلت ذلك، وفيها غاية الأفهام أنها في معنى المعاتبه والتنبيه، نحو قوله عز وجل للمسيح عليه السلام:

﴿ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ (المائدة/116) وهو العليمُ أنه لم يقله ولكنه توبيخُ لِمَنْ حكاه عنه، وقوله تبارك وتعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ (الزمر/36) [و] ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ (العنكبوت/68) [و] ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ (النساء/82) [و] ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾ (المائدة/74) وقوله: ﴿أَيُّبُ أَحَدِكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ (الحجرات/12).

وانظر: البيت في سر صناعة الإعراب 1/78، وفهرس شواهد سيبويه، لأحمد راتب النفاخ/83، والمنصف 2/81، وخزانة الأدب 8/361، 9/524، وما يجوز للشاعر في الضرورة 158، والتوسُّع في كتاب سيبويه 205.

فهذا البيت انشده سيبويه في باب الضرورات وليس يجب أن يكون منها، لأنه لو أنشد بحذف الياء لم ينكسر الوزن، وإنما موضع الضرورة ما لا يجد الشاعر منه بدأ في إثباته ولا يقدر على حذفه لثلا ينكسر الوزن، وهذا يسمى في عروض الوافر: المنقوص. وهو الذي يجتمع فيه تفعيلة (مفاعلتن) عصب وكف بالمصطلح العروضي مسكن لامها وتحذف نونها فتكون بالعصب: (مُفَاعَلْتُنْ) ثم يدخل عليها (الكف) الذي هو حذف السابع الساكن من التفعيلة فتصير (مفاعلت) وتنقل إلى (مفاعيل). ومن هنا يتضح أن الشاعر لم يكن مضطراً إلى تشبيه الياء في الجزم بالحرف الصحيح الذي يسكن ولا يحذف وكان بمقدور الشاعر الوفاء بمعيارية القياس النحوي؛ لأن الوزن لم يلح عليه ولم يضطره إلى ارتكاب ما هو غير مقيس على إن سيبويه قد صرح بأنه مضطراً إلى ذلك.

- (1) ومجاز ما يقع من هذا تقريراً لا استفهاماً، في مَدَحِ أَدَمَ، مجاز قول جرير⁽¹⁾
لبنى أمية:
- (2) أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَأْيَدِي الْعَالَمِينَ بَطُونِ رَاحٍ⁽²⁾
إِنَّمَا أَذْكَرَهُمْ وَلَمْ يَسْتَفْهِمِ، أي: أنتم كذا، فلن أخيب من أفضالكم، وكقول
كثير⁽³⁾:
- (4) أَلَيْسَ أَبِي بِالْتَّضْرِ أَمْ لَيْسَ وَالِدِي لِكُلِّ نَجِيبٍ مِنْ خِزَاعَةِ أَزْهَرِ⁽⁴⁾

(1) ابن عطية بن حذيفة بن بدر بن سلمة أبو حَرْزَةَ، شاعر مشهور بالهجاء لم يثبت أمامه إلّا الأخطل والفرزدق. عاش عمره كلّهُ يناضل شعراء زمانه ويساجلهم، وكان حليماً عفيفاً، ومن أغزل الناس شعراً مات سنة 100هـ.
انظر: معجم الشعراء المخضرمين والأمويين 80، رسالة الغفران 313، والموشح 118-132، والأعلام 2/119.

(2) هذا بيت من البحر الوافر، من قصيدة يمدح بها الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان مطلعها:

أَتَصْحُوبُ بَلْ فَوَاذُكَ غَيْرُ صَاحٍ عَشِيَّةً هَمَّ صَحْبُكَ بِالرَّوَّاحِ

والبيت في ديوان جرير/ شرح الطُّبَّاع 102.

(3) أبو صخر كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي من أهل المدينة، مشهور (بكثير عزة) شاعر مشهور وفد على عبد الملك بن مروان فازدراه؛ لأنه كان دميماً مفرط القصر، في نفسه شَمَمٌ وترَفَعٌ، ولما عرف أدبه، رفع مجلسه. مات في خلافة هشام (سنة 105 هـ). معجم الشعراء المخضرمين 388، وحديث الأربعاء 283.

(4) البيت من البحر الطويل وهو في ديوانه 233، باختلاف كبير في الألفاظ، إذ رواية البيت:

أَلَيْسَتْ أَبِي بِالصَّلْتِ أَمْ لَيْسَ لِكُلِّ هِجَانٍ مِنْ بَنِي التَّضْرِ أَزْهَرَا

(79/و) وقول المسيح: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ (المائدة/117) قالوا، معناه: رَفَعْتَنِي وهو معنى غريب! كما قال الأشعر⁽¹⁾ الجعفي:

فَلَمَّا التَّقِينَا تَوَفَّيْتَهُ عَلَى الرَّمْحِ مَنَى غَدَاةَ النَّزَالِ⁽²⁾
أي: رفعته على الرمح.

وأما قوله تبارك وتعالى: ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي﴾ (المائدة/116) فالنفس في كلام العرب تُجرى على ضربين، كقولك: خَرَجَتْ نَفْسُ فُلَانٍ، لِلْمَيِّتِ، وتقول في الحيِّ: فِي نَفْسِ فُلَانٍ أَنْ يَفْعَلَ كَذَا، وَهِيَ تِلْكَ النَّفْسُ. والضربُ الآخر: معنى النفس فيه معنى جُمْلَةٍ الشَّيْءِ وَحَقِيقَتُهُ فَالتَّأْوِيلُ: إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا فِي حَقِيقَتِي وَلَا أَعْلَمُ مَا تَعْلَمُ، لِأَنَّكَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ فَأَنْتَ تَعْلَمُ مَا فِي غَيْبِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي غَيْبِكَ، وَدَلٌّ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (المائدة/116).

فإن قال قائل: متى سَمَّيتِ العرب النفسَ غيباً؟ قيلَ له: لما كان الغيبُ في النفس جازاً أن يُسَمَّى بها لأنَّ الغيبَ في كلامهم: هو كُلُّ ما واراكَ مِنْ شَيْءٍ أَوْ تَوَارَى عَنْكَ فَهو غيبٌ، حكى ذلك أهلُ اللِّغَةِ، والأصمعي وغيره: أنَّ النفسَ قد ورَّأها الجوفُ، فجازَّ على هذا المعنى أن تقول: إنَّ النفسَ بمنزلةِ الغيبِ، لأنَّ الأسماءَ لم توضعَ في الأصلِ بعللٍ، وإنما وضعتَ للفُصولِ بين الأشياءِ، فالمعاني موجودةٌ بأنفسها والأسماءُ إبانةٌ (79/ظ) عنها، فإذا قلت: فعلته من تلقاء نفسي، ف (تلقاء) معناه يقربُ من معنى (عنده) وليسَ به، لأنَّ أصلَ (عند): الحضرة

(1) هكذا بالشين والصواب انه بالسين، والأشعر هو مرثد بن أبي حُرَّان، وهو من شعراء الجاهلية وفرسانها، وسمي الأسهر ببيت شعرٍ قاله. انظر: الاشتقاق 408، والمؤتلف 58.
(2) بيت شعر من البحر المتقارب.

كلها إما في النفس وفي البعد والقرب، و(تلقاء) لا يكون لما في النفس، فهو مُلاصِقٌ غيرُ مفارِقٍ.

وكقوله: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي﴾ (يونس/15)-
وليس في كلام العرب: زيدٌ تَلْقَاءُ دارِكٍ لأنَّ تَلْقَاءَ ليس باسم لما يَنْصَرَفُ، إنما هو للشَّيء الثابت، كقولك للرجل: إنَّما فَعَلْتَ هذا من تَلْقَاءِ نَفْسِكَ، لأنَّ نَفْسَهُ لا تُفَارِقُهُ.

وتقول: دارِكٌ تَلْقَاءَ دارِ زَيْدٍ، ودارِكٌ تَلْقَاءَ الشَّمالِ، لأنَّ جِهَةَ الشَّمالِ ثابتة، ولو قال قائلٌ: تَلْقَاءُ الشَّمالِ، بالرفع يجعله الشيء بعينه، لجازَ على السَّعة.
وأصل تَلْقَاءَ يشتملُ على هذه الأبواب، كما تشتملُ النَفْسُ في قولِكَ: نزلتُ بنَفْسِ الجبلِ، ووزنُ تَلْقَاءَ: تَفْعَالُ.

ومعنى (دارِكٌ تَلْقَاءَ الشَّمالِ): أي تَتَلَقَّى الشَّمالِ، ومعنى (تَلْقَاءَ نَفْسِي) أي: ما يُلْقَى في نَفْسِي وما يَحْضُرُ عِنْدِي، كما تقول: ما يَخْطُرُ بِيالِي، و: ما يَقَعُ في خُلْدِي.

ولا يكون أن تقول: زيدٌ تَلْقَاؤُكَ، فتصِفُهُ بذلك، هذا يَفْسُدُ من جِهَتَيْنِ، إحداهُما: إنَّهُ ليسَ المعنى: زيدٌ يلقى في قلبِكَ كما تقول: هذا قلْتُه من تَلْقَاءِ نَفْسِي، أي مِمَّا يَقَعُ في نَفْسِي، فليس هذا مكانَ زيدٍ (80/و).

والجِهَةُ الأخرى التي هي مثلُ: داري تَلْقَاءَ دارِكٍ، إنَّ زَيْدًا ليسَ بشيءٍ ثابتٍ كالدار التي تقابل دارَ زَيْدٍ.

ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿وَيَحذِرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ (آل عمران/28) أي: يُحذِرُكُم اللهُ تعالى إِيَّاهُ، فهو كقول الرجل: جئتني بنفسِكَ، تقول: جئتني أنتَ لاغيرِكَ، هذا قولٌ فصيحٌ في كلام العرب من غيرِ تحصيلِ نَفْسٍ من جَسَدٍ.

فسبحان الواحد الصمد، الهادي عباده للرشد، فقد خصَّ الله تعالى منهم، بالمعائبة والتذكار، أولي الأفهام والألباب، لأنه عليهم حكيمة، لا يعاتب مَنْ لا يعي فهمه لما به يريد ولا يلقي السمع وهو شهيد لما يأتي به من وعدٍ ووعيد، فيذهب العتاب لغوا وتطيش الحجة صفحاً، ونعوذ بالله من طول الغفلة وكُلُول الفطنة، كما قيل:

كَمْ مِنْ وَعِيدٍ يَخْرُقُ الْأَذَانَا كَأَمَّا يُعْنَى بِهِ سَوَانَا
* أَصْمْنَا الْأَمْهَالَ بَلْ أَعْمَانَا *

ومِمَّا يَدْخُلُ فِي مَعْنَى الْمَعَابَةِ قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (التوبة/ 74) أَي لَيْسَ ذَلِكَ مِمَّا يُنْقَمُ.

وَعَلَى مَذْهَبِ التَّعْجِيزِ لِأَرَائِهِمْ قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً﴾ (الأنفال/ 35) - وَالْمُكَاءُ: الصَّفِيرُ، وَالتَّصَدِيَةُ (80/ ظ) التَّصْفِيقُ - وَلَيْسَ بِصَلَاةٍ، أَي لَمْ يَكُنْ لَهُمْ صَلَاةٌ، إِثْمًا كَانَ مَا وَصَفَهُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - عَنْهُمْ جَعَلُوهُ مَوْضِعَ الصَّلَاةِ، فَسَمَّاهُ صَلَاةً عَلَى دَعْوَاهُمْ.

وَكَذَلِكَ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ: ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾ (البقرة/ 78) أَي: يَتَمَثَّلُونَ فِي الْكِتَابِ الْأَبَاطِيلَ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَسْكَمَا يَا مَرُكُم بِهِ إِيمَانِكُمْ إِِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة/ 93) أَي لَوْ كَانَ لَكُمْ إِيمَانٌ كَمَا تَزْعُمُونَ لِحُجْزِكُمْ عَنِ الْبُهْتَانِ.

وَمِنْ اتِّسَاعِ اللُّغَةِ أَنَّ (إِلَّا) فِي مَعْنَى (لَكِنْ) مُنْقَطِعَةٌ مِمَّا قَبْلَهَا تَقُولُ الْعَرَبُ: إِنَّ فُلَانًا لِكَثِيرِ الْمَالِ إِلَّا أَنَّهُ بَخِيلٌ، أَي لَكِنَّهُ مُنْسِكٌ وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ﴾ (١٣) إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ﴿ (بس/ 43-44) فَهَذَا بَيِّنٌ

الانقطاع مما قبله ؛ لأن الله الصادق قال: ﴿فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ﴾ فكيف تكون الرحمة صريحاً وقد نفاها عن المشيئة؟

وقوله تعالى: ﴿أَنِّي يَكُونُ لِي وَلِدٌ وَلَمْ يَكُنْ لِي صَاحِبَةً﴾ (الأنعام/ 101) على التهجين والتنبيه لمن ذهب عن اليقين، وكذا قوله عز وجل: ﴿أَوْلَتْ نَعْمَتَكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ (فاطر/ 37) فقد يكون يعني الرسول⁽¹⁾ فيكون الوعظ لمن تفسح في عمره، وقد يكون جاءكم المشيب لتحقيق احتناك السن والتعمير، والله أعلم.

وأما قوله تعالى: (81/ و) ﴿وَرِيدٌ أَن تَمَنَّ﴾ (القصص/ 5) فللأرادة في اللغة ثلاثة معان تقول: أراد الله خلق الخلق، أي: خلقهم بأرادته عز وجل، وقد يكون: أراد أمراً، كقولك: أرادني فلان على كذا وكذا، إذا أمرك به، والمعنى الثالث أراد: أي همم بكذا، وهذه كلمة منفية عن الله - جل ثناؤه - لأنه إنما يخلق ويأمر غيره بهم، ولا يعلم ما يكون حتى يكون، والله تعالى يعلم آخر الأمور كعلمه بأولها، ويعلم باطنها كعلمه بظواهرها، فتبارك الله العليم القدير الفعال لما يريد.

وفي القرآن آية يسبق إلى القلوب غير معناها [هي] قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي بأرائهم وأهوائهم ﴿لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُؤْيِبَهُمُ﴾ (الزخرف/ 33) مجازها: إن الله أراد أن يكون المؤمن والكافر غير متباينين في أرزاق الدنيا، فجعلها هما في العاجلة، إذ لم يرض بالدنيا ثواباً لمن أطاع، ولا عذاباً لمن عصى، ولو جعل لمن كفر لبيوتهم ﴿سُقُقًا مِّن فِضَّةٍ﴾

(1) انظر: معاني القرآن للفرّاء 2/ 370.

(الزخرف/ 33) ذات رفعة وزخارف لكان الناس إلى زخارفهم ناظرين ولها بسوء الظن بربهم، متبعين حتى يصيروا أمة واحدة فيبطل الامتحان ﴿لَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (هود/118) ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (الرعد/31) لا على جهة هداية الدلالة ولكن على إلزام الطبيعة (81/ظ) ولكنها دار أمتحان.

ويصدق ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (الأعراف/32)

أي وقع لهم الأيمان في الدنيا خالصة يوم القيامة، يخلص لهم دون الكفار، فهذا يعلمك أنهم شركاء فيها في الدنيا فابان في هذه الآية ما أجمل في التي قبلها بقوله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمُ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (الجاثية/21) أي: أن يسوي بينهم في الآخرة، كما سوي بينهم في الدنيا.

وقال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ (الأعراف/40) ليس على معنى (حتى): وقت ذلك، ولكن على التبعيد، وزعم الأصمعي أن السَّمَّ والسَّمَّ لغتان⁽¹⁾ في كل ضيق المسلك.

فأما في القرآن فبالفتح - والعرب تقول في مثل معناه: حتى يبيض القارو:

(1) جاء في اللسان/ سمم/، عن أبي الهيثم الأعرابي أنهما: لغتان: سَمَّ وسَمَّ لخرق الأبرة.

[حتى] يشيب الغراب⁽¹⁾، تبعداً للأمر، وهم يعلمون أن ذلك لا يكون، قال الشاعر:

إذا شاب الغراب هجرت ليلي وهيهات المشيب من الغراب⁽²⁾
 وأما قول شعيب: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا﴾ أي في الملة العاصية ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ (الأعراف/ 89) ولا يشاء الله أن تعود الرسل في شرك أبداً ولم يكونوا في (82/ و) شرك فيعودوا إليه، ولكن العرب تقول: عاد فلان في الشر، أي: صار إليه، وأن لم يكن كان فيه قط.

وقال مجاهد⁽³⁾: الأنبياء على ثلاث جهات، [ف] قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِشَرِّ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا﴾ (الشورى/ 51) فهو داود، أوحى الله تعالى إليه، فزبر الزبور في صدره، وكذا شعيب، وغيره، يوحى إليه، ﴿أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ﴾ فهو عيسى، ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ (الشورى/ 51) جبريل إلى محمد عليهما السلام - فلا عودة لنبي إلى شرك لم يكن فيه، فالمعنى: ما كان أن نصير إلى ملتكم إلا أن يشاء الله أمراً يحلّه لنا فنصير إلى هدايته.

(1) جهرة الأمثال 1/ 363، والمستقصى 2/ 59.

(2) البيت من البحر الوافر.

(3) مجاهد بن جبر، الإمام أبو الحجاج المكي المفسر المقرئ، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي قرأ القرآن على ابن عباس، وحدث عنه. قرأ عليه ابن كثير، وأبو عمرو. (مات سنة 103) وقد نيف على الثمانين، رحمه الله.

انظر: معرفة القراء الكبار/ تح/ طيار آمي/ 1/ 163-164، طبقات الحفاظ للسيوطي (العلمية) 42، وتذكرة الحفاظ للذهبي 1/ 92، وتهذيب التهذيب 1/ 42، وشذرات الذهب 1/ 125.

ومن كلام العرب: إني على الحقّ أو إنكّ لعلّيه، أي: أحدنا مُبطل وأنّ كان قد يعلم أنّه المُحقّ دون صاحبه، ويقول الرجلُ لغلّامه: أحدنا مضروب، أي: إنك أنت، وهو دوني، وفي كتاب الله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَّيْ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (سبا/24).

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ فوحده، ثمّ قال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (الزمر/33) فجمع، لأنّ المعنى: والذين صدّقوا به، كما جاء في اللغة:

[و] إنّ الذي حانت بفلج دماؤهم هم القومُ كلُّ القومِ يا أمّ خالدٍ⁽¹⁾
وقال تعالى: ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَبَهَا﴾ لأنّ الإنسانَ واحدٌ في اللفظ، ثمّ قال: (82/ظ) ﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَمَاقَدَمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ (الشورى/48) لأنّ معنى الإنسان جماعة.

وقال تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ (المائدة/6) ولم يقل: إلى الكعاب، لأنّ التقدير: كلُّ واحدٍ منكم، وكذلك: ﴿فَأَجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ (النور/4) أي: اجلدوا كلُّ واحدٍ منهم ثمانين جلدة. فأما قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾⁽¹²⁾ ثمّ جعلناه نُطفةً في قرارٍ مَكِينٍ (المؤمنون/12-13) وكأه قال - والله أعلم - ثمّ جعلنا الآخر من ولدِ آدم، ولكنّه استغنى عنه بذكر الأوّل.

وهذا فسيحٌ في اللغة، لأنّ الإنسان يصلح للواحد وما فوقه من جنسه.

قال الاخفش: العرب تقول: أكلتُ ثمرةً ونصفها، تُريد: ونصفَ أخرى.

(1) البيت من البحر الطويل و هو للأشهب بن رُمَيْله، ينظر شعره 191، والبيت من شواهد سيبويه 1/187، وانظر: النكت في تفسير كتاب سيبويه 294.

وقال زهير⁽¹⁾ في مثل ذلك:

* وذِي نِعْمَةٍ يَمْتُمُّهَا وَشَكَرْتُهَا *⁽²⁾

إنما يُريد: يَمْتُمُّ نِعْمَةً: قَصَدْتُ إِلَيْهَا، ولم ينلها بعدُ، وشكرتُ نعمةَ أخرى، هذا قول المازني.

ومن الأمثال: يُضِيعُ النَّاسُ أَصُولَ الْحِكْمَةِ، [و] فِي قَلَّةِ الشُّكْرِ زَوَالُ النِّعْمَةِ، وروى أن الله - تبارك وتعالى - قال لموسى عليه السلام، إذ سأله موسى عن الشُّكْرِ، فقال: أَفْضَلُ الشُّكْرِ ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَغْنَى الْغِنَى أَنْ يَرْضَى الْعَبْدُ بِمَا قَسَمَ لَهُ.

وروي: إِنَّمَا تَهْلِكُ النَّاسُ فِي فَضُولِ الْكَلَامِ فِيمَا قَسَمَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْأَنَامِ.

ويقال في الأمثال الموزونة⁽³⁾:

(83 / أ) الصمتُ إن ضاقَ الكلامُ كذا قضى الله فكيفَ صنَعُ
أصل الكلام كلّه أنفاسُ يُخرِجُه التفكيرُ و الوسواسُ

(1) زهير بن أبي سلمى، شاعر جاهلي، أحد الشعراء الثلاثة الفحول المتقدمين على سائر الشعراء بالاتفاق، وإنما الخلاف في تقديم أحدهم على الآخر، وهم: امرؤ القيس، وزهير، والنابغة.

انظر: جهرة أشعار العرب 182، 288، وسمط اللآلي 1/ 261، وحديث الأربعاء 1/ 77.

(2) هذا صدر بيت من البحر الطويل في ديوانه (شرح علي فاعور) ص 9 وعجزه:

* وَخَصِمَ يَكَادُ يَغْلِبُ الْحَقُّ بِاطِلَّةِ *.

(3) هذه المقطوعة من أرجوزة لأبي العتاهية في ديوانه، باختلاف في الرواية والترتيب فالأول والثاني في ص 450 والأخرى لم ترد في الديوان ويبدو أن هذه المقطوعة من الشعر المزدوج.

أفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ تَفَكَّرٌ مَا كَلَّ ذِي عَيْنٍ يَرَى مَا تُبْصِرُ
تَغْمَى الْقُلُوبُ وَالْوُجُوهُ حَاضِرَةٌ تَعْمَى الْقُلُوبُ وَالْعَيْوُنُ نَاطِرَةٌ
وَمِمَّا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ لَفْظَةٍ وَاحِدَةٍ تُخْتَمِلُ ثَلَاثَةَ مَعَانٍ، قَوْلُهُ، عَزَّ
وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ (الأحزاب/56) فَصَلَاتُهُ - جَلَّ
جَلَالُهُ - رَحْمَةٌ وَتَفَضُّلٌ.

وَكذَلِكَ ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَيُّصَلِّي
رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى؟ فَغَضِبَ مُوسَى، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ: (إِنَّ صَلَاتِي عَلَى
خَلْقِي رَحْمَةٌ مِنِّي لَهُمْ وَتَفَضُّلٌ).

وَالصَّلَاةُ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ عَلَى مَعْنَيْنِ، أَحَدُهُمَا: الصَّلَاةُ بِالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ،
وَالْآخَرُ: الدُّعَاءُ، كَمَا قَالَ الْأَعْمَشِيُّ، أَشَدُّنَاهُ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى وَفَسَّرَهُ هُوَ وَغَيْرُهُ:

تَقُولُ بَنَتِي وَقَدْ قَرِبْتَ مَرْتَحِلًا يَا رَبِّ جَنْبِ أَبِي الْأَوْصَابِ وَالْوَجَعَا
عَلَيْكَ مِثْلُ الَّذِي صَلَّيْتَ نَوْمًا فَإِنَّ لَجْنِبِ الْمَرءِ مُضْطَجَعًا⁽¹⁾
أَي: عَلَيْكَ مِثْلُ الَّذِي دَعَوْتَ بِهِ.

فَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ مَلْتَحِفَةٌ عَلَى الْمَعَانِي الْمَفْهُومَةِ عِنْدَ أَهْلِهَا، الْمَشْتَبِهَةِ عَلَى مَنْ
جَهَلَ تَفْسِيحَ اللُّغَةِ، فَسَأَلَ عَنْهَا كَالشَّاكِّ فِيهَا مُكَايِدًا لِلْقُرْآنِ، دَافِعًا لِلْبَرْهَانِ، أَوْ
تَكَلَّفَ الْقَوْلَ فِيهَا جَاهِلًا بِمَعْرِفَةِ حَقَائِقِهَا، وَقَدْ قَالَ النَّاهِي عَنْ ذَلِكَ:

(1) البیتان من البحر البسيط وهما في ديوانه 101، وديوانه (ط. دار الكتب العلمية 104-
105)، وانظر: جهرة أشعار العرب 1/ 321، 121، معجم الشعراء المخضرمين والأمويين
83/ 4، 84، ومجاز القرآن 1/ 62.

(83/ ظ) ولا تقولن بما لا تعقل عليك في المعنى بما لا تجهل⁽¹⁾
وفي كل ألفاظ القرآن الحجج القائمة، والسبل الواضحة، والحكم البالغة،
قال القائل:

الحمد لله بما شاء حكم أحكامه في الخلق جودة وكرم⁽²⁾
وقد جاء في القرآن ما لفظت به العرب مما ليس له إلا وجه واحد كقوله
تعالى: ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة/ 5)، والفلاح: الظفر، فلا فلاح ولا ظفر لمن عند
عن آيات ربه فكفر.

وكذا: ﴿الْقُدُّوسِ﴾ (البقرة/ 87): الطهارة، ولا طهارة لمن جهل فركب
الخسارة، كما قال رؤبة:

دعوت رب العزة القدوسا دعاء من لا يقرع الناقوسا⁽³⁾
وكذلك: الريبة، كلمة واحدة بمعنى الارتياب، كما قال الأسدي⁽⁴⁾:

إذا انتصل القوم الأحاديث لم يكن عيباً ولا ريباً على من يقاعد⁽⁵⁾

(1) هذا بيت من الرجز.

(2) بيت من الرجز.

(3) البيت من الرجز في ديوانه/ 68.

(4) أمبان بن خالد بن فضلة الأسدي كما في المؤلف والمختلف 34.

(5) البيت من البحر الطويل، وقد اختلفوا في روايته ونسبته كما في كتاب الجيم 3/ 199،

وديوان الحماسة 278.

وكذلك (إذ) لما مضى من الزمان لا غير، فأُنْ قال قائل: فقوله:

﴿ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رَسُولًا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٧) إِذِ الْأَغْلَالُ
فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿ (غافر/70-71) و (سوف) لما لم يقع فكيف
اقتَرنا؟ قيل له: هذا الكلام ذروة الحق ومحض اليقين؛ لأن الله تبارك وتعالى
العليم بما يكون أخبرنا أن علمهم وقع منهم بعد أن وقعت الأغلال في أعناقهم
فصارت (إذ) مُضَيًّا لوقوع العلم، فإنما تقديرها حكاية (أ/84) ما يكون، وهو
عَلَام الغيوب.

فأُنْ قال: فقوله، عز وجل: ﴿ وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ ﴾ (غافر/47)
وتحاجهم لم يقع فكيف وقعت (إذ) ها هنا؟

فهذا أيضا، إنما وقعت (إذ) بعد أن تحاجوا، فأخبرنا الله، عز وجل، بذلك
إذ كان لا خُلفَ لوقوعه وثبات يقينه، وكذا بيت أبي ذؤيب:

فسوف تقول إذ هي لم تجذني أخان العهد أو أثم الحليف⁽¹⁾
فهذا مثل الآية، لأن القول إنما كان بعد فقدها له، ف (إذ) ماضٍ للقول.

وقال علي بن أبي طالب، رحمة الله عليه: لطيفٌ بعباده إذ نُزِلَ إليهم من
رزقه كقطر المطر، إلى كلِّ نفسٍ بما قسم، فخير العيش مالا يُطغيك ولا يلهيك.

(1) البيت من البحر الوافر، وهو لأبي ذؤيب الهذلي كما في أشعار الهذليين (دار الكتب
العلمية) 128/1.

وقال بعضهم:

ولستُ بخابئ أبداً طعاماً حذارَ غدٍ لكلِّ غدٍ طعامٌ⁽¹⁾
والله لطيفٌ بالبرِّ والفاجر، يرزقهم إلى آجالهم، وقال آخر⁽²⁾:

إنَّ يَفْنَ ما عندنا فاللهُ يرزقنا وَمَنْ سوانا، وَلَسنا نحنُ نرتزقُ⁽³⁾

وفي كتاب الله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِي ﴾ (المؤمنون/ 99) ولم يقل: ربِّ أرجعني، لأنَّ الله العظيمَ بأمره تتصرَّفُ الأمور، فلذلك قال⁽⁴⁾ الخليل، معناه: ربِّ لأرجع، أي: يأمرُ بذلك، لأنه عز وجل، مالكُ الملكِ وله الخلقُ والأمر، كما قال عبد المطلب⁽⁵⁾ يدعو للبيت المعمور:

يا ربَّ لا تجعلْ لهمُ سبيلاً إلى الذي جعلتْهُ مأهولاً
وكانَ بانيه لَكُمْ رسولاً⁽⁶⁾

(1) البيت من البحر الوافر وهو لأوس بن حجر في ديوانه 115، وورد كذلك في ديوان النابغة في قسم الشعر المنحول 32، مع بيت آخر يقول:

تمخضت المنون له بيوم أتى ولكل حامله تمام

(2) هو كعب بن زهير.

(3) البيت من البحر البسيط وهو في ديوانه 228.

(4) لم يرد هذا التفسير في كتاب العين ولا في بواكير التفسير القرآني عند الخليل بن أحمد الفراهيدي.

(5) جدُّ النبي (ﷺ).

(6) البيتان من بحر الرجز، والرجز منسوب إلى أبي طالب في كتاب الأضداد لابن الأنباري 183.

(84 / ظ) قال أبو الخير⁽¹⁾: ولم يقل: وكان بانيه لك خليلاً، ولكنه تعظيم لمن له العظمة والكبرياء في السماوات والأرض، وهو الله الواحد القهار الباقي الذي لا يزول ولا يحول.

و: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْنَا فَاَن﴾ (الرحمن/26) ولما ذكر الفناء أخبر عن بقائه، عز وجل فقال: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ (الرحمن/27) ووجه الله هو الله، كذا تستعمله العرب لأن القصد إلى معنى واحد، ولاشبهة لله، عز وجل.
ومثله قول القائل:

وكم قطع غيب السرى من إلى وجه عبد الله ترجو نوافله⁽²⁾
أي: إلى عبد الله.

والله تعالى الأول قبل خلقه، والآخر بعد إفنائهم، ظاهر فلا يعجزه شيء، باطن فلا يخفى عليه شيء، وهو على كل شيء قدير، لا يفوته أول، ولا يعجزه آخر، وهو بكل ما يريد أمر، فمسارع إلى طاعته صابراً ومعرضاً عن الطاعة خاسراً، وقد أحصى الله كل شيء عدداً وأحاط به خبراً.

ولكن جرت لغة العرب على التعظيم للملوك ومن قاربهم، وكانت الفرس أقول شيء لهذا، يقولون للملك: أنتم تفعلون كذا، ولا يقولون: أنت، ويقول الملك: نحن أمرنا⁽³⁾.

(1) لم اهتد إليه.

(2) البيت من البحر الطويل.

(3) قال ابن قتيبة: وأكثر من يخاطب بهذا الملوك؛ لأن من مذاهبهم أن يقولوا: نحن فعلنا والمراد من ذلك التعظيم، ولعل العرب أولى بذلك من الفرس في مخاطبة المفرد بلفظ الجمع. انظر: تأويل مشكل القرآن 226.

وفي كتاب الله تعالى اسمه، قال: ﴿ خَطْبُكُمْ إِذْ رَاودَتْهُنَّ يُوسُفَ ﴾ (يوسف/ 51) وإِنَّمَا امرأة العزيز (85/ و) وحدها راودته.

والعرب تقول: المسامعة⁽¹⁾ والمهالبة، وإِنَّمَا هو (مَسْمَع) واحدٌ و (مهلب) واحدٌ؛ ولكته جرى على التعظيم، ويقول الرجل لصاحبه: عدبتنا وغممئتنا، وإِنَّمَا يعني نفسه، والعرب تقول: أخذتُ من بني فلان كذا، وإِنَّمَا أخذ من بعضهم.

وقال تعالى: ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَاتُ ﴾ (الرحمن/ 22) إِنَّمَا يخرُجان من أحدهما⁽²⁾ ويقول الرجل لصاحبه: سأل الناس إن كنت لا تدري، وإِنَّمَا يعني خاصة العلماء، فَيُطْلَقُ نحو هذا القول لتقييد العقل خصوصيةً في المعنى مفهومة كما يقول لك القائل: كُلُّ فعندي كلُّ شيءٍ تشتهي، وإِنَّمَا يعني بعض ما تشتهي. وفي كتاب الله تعالى: ﴿ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ (الأحقاف/ 25) أي: كلُّ شيءٍ أميرت بتدميره.

وكذلك: ﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (النمل/ 23) إنما هو خاص، وكذلك: ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (الأنعام/ 44) أي: مما أوتوا، وما فتح عليهم، فَإِنَّمَا أطلق هذا كله استغناء بعلم المخاطب، واتساعاً في الخطاب.

(1) واحدها: مسمع، والمسامعة: بيت ربيعة بالبصرة كما قال ابن دريد في الاشتقاق 2/ 355.

(2) قال أبو عبيدة في المجاز 1/ 15: وإِنَّمَا يخرُجُ اللؤلؤ من البحر دون الفرات العذب.

وقال الراعي⁽¹⁾:

أخليد إن أباك ضافَ وساده هُمان باتا جنبَةً ودخِلا
طرقاً فتلكَ هَما هِمي أقرِهما قُلصاً لواقِحِ كالقسيِّ وَحُولا⁽²⁾

فقال: هَما هِمي، وهي جميع، فجعلها اثنين فقال: أقرِهما.

وفي القرآن: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ (ق/24) قالوا: يعني واحداً قال (85/ظ)

المازني قولاً يُرئى، وهو: إنه أمر الواحد فأراد: ألقى ألقى، فلما لم يكن الفعل ثنى
الفاعل⁽³⁾، كما قال سويد بن كراع العكلي⁽⁴⁾:

فإن تزجراني يا ابنَ عَفانَ الزجِر وأن تتركاني أخمَ عِرْضاً مُمْنَعاً⁽⁵⁾
أضرباً عنقه، أي: أضرب أضرب.

(1) النميري، أبو جندل عبید بن حصين بن معاوية، ولقب بالراعي لكثرة وصفه الإبل
والرعاة في شعره، كان من رؤساء ثمير، شاعر فحل من شعراء الإسلام، عدّه ابن سلام
الجُمحي في الطبقة الأولى من الشعراء الإسلاميين (مات سنة 90 هـ).

انظر: معجم الشعراء المخضرمين والأمويين 153، وخزانة الأدب 504/1، وجمهرة
أشعار العرب 921، وشعر الراعي النميري 17.

(2) البيتان من البحر الكامل، وهما في ديوانه 47.

(3) انظر: إعراب القرآن 222/3، 228/4.

(4) من بني الحارث بن عوف، شاعر فارس مقدّم، كان صاحب الرأي والتقدّم في بني عكل
في العصر الأموي، هجا سعيد بن عفان، فلاحقه، فاخفى زمناً طويلاً
(مات نحو 105 هـ).

معجم الشعراء المخضرمين والأمويين 201، والأعلام 146/3، سمط اللألي 446.

(5) البيت من البحر الطويل وهو في شعره/156.

والألفاظ تختلف، لا لاختلاف معنى، ولكن لانفساخ لغة، فلا يُقال:
اختلاف، ولكن اتساع.

وقال الشاعر في الرد إلى أحد ما يُثنى:

أما الوسامةُ أو حُسنُ النساءِ فقد أُوتيتَ منه لوانَّ العقلَ مُجتمعٌ⁽¹⁾
فحملَ الكلامَ على الآخر، على قوله: حُسن، فقال: منه، ولم يردّه الى
ثأنيث الوسامة، وقال نابغة⁽²⁾ بني جعدة:

غداً فتياً دهر وراحا عليهمُ نهارٌ وليلاً يلحقان التواليا⁽³⁾
أراد: الليل والنهار، فجعلَ الفِعلَ لهما، والغدو إنما هو للنهار دون الليل،
وكذلك الرواح للعشيّ دون الغداة، قال: وراحاً عليهم.

(1) البيت من البحر البسيط، غير معزو في معاني الأخص 81/1.

(2) النابغة الجعدي، أبو ليلى حسان بن قيس، لُقّب بالنابغة؛ لأنه قال الشعر في الجاهلية وأبطله مدة ثم عاد إليه في الإسلام فنبغ فيه، شاعر مخضرم، أسلم (سنة 9هـ)، وهو ممن تركوا شرب الخمر في الجاهلية، كان وصافاً للخيل، أنشد النبي (ﷺ) قصيدته الرائية المشهورة، فلما بلغ إلى قوله:

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَجَدودَنَا وَإِنَّا لَنرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرَا

قال له النبي (ﷺ): إلى أين يا أبا ليلى؟ فقال: إلى الجنة، قال: أجل إن شاء الله.

قيل أنه عمّر مائة وعشرين سنة ولم تسقط له سنّ، (مات سنة 65 هـ).

انظر: معجم الشعراء المخضرمين والأمويين 486-487، والبيان والتبيين 206/1، وسمط اللألي 101، الأعلام 207/5.

(3) البيت من البحر الطويل وهو في ديوانه 169.

وفي القرآن: ﴿ إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴾ (الذاريات/ 5) أي: لصدق، وتقول العرب: خاب سعيك، وإنما الخائب الساعي.

وقوله تعالى: ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾ (الذاريات/ 50).

أي: إلى أمر الله، ومثله ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي ﴾ (الصفات/ 99) و: ﴿ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي ﴾ (العنكبوت/ 26) وإنما هاجر إلى الشام، والله تعالى غير غائب عن مكان.

وكذلك: (86/ و) ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ ﴾ (الفرقان/ 23).

قال الحسن، رحمه الله أي: قدم أمر الله، ويقال معناه: وعمدنا.

وقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ (الزمر/ 42) وإنما المتوفي هو ملك الموت، ويأبى هذا بعض أهل الكلام، فمن جهل اللغة وهو يسمع قول العامة: قتل الخليفة، وجلده الأمير، وإنما فعل ذلك السياف والجلاد، ولكن الجلاد بأمر الخليفة [جلد]، وإنما ملك الموت يتوفى الناس عدداً، والله الأمير الأذن، كما قال منظور الوبري - وبر⁽¹⁾ من كلاب -:

إن بني الأذرم ليسوا من أسد ولا توفاهم قريش في العدد⁽²⁾

(1) وبر بن الأضببط بن كلاب من بني عامر بن صعصعة، انظر: نسب عدنان وقحطان 14.

(2) البيت من الرجز وهو منسوب إلى منظور الزبيري في مجاز القرآن 2/ 132.

وبلا عزو في تفسير الطبري (تح شاكر) 11/ 405، وتاج العروس/ وفي/.

ومن هذه المجازات قوله، تبارك وتعالى: ﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةَ سَجِيدِينَ﴾ (الأعراف/ 120) وهم يوم أنزل القرآن لم يكونوا سحرة، إلا أنه نسبهم إلى ما به يُعرفون.

ويقول قائل: كان آدم من الأنس ولم يكن إنس قلبه فيكون منهم؛ وإنما يقول: كان منهم لأنه أصلهم، والناس أكثر من بني آدم، لأنه في الناس، وأولاده خارجون عنه، وفي كتاب الله تبارك وتعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة/ 34) ولم يكن قبله كافر.

وقال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ (الكهف/ 50) والله لم يأمره بفسق، وإنما المعنى: أصابه الفسق عن رد أمر ربه (86/ ظ) كما يقول الرجل: أثخمت عن أكل كذا.

وقال تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ﴾ أي: في الجنة، الموت: أي كالذي تقدم ﴿إِلَّا الْمَوْتَ الْأُولَىٰ﴾ (الدخان/ 56)، وليس هذه أولى تقتضي ثانية؛ لأنه لو قال: ﴿إِلَّا الْمَوْتَ﴾ فأبهم لم يذر أي موت هو، والموت هو أول أحكام الآخرة فهي أولى لهذه الأحكام، لأن ضرور النعيم أحكام، والموت حكم؛ فالمعنى: لا ينالهم من أحكام الآخرة ومكروها إلا هذا الذي وقع في السبب إلى النعيم المقيم، ولا موت بعد ذلك، ألا تراه قال: ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ﴾ (الدخان/ 57) كقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ (لقمان/ 9) أي: وعد الله وعداً، وتفضل فضلاً، لأن ما قبله في معنى التفضل الذي وصلوا به إلى الجنة، كما قال النابغة: جوانح قد أيقن أن فيله إذا ما التقى الجمعان أول غالب⁽¹⁾

(1) البيت من البحر الطويل، وهو للنابغة الذبياني في ديوانه/ 43.

فقال: أوّل، وإنما هما أثنان مختلفان، غالبٌ أو مغلوب.

وتقول: أخرجني فلانٌ من الكتبة؛ أي: لم يُدخِلني فيها، وفي كتاب الله جلّ وعلا: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الظَّالِمُونَ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ (البقرة/257) ومن الكفار من لم يكن في نورٍ قطّ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَصْرَفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ (1) (الأنعام/105) وإنما صَرفها (87/ و) الله تعالى ليفقهوا لا ليقولوا ولكنه مثل قوله تعالى: ﴿فَالنَّقْطَةُ آءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ (القصص/8) وإنما التقطوه ليكون لهم قرّة عين. ولكن الله - جل و عز - وصَفَ أمره بتصويره إلى ذلك (2) كما قال الشاعر (3):

(1) (الأنعام/105)، (وَدَارَسْتَ) بالألف: قرأ بها من القراء السبعة ابن كثير وأبو عمرو بن العلاء البصري.

و(دَرَسْتَ) بسكون السين من غير ألف: قرأ بها نافع وعاصم وحمة والكسائي.
انظر: السبعة في القراءات 264، والمحتسب (العلمية) 334/1، ومعاني القراء 349/1، ومعاني الاخفش 285/1، والإتحاف 214.

(2) فاللام في قوله تعالى (ليكون) تسمى "لام العاقبة" عند البصريين ويسمّيها الكوفيون "لام الصيرورة" ومنهم من يسمّيها "لام المال" وهي الدالة على أنّ ما بعدها نتيجة غير مقصودة لما قبلها. وهذه اللام عند أكثر البصريين حرف جر، وهي قسم من أقسام لام "كي" وهي عند الكوفيين ناصبة بنفسها، ويجوز في هذه اللام إظهار "أن" بعدها. إلّا إذا قرُن الفعل بعدها بـ (لا) النافية أو الزائدة، فإنّ إظهارها يصبح واجباً.

(3) سيماك بن عمرو الباهلي، شاعر جاهلي، وهو أول من قال: "لا أطلبُ أثراً بعدَ عَيْنٍ".
انظر: خزانة الأدب 534/9.

فَأَمْ سَمَّاكَ فَلَ تَجْزَعِي فللموت ما تلد الوالدة⁽¹⁾

فهذا على الإخبار بالصيرورة. وقال سابق البربري⁽²⁾:

وللموت تغذو الوالدات سخالها كما لخراب الدار ثبني المساكن⁽³⁾

وإنما ابتنوا دورهم للعمران و غدوا أولادهم للبقاء لا للفناء، فلما علموا

أن المصير إلى الموت و الخراب، تركوا الشيء الذي غدوا له أولادهم و ابتنوا دورهم، وأخبروا بمصير⁽⁴⁾ الأمر اعتباراً. وقال قائلهم:

ألم تر أن الموت لأبد نازلٌ ولا شك في بعث الألى في المقابر

غرة حفاة و الثواب أمامهم فمن بين ذي ربح و آخر خاسر⁽⁵⁾

(1) البيت من البحر المتقارب وهو مع أبيات أخر له قالها عندما خيره بين أن يقتل هو أو أخوه مالك، فقتلوه دون أخيه.

انظر: خزانة الأدب 534/9. وقد أورد البغدادي مقطوعة أخرى نسبها لعبيد بن الأبرص على نفس الوزن والرؤي وهي ديوانه (تح حسين نصار) 62، وكان قد طلب منه المنذر بن السماء أن ينشده أن يقتله. فأنشدها إيّاه .

(2) أبو سعيد سابق بن عبد الله البربري، له أشعار حسنة في الزهد، وهو من موالي بني أمية، سكن الرقة، ووفد على عمر بن عبد العزيز، وله معه حكايات لطيفة، روى عنه مكحول وموسى بن أعين، والمعافى بن عمران، وغيرهم.

والبربري: نسبة إلى البربر، وهي بلاد كثيرة في المغرب، قال ابن الأثير (في الأنساب): ليس سابق منسوباً إلى البربر؛ وإنما هو لقب له.

(3) البيت من البحر الطويل. وهو في خزانة الأدب 529/9، حيث علق البغدادي يقول: "وكذا نسبة إلى سابق البربري (صاحب كتاب التفسيح في اللغة). الخزانة 532/9.

(4) انظر الكلام كله في خزانة الأدب عن التفسيح 532/9.

(5) البيتان من البحر الطويل.

ومن هذا الاتساع في اللغة قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾ (الكهف/ 77) ولا إرادة له، إلا مجازاً. كما قال الشاعر:

يُرِيدُ الرَّمْحُ صَدْرَ أَبِي بَرَاءٍ وَيَأْبَى مِنْ دِمَاءِ بَنِي عَقِيلٍ⁽¹⁾
وإنما ذلك استغناء بعلم المخاطب. وليس أن للرمح إرادة [أو] ضميراً.

وأما قوله: (87/ ب) ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آئِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا﴾ (طه/ 15) أي: فلولا الاحتجاج و الاحتيال للخلق بالتصديق بها نظراً لهم و تحذيراً و إنذاراً لأخفيها حتى ابعثَ بها المكذِّبين، مع أنَّها لا تأتي بَعَثَةً و البَعَثَةُ: المفاجأة.

وأما قوله تعالى: ﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ (الكهف/ 80) أي: فكرهنا.

كقول الرجل للمتنازعين: إني أخشى أن يصيرَ أمرُكما إلى كذا. وذلك لا يضرُّه و لا يَحْشَاهُ، وإنَّما يريدُ: أكرهُ لكُما أن تصيرا إلى ذلك.

وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ (الأنعام/ 36) فأما معناه: الذين يقبلون. كما قال الشاعر⁽²⁾:

(1) البيت من البحر الوافر وقد نسبه أبو عبيدة في المجاز 410/1 إلى الحارثي، والبيت في أصداد ابن الأنباري 172، وتفسير البيضاوي 3/ 149.

(2) شمير بن الحارث الضبِّي كما في كتاب النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري 381 و الفائق 2/ 197.

دَعْوَةُ اللَّهِ حَتَّى خِفْتُ أَلَا يَكُونُ اللَّهُ يَسْمَعُ مَا أَقُولُ⁽¹⁾
 أي: لا يستجيبُ دعائي ويقبله مني. ومثله: "سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ" وأما
 قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ (الحديد/11) أو قبيحا. هذا
 معروف عند العرب العاربة، قال أمية بن أبي الصلت:

لَا تَخْلِطُنْ خَبِيثَاتٍ بِطَيِّبَةٍ وَاخْلَعْ ثِيَابَكَ مِنْهَا وَانْجُ عَرِيَانَا
 كُلَّ امْرَأٍ سَوْفَ يَلْقَى قَرْضَهُ أَوْ سَيِّئًا وَمَدِينًا بِالَّذِي دَانَا⁽²⁾
 وَأَشَدُّ أَبُو الْخَطَّابِ الْأَخْفَشُ⁽³⁾، وَكَانَ عَالِمًا وَصَاحِبَ غَرِيبٍ وَعَرِيَّةٍ:
 * قَدْتِي مِنْ قَرْضِ الْخَبِيِّينِ قَدِي *⁽⁴⁾

(1) البيت من البحر الوافر، غير منسوب في الزاهر 1/154، والأضداد لابن الانباري
 137، و تفسير القرطبي 2/31، و اللسان/سمع/.

(2) البيتان من البحر البسيط وهما في شعره/305.

(3) الكبير، ؟ عبد الحميد بن عبد المجيد، المعروف بالأخفش الكبير، من أكابر علماء العربية
 ومتقدميهم، وأول الأخافش الثلاثة المشهورين، الإمام الحجة في النحو واللغة أخذ عنه
 سيويه، وأبو عبيد معمر بن المثنى وغيرهما، وأخذ عن أبي عمرو بن العلاء وطبقته،
 ولقي الأعراب فأخذ عنهم (مات سنة 177 هـ).

انظر: نزهة الالباء في طبقات الأدباء 44، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة 119 ونشأة النحو
 وتاريخ أشهر النحاة لمحمد الطنطاوي 77.

(4) هذا صدر بيت من الرجز عجزه :

ليسَ الإمامُ بالشَّحيحِ المُلَّعِدِ .

والبيت في الكتاب 2/371-372، منسوب إلى أبي نخيلة السعدي.

أثبت النون في (قدني) ونزَعها من (قدي) وهما (88/و) لغتان. وقال: معنى (قَدَكُمْ) من القرض أي: حسبكم.

قال⁽¹⁾ أبو محمد التوزي: الحَيَّيْنِ اثنان، يعنى بهما عبدُ الله ومصعبُ ابنا الزبير، ومن أنشده: "الحَيَّيْنِ" فهم الجماعة، يريد: أصحاب ابن الزبير، كما يقال: المهالبة، وحقه: الحَيَّيْنِ، بالتشديد، ولكنه حذف ياءً واحدة⁽²⁾، فجاء على لغة من قال: إني، يريد: إني.

وأما قوله تعالى: ﴿سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾ (الرحمن/31) فإنَّ الله تعالى لا يشغله شيء عن شيءٍ ولكنه وعداً على التقوى، وأوعد وعيداً على الرفق بالطغوى فقال تعالى: ﴿سَنَفَعُ لَكُمْ﴾ مِمَّا وعدناكم، إنا فاعلوه بكم من ثواب أو عقاب.

وفي القرآن: ﴿إِلَّا قَالَ مُرُّوْهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا﴾ (الزخرف/23) قال الأصمعي: المترفون: أهل الغضارة والنعمة، المخلون، وما يريدون لا يُحال بينهم وبينه، وقال معمر⁽³⁾: المترفون: الذين أنستهم النعم والطمانينة إليها أن يفكروا فيما لله، تعالى، عليهم. وأنشد الأصمعي لرؤية:

انظر كتاب سيبويه (ط بولاق) 1/387، والكتاب. (ط عبد السلام هارون) 2/371-372، وشرح السيرافي 2/97، والنكت في تفسير كتاب سيبويه للأعلم الشتمري 1/386، وخزانة الأدب: 2/446، والتوسُّع في كتاب سيبويه 189.

(1) انظر: القول كاملاً في خزانة الأدب 5/391، نقلاً عن كتاب (النفس في اللغة) للخزّاز النحوي البغدادي. وهو كتابنا هذا.

(2) أي ياء النسبة.

(3) ابن المثنى، أبو عبيدة، وانظر كلامه في الجواز 2/136.

* أَثْرَفَنَ يَشْدَخُنَ الْعِدَى بِالْحَبِزِ *⁽¹⁾

أي: يَشْدَخُنَ النَّاسَ بِالضَّرْبِ.

[وفي القرآن]: ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ (الزخرف/55) والأسف عند العرب أشدُّ الغضب. قال بعض العلماء: إِنَّ الْغَضَبَ وَالْحُزْنَ وَالْأَسْفَ (88/ظ) مُخْرَجُهُ مِنْ بَنِي آدَمَ مُخْرَجٌ وَاحِدٌ، فَإِذَا هَاجَ ذَلِكَ الْمَعْنَى بِخِلَافِ مَا يَهْوَى هَاجَ غَضَبًا أَوْ حُزْنًا، وَذَلِكَ لِعَجْزِهِمْ عَنِ الْإِنْتِقَامِ مِنْ خَالِفِهِمْ. وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ الْأَسْفُ الَّذِي هُوَ حُزْنٌ، أَمَّا هُوَ الْغَضَبُ الشَّدِيدُ عَلَى مَنْ اسْتَوْجِبَ ذَلِكَ.

ولله تعالى أن يقسيم بما شاء من خلقه على ما شاء من أمره، فقوله تعالى: ﴿ وَالطُّورِ ۝١ وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ﴾ (الطور/1-2) وقع القسمُ بذلك على قوله تبارك اسمه: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوْفِعٌ ۝٧ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴾ (الطور/7-8) أي: عن المغضوب عليهم - وقيل: الطور: اسم الجبل في البلد، كما قال العجاج:

* حَذَوَاءَ جَاءَتْ مِنْ بِلَادِ الطُّورِ *⁽²⁾

قال التَّوْزِي: الحذواء: الريح، تحذوه: أي تطرده، ومنه سُمِّيَ الْحَادِي لِأَنَّهُ يَطْرُدُ الْإِبِلَ، يَتْبَعُهَا - ﴿ وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ عَصَبِي فَقَدْ هَوَى ﴾ (طه/81).

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ (التوبة/67) أي: تركوا أمر الله تعالى فتركهم أن يذكرهم بخير. كقول الرجل لصاحبه: وَاللَّهِ مَا تَقَسَّمُ إِلَّا كُنْتُ عِنْدَكَ مَنْسِيًا. أي: متروكاً من ذلك القسم، مثله: ﴿ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا آلَ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَى ﴾ (طه/115) أي ترك عهدنا.

(1) شطر بيت من الرجز لرؤبة في ديوانه/64.

(2) شطر بيت من بحر الرجز للعجاج في ديوانه/229.

فأما قولُ عمر: نِعَمَ المرءِ صهيبٌ⁽¹⁾ (89/و) لو لم يخفِ اللهَ لم يعصِهِ⁽²⁾. ولم يقل: لو لم يخفِ اللهَ عصاهُ، لأنَّ المعنى: لو لم يكن عتابٌ يخافُهُ ما عصاهُ لمحِبته لرَبه تعالى. فالتقدير: إنَّما يطيعُ اللهَ تعالى حُبًّا له لا مخافةَ عقابه وذلك الحظ والجد والتوفيق. وقال الهلالي⁽³⁾:

الجدُّ أنْهَضُ بالفتى مِنْ عقلِهِ فَأَنْهَضُ بِجَدِّ فِي الحِوَادِثِ أَوْ ذَرِّ⁽⁴⁾.
وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ (الأعراف/179) لَمْ يَرِدْ أَنَّهُ جَبَلَهُمْ فِي بَطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ كَفَّارًا، وَلَكِنْ عَلَى الْعَاقِبَةِ. كما قالت الشعراء:
وللمنايا تُرْبِي كُلُّ مَرْضِعَةٍ وللخرابِ يُجَدُّ النَّاسُ بُنْيَانًا⁽⁵⁾

(1) صُهَيْبُ بْنُ سَيَانَ عَبْدُ عَمْرٍو، صَاحِبُ رَسولِ اللَّهِ (ﷺ)، وَيَعْرِفُ بِصُهَيْبِ الرُّومِيِّ وَكَانَتْ لَهُ قَدَمٌ فِي الإِسْلامِ، أَمْرُهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَصَلِّيَ بِالنَّاسِ فِي أَيَّامِ الشُّورَى حَتَّى يَجْتَمِعُوا عَلَى رِجْلِ. وَ (صُهَيْبٌ) تَصْغِيرُ: أَصْهَبُ، وَالصُّهْبَةُ مِنَ الْوَانِ الإِبِلِ: بَيَاضٌ يعلوه شَبِيهَةٌ بِالصُّفْرَةِ وَبِذَلِكَ سَمِّيَتِ الخَمْرُ صُهْبَاءً.

انظر: الاشتقاق لابن دريد 335.

(2) انظر هذا القول في مغني اللبيب 1/285.

(3) عبد الله بن يزيد الهلالي كما في حاسة البحري 158.

(4) البيت من البحر الكامل، وهو في ديوان المعاني 2/247، ولباب الألباب 361، وبهجة المجالس 1/186، ونور القبس 200.

(5) البيت من البحر البسيط وهو في زاد المسير 4/56، ولسان البربري في شعره (132) بيتان في هذا المعنى، قال:

أموالنا لذوى الميراثِ نَجْمُها ودُورُنَا لِخِرابِ الذَّهْرِ بُنْيَانُها
وللحتوفِ تُرْبِي كُلُّ مَرْضِعَةٍ وللحسابِ بِرَى الأرواحِ بارِيها

وقد مرّ مثله⁽¹⁾

وفي القرآن: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّطًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ (الفرقان/ 11-12) فأنث السعير، وقال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ (النساء/ 55) ولم يقل: سعيرة. المعنى، والله أعلم: وكفى بسعير جهنم سعيراً. فإذا أتت ذهب إلى الدار وإلى جهنم، وإذا ذكّر ذهب إلى سعيرها، لسعة اللغة.

وقد ذكر ما ناله المترفون، فقال تعالى: ﴿وَزُجُوجٌ وَمَقَارِبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ (الدخان/ 26) قيل: المقام الكريم: المنابر، والمقام والمقامة: المجلس. كما قال عباس بن مرحاس:

فأبى ما وأبيك شراً فقيداً إلى المقامة لا يراها⁽²⁾

يعني: المجلس. فأضاف "أبي" إلى "ما"، فتقدير لفظه فأبأما وأبيك، وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمَا جَانٌّ ﴿١٠﴾﴾ (النمل/ 10) قيل: اهتزت (89/ب) وهي عصا كما يهتز الجان، ثم قلبت ثعباناً. وليس اهتزاز العصا، وهي موات، بأقل في الآية من قلبها ثعباناً. وقد قيل: اهتزت وهي ثعبان كاهتزاز الجان. وكذا قوله تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ ﴿١٨﴾﴾ (النمل/ 18) وهو منطقتها، وليس على معنى قول الأدميين، ولكن حكاية لتفهيم العالمين أن الله تعالى فهم سليمان معنى منطقتها، كقول العرب:

(1) بيت سابق البربري الذي تقدم.

(2) البيت من البحر الوافر وهو في ديوانه 148. والبيت من شواهد سيويه في الكتاب 402/2، والمقامة - بالضم - المجلس، وجماعة الناس، والمراد: أعماء الله حتى صار يُقَاد إلى مجلسه.

* والطيْرُ في أوكارها لم تُنطِقْ * (1)

لأنَّ نطقها بالأسحار.

وكذا يُبَيِّنُ اللهُ تعالى بفضله على بني إسرائيل بقوله تعالى: ﴿ وَظَلَّلْنَا

عَلَيْكُمْ الْغَمَامَ ﴾ (البقرة/57). كما تمثّل القائل:

إنَّ أبا حسانَ عرشٌ هوى مِمَّا بنى الدهرُ كَرِيمٌ ظليلٌ (2)
لأنَّ ما ظلَّلَ وسرَّ فهو كالعرش.

﴿ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى ﴾ (البقرة/57) أي من العسل والطيْر. يخاطبُ

بذلك يهودَ أهلِ المدينة، وإثما فَعَلَ ذلك بأبائهم.

وقد يقولُ العربيُّ: لقد أحسنَّا إليكم يا بني تميمَ يومَ كذا. وإثما يعني

الأباء، كما قال النابغة:

لعمرو علينا نعمةٌ بعدَ نعمةٍ لوالده ليست بذاتِ عقاربٍ (3)

فأضافَ إليه النعمة إذ كانت لوالده، ثم بيَّن بأيِّ سببٍ صارت النعمة

فقال: لوالده، والعربُ تفخرُ بالنجاة، قال أحدهم:

(1) بيت من بحر الرجز وهو من أرجوزة من المزدوج لابن المعتز في شعره 75/4 ولكن القافية مرفوعة.

(2) البيت من البحر السريع، وهو للشاعرة الخنساء في ديوانها 115، طبعة دار صادر 1960 وبرواية العجز:

..... مما بنى الله بكينَ ظليل.

(3) البيت من البحر الطويل وهو للنابغة الذبياني في ديوانه/41.

(90/ و) آخ الكرام بنى الكرام
 يلد الكرام بنو الكرام كراما
 ودع اللثام بنى اللثام فإثما
 يلد اللثام بنو اللثام لثاماً⁽¹⁾
 ومثله:

أبي يزيد وابوك جُتدبُ
 فبعضنا يرضى وبعضُ يَعُضِبُ
 ومألنا عن أبونا مذهب⁽²⁾

ومِمَّا تَكْنِي بِهِ الْعَرَبُ عَنْ أَنْفُسِهَا بِمَا هُوَ مِنْ سَبِيهَا. قول الشاعر:

قضيتُ الهوى إلا من البيض
 بهنّ بقياتُ الجنونِ وغابرةُ
 فأن يك لي ذنبٌ فهنّ جنيتهُ
 عليّ وأولى الناس بالأثمِ وازرةُ
 فأن تتقسّمهُ سهاماً فإثما
 عليهنّ عالي وزرنا وكبائرُهُ⁽³⁾
 ولم يقل: فإثما علينا. كنى عن نفسه تطيّراً، وألزمه غيره تحبباً. وقول
 الشاعر⁽⁴⁾:

* صَحَا قَلْبُهُ يَا عَزُ... *⁽⁵⁾

(1) البيتان من البحر الكامل، وهما منسوبان في البصائر والذخائر 2/ 1918/1، إلى أعرابي.

(2) الأبيات من الرجز.

(3) الأبيات من البحر الطويل.

(4) كثير عزة.

(5) صدر بيت من الطويل والبيت في ديوانه 254 :

صحا قلبه ياعز أو كاد يذهل واضحى يريد الصرم أو يتبدل

إنما هو: صحا قلبي. ومثله:

.....ولوأبـه صدئ بين أحجار لظلُّ يُجيبها⁽¹⁾

أي: لو أني بين الأحجار لظللت أجيبها.

ومما جاء في القرآن من الاتساع في الأعراب الدال على الصواب قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسْتَرْزَنُهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ (مريم/97).

فلو كان الأعراب يُستغنى عنه بالألفاظ، ولم يكن الرسول الذي اختاره الله تعالى للبشائر والإنذار يُفصح بالأعراب فيفهمه من ليس في معرفة الأعراب بمرتاب، لم تقع البشارة للمتقين. وهم لا يقفون على فضيلة الكلام اليقين، ولا البرهان بالأعراب المبين، ولا يقتدون بالذرية الطيبين، كما قال الشاعر⁽²⁾:

(90/ظ) وما زلت في التسيار إلى ابن رسول الأمة المثخير

إلى ابن رسول الله يأمر بالتقى وبالدين يتلى والكتاب المطهر⁽³⁾

(1) عجز بيت من البحر الطويل للمجنون في ديوانه 70، وتمام صدره:

فلبيك من داع لها ولو آتته.....

(2) عتبية بن مرداس التميمي، يُعرف بابن فسوة، شاعر مقلِّ مخضرم، شهد (حنين) مع المشركين ثم أسلم، هجاء، خبيث اللسان، انظر: معجم الشعراء المخضرمين والأمويين 278-279.

(3) البيتان من البحر الطويل، وقد قالهما الشاعر بعد مقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عندما لقي الحسن وعبد الله بن جعفر، فسألاه عن خبره مع ابن عباس فأخبرهما، فوصلاه بما أرضاه، فنظم قصيدة طويلة يمدحهما فيها: ومنها:

فهل يُتلى القرآن إلّا مُتعرّباً؟ وكذا قولُ حسان، في أنّ الله تعالى اختار رسوله للبشارة والإنذار:

بها ليلٌ منهم جَعْفَرُ وابنُ أمِّهِ عليٌّ ومنهم أحمدُ المتخَيِّرُ⁽¹⁾
وإنّما أخّره في اللفظ، لأنّ الواو تُدخِلُ الثاني فيما دخلَ فيه الأولُ شِركَةً
واتساعاً.

فهل في هؤلاء من زالَ لسانُهُ عَنَ إعرابٍ وصوابٍ؟ وهل احتاجتْ أفهامُهُم إليّ قَدْحٍ وأتعب، كما احتاجتْ طبائِعُنَا إلى إلحاقها بذوي الفصاحة والآداب؟ وكيف تقعُ التَّدَارَةُ من قلبِ الألدِّ وهو مجادلٌ يتمثلُ بقوله:

جَوْعُ سَانِ ذَكَرَ حُسَامٌ أَحَدٌ مِنْ مَهْنَدٍ هَذَا
ويقرعُ الجامعَ باللجامِ حتى يؤوبُ خاسيءَ الكلامِ⁽²⁾

يريد: إلى أن يؤوب، فهل يكونُ على لَدَيْهِ بعلمِ اللغة جاهلاً وعن إعراب القرآن ذاهلاً؟ وقد دلّته اللغة بالفاظها المُعْرَبَاتِ على سلوكِ الطرقاتِ إلى العلومِ الجليّياتِ والخفيّياتِ، فقال الشاعر:

فَلَيْتَ قَلُوصِي عَرَبِيَّتِ أَوْ رَحَلْتَهَا إِلَى حَسَنِ فِي دَارِهِ وَابْنَ جَعْفَرِ
إلى ابنِ رسولِ الله.....

انظر: معجم الشعراء المخضرمين 279، والاختيارين 376. وخزانة الأدب 8/246.

(1) البيت من البحر الطويل وهو من قصيدة يرثي بها أهل مؤتة والبيت في ديوانه (طبعة دار الكتب العلمية) 109.

(2) البيتان من الرجز.

إشكر وأحمد نعمة الغفار قد بين الشك فلا ثمار⁽¹⁾

فمن رأى في القرآن قوله: (91/و) ﴿ أَفَمَنْ أَتَسَسَ بِئِكَتَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَتَسَسَ بِئِكَتَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ ﴾ (التوبة/109) - وهذا مثل مضر وب - فلم يعرف قوله: "هار" وليس بعربي الطبع، فيعلم علة "هار" أنه مؤخر الهمزة من "هائر"⁽²⁾ لا تساع السنة العرب أخرت هذه الهمزة إذ لم تكن أصلية

فجعلتها بعد الراء فرجعت إلى أصلها، وجعلوا التنوين للدلالة عليها مكسوراً.

وكان الله على المنّة بذلك مشكوراً، إذ رضي به في كتابه مسطوراً، فعربته

(1) البيت من الرجز.

(2) إن لفظة (هار) صفة مشتقة، اختلفوا في تعريفها على أربعة أقوال:

أ. ذهب الخليل في الكتاب 379/4 إلى أنه على وزن (قال)، أصله هائر اسم فاعل من هار يهور، أعل بقلب عينه همزة، ثم حذفوا العين على غير قياس.
ب. وذهب الزجاج في معاني القرآن 470/2 إلى أن الأصل هاير أو هاور، ثم أصابه قلب مكاني، فقدمت اللام - وهي الراء - على العين - وهي الواو أو الياء - فصار هاري "ثم أعل" كأعلال "فاض" فوزنه بعد القلب فاعل ثم فال. قال أبو حيان في الارتشاف 120/1 "ولا ينقاس".

ج. وذهب ابن مالك ورأيه في ارتشاف الضرب 120/1 إلى أن المحذوف ألف فاعل الزائدة والموجودة عين الكلمة، أصله "هور" بعدد الحذف تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً.

د. وأجاز البكري في الإملاء 22/2، وأبو حيان في الارتشاف 120/1، أن يكون مبنياً على فعل من غير حذف شيء، تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً.

العرب بطبائعها، وعبرت عنه بالسستها، وفهمه المقتدرون بمذاهبها فقال الحسن⁽¹⁾، كرم الله وجهه، وغيره، في قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ (البقرة/17) أي: ولا عائد ومثله في اللغة قول الشاعر⁽²⁾:

فأني لو رميتك من بعيدٍ لعاقك عن دعاء الذيب عاق⁽³⁾
أي: عائق. ومثله:

فتعرفوني إنني أنا ذاكم شاكٍ سلاحي في الحوادث معلّم⁽⁴⁾
أراد: شائك⁽⁵⁾. ومثله:

* ضربت على شزن فهن شواعي *⁽⁶⁾

(1) البصري.

(2) ذو الخرق الطهوي، شاعر جاهلي اسمه: قرط.

(3) البيت من البحر الوافر. وهو له في النوادر في اللغة 116، وفي مجالس ثعلب 1/154، يصف ذئباً وجاء مع أبيات أخرى، وغير معزو في معاني الفراء 2/314، والمخصص 15/12.

(4) البيت من البحر الكامل وهو في كتاب سيبويه 3/466 منسوب إلى طريف بن تميم بن عمرو بن عبد الله بن جندي بن العنبر، شاعر فارس جاهلي. وانظر: المنصف 2/53، 3/66، والمحتسب 2/253، والبيان والتبيين 3/101.

(5) فقلّب.

(6) عجز بيت من البحر الكامل، للأجدع بن مالك الهمداني، شاعر مخضرم، أدرك الإسلام وكان فارساً مشهوراً، مات في خلافة عمر بن الخطاب. كما في الاختيارين 466. وصدره:

* فكأن عقراها كعابٍ مقامرٍ *

يعني كعباً. يُريد: شوائع.

وكذا قولهم⁽¹⁾ في الفعل المُستقبل:

خيلاً من قومي ومن أعدائهم خَضُوا أَسْتَتَهُمْ وكلُّ ناع⁽²⁾

أي: نائع. فصار أصلاً في الأعراب، وأنزل الله تعالى به الكتاب، و النائع: الجائع من الغرث والعطش إلى دم عدوه.

فلا امتناع لهذا الاتساع. وأذا لم (91/ظ) يفهم الألد معنى لغته فكيف يتصرف في حُجته؟ والعرب أمراء الألفاظ فهم الفصح الأيقاظ، قال المنقري:

* حَيْتَ من زَوْرٍ سَرَى مُعْتَاْفٍ *⁽³⁾

أي: مُتعفى. أراد: متفعل، فالاصل. فأخر الياء طلباً للحنفة على اللسان بذلك. والعرب قد تبتغي بالستتها الأخف عليها، فيقرأ الفصيح منهم: ﴿ وَقَلِّ أَلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ (الإسراء/111) و: ﴿ قُرْ أَيْلَ ﴾ (المزمل/2) ولهذا باب يطول شرحه هاهنا، وإنما يعتمد الإيجاز.

وأتباع الضمّ الضمّ يدلُّك على حقيقة قولهم في الأمر: أَدْخُلْ. والأصل من: دخل يدخل، فكرهوا ثقل الكسر مع ضمّ الخاء، ولم يكن سكون الدال

والبيت كاملاً في كتاب الاختيارين 471 جاء مع قصيدة له. والبيت في سمط اللالي

109/1، والمنصف 57/2، والمقرب 117/2، والمعاني الكبير 54/1.

(1) القائل الأجدع بن مالك الهمداني أيضاً.

(2) البيت من البحر الكامل وهو من القصيدة نفسها التي منها البيت السابق، في الاختيارين

.470

(3) شطر بيت من الرجز للمنقري.

بماجز بين الضمّين، فهذه حكمة وقُدرة على الاتساع في الأعراب. ومع ذلك أن العنبري⁽¹⁾ والعدوي⁽²⁾ يضمنان آخر الأمر الموصول بالألف بضمّة ما قلبه في الوصل، فيقولون: صنغ الخائم ويقولون: أكلوني البراغيث. وفي القرآن: ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ (الأنبياء/3).

وكذا قوله تعالى في إيجاز التقديم: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (الإخلاص/4) آخر الاسم وقدم ضمير الخبر اتساعاً.

وسبيل مثله، مما جاء في القرآن وغيره، أن يبدأ بالاسم ثم يُخبر عنه لأنه إذا بُدِيَءَ بالاسم عَرَفَ المستمعُ أنك أَلْقَيْتَ إليه ذِكْرَ (92/و) من تُخبره عن حاله وإذا بُدِيَءَ بالخبر لم يَعْرِفَ عَمَّنْ تُحَدِّثُهُ حتى تَجِيءَ بالاسم بعدما يمضي خبره وأن طال وزاد. كما قال الشاعر⁽³⁾ على الاتساع في تأخير الاسم:

قلی دینۀ واهتاجَ للشوق إنہا علی الشوق إخوانُ العزاءِ هیوج⁽⁴⁾
يُريد: إنها هيوج، فأخره.

(1) أي إن من بني العنبر، وهم ولد العنبر بن عمرو بن تميم يتكلمون بهذا - انظر: الاشتقاق 211.

(2) نسبة إلى بني عدي بن عبد مناة بن أد/ انظر جمهرة ابن حزم 1/200.

(3) الراعي النميري.

(4) البيت من البحر الطويل وهو له في ديوانه 125، والبيت من شواهد سيبويه في الكتاب 56/1، منسوباً لأبي ذؤيب الهذلي، والبيت ليس في ديوان الهذليين ولا في شرح أشعارهم. والبيت في شرح أبيات سيبويه للسيرا في 1/14.

وفي القرآن: ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا﴾ فَعَم، ثم قال: ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾
(المائدة/ 71) فخصّ الأكثر. وقالت⁽¹⁾ العرب:

ولكن دياقي أبوه وأمهُ محوران يعصُرْنَ السليطَ⁽²⁾ أقاربه⁽³⁾
أي: قرابته يعصرون.

وينشدون:

إنّ النبيّ وكان الله ناصرهُ لم يترك الحزمَ في رأي وأهمال⁽⁴⁾.

ويروى: وإمهال. والتقدير: إنّ النبيّ لم يترك الحزمَ، وما بينهما اعتراض.

والعرب قد تؤكّد ما يقصد إلى تعظيمه بحروفٍ يجوز أن تسقط والكلام تامّ، اتساعاً وانتفاعاً "بتشديد ما وكّد بهن، منها: ما، ولا، ومن، وأن الخفيفة، وأمّ، والباء، والكاف. والله أنزل بهنّ" كتابه. فمن ذلك قوله: ﴿فِمَارَحَمَةٍ مِنَ اللَّهِ

(1) القائل الفرزدق.

(2) البيت من البحر الطويل من قصيدة يهجو بها عمرو بن عفراء الضبّيّ والبيت في ديوانه 69 شرح الطّباع ورواية البيت في الديوان:... السليط. والسليط والصليط بمعنى، ومعناها: الزيت، أو دهن السمسم.

(3) البيت من البحر الطويل من قصيدة يهجو بها عمرو بن عفراء الضبّيّ والبيت في ديوانه 69 شرح الطّباع. ورواية البيت في الديوان:... السليط. والسليط والصليط بمعنى، ومعناها: الزيت، أو دهن السمسم.

(4) البيت من البحر البسيط.

لَيْتَ لَهُمْ ﴿آل عمران/ 159﴾، وقال مُهْلَهْلٌ⁽¹⁾:

لو بأبائين جاءَ يخطبها زَمَلَ ما أنفُ خاطبِ بدم⁽²⁾
ويروى: ضُرِّجَ ما أنفُ. فقوله: (ما) إنما وكَدَ بها لتعظيم ما ذكره، وكذا
رحمة الله جليلة عظيمة.

وقال قبيصة بن ضرار⁽³⁾ في زيادة لا للتوكيد:

(92/ظ) تذكرت ليلي فاعترتني وكاد ضمير القلب لا يتقطع⁽⁴⁾
أي: كاد يتقطع.

(1) المهلهل بن زيد الخليل الطائي، وفد أبوه على النبي (ﷺ)، فسماه زيد الخير وسُمي زيد الخليل لكثرة الخيول التي كان يملكها، كان المهلهل يعيش في أسرة كل أفرادها شعراء، أخواه عروة وحريث شاعران، وأخته منفوسة شاعرة.

انظر: معجم الشعراء المخضرمين والأمويين 480، والبصائر والذخائر 58/4،
والنوادير في اللغة لأبي زيد الأنصاري 92.

(2) البيت من البحر المنسرح وهو في شعره 30، وأبان: جبلان.

(3) في الاشتقاق 194 ومن رجالهم - يعني رجال بني ضبة - ضرار بن عمر وهو بيت ضبة.... كان يكنى بأبي قبيصة قال الفرزدق:

زيد الفوارس وابن زيد منهم وأبو قبيصة والرئيس الأول

واشتقاق (قبيصة) من قولهم: قبضت قبصة، أي أخذت بثلاث أصابع شيئاً وقد قرئ:

﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ (طه/ 96)، وقبضت قبضة بالصاد والضاد. وبها

قرأ عاصم الجحدري البصري، انظر: الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية في قراءة الجحدري البصري 49.

(4) البيت من البحر الطويل، وهو بلا نسبة في تفسير القرطبي 91/19 و 59/20.

وفي القرآن: ﴿ قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدٌ ﴾ (الأعراف/ 12) وقوله تعالى: ﴿ لَا أَقِيمُ ﴾ (القيامة/ 1) وقوله عز وجل: ﴿ فَمَا يَنْكُرُونَ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ (الحاقة/ 47) من: توكيد. وكذا في القرآن: ﴿ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا ﴾ (العنكبوت/ 33) أن: مؤكدة، وقال أبو ذؤيب، فؤكده بـ (إن) و (من) في بيت واحد:

جزيتك ضعف الودّ لما استثبتته وما إن جزاك الضعف من أحدٍ قبلي⁽¹⁾
ولو أسقطهما لكان الكلام تاماً مفيداً.

وكما زادوا هذه الحروف للتوكيد حذفوا في الاضمارات، وهم فرسان البلاغات. كما قال كعب⁽²⁾ يصف السيوف:

خبرها ولو نطقت [لقات] نقواطعهنّ دوساً أو ثقيفاً⁽³⁾

(1) البيت من البحر الطويل وهو لأبي ذؤيب الهذلي في أشعار الهذليين 88 / 1 .

(2) كعب بن مالك بن عمرو الأنصاري الخزرجي السلمي، أبو عبد الله، شاعر الرسول (ﷺ) وأحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم، شهد العقبة وأحداً، وتخلّف عن غزوة تبوك، جرح في معركة أحد سبعة عشر جريحاً. وقد أسلمت (دوس) فرقاً من بيت قاله كعب:

نخيراً ولو نطقت لقات نقواطعهنّ دوساً أو ثقيفاً

وعن ابن المنكدر عن جابر أنّ رسول الله (ﷺ)، قال لكعب بن مالك: "ما نسي ربك - وما كان نسياً - بيتاً قلته" قال: وما هو؟ قال: أنشده يا أبا بكر، فقال:

زعمت سخينة أن ستغلب ربها وليغلبن مغالب الغلاب

(مات كعب سنة 50 هـ).

انظر: معجم الشعراء المخضرمين والأمويين 396، الأعلام 228 / 5، خزنة الأدب 416 / 1، 79 / 2، وسمط اللألي 482، 668.

(3) البيت من البحر الوافر، وهو في ديوانه/ 234، والبيت في معجم الشعراء المخضرمين والأمويين 396، وقد ذكرته في موضعه.

أي: لقلت: نقطعُ دوساً أو ثقيفاً. ولو كان على القول لكان: دوسٌ أو ثقيفٌ، بالرفع. فالنصب دلٌّ على المعنى. لأنَّ العرب لا تضميرُ شيئاً إلا فيما يُستغنى عن إظهاره لمعرفة السامع به، كقوله: ﴿ فَشَنَّهُمَا عَشَى ﴾ (النجم/54).

أي: مما رأيتموه، أو بلغكم فعرتموه. ولم يذكر ما هو. فأما قوله تعالى في جنود فرعون: ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ (طه/78) فقد عَلِمَ أَنَّ البحر: اليمِّ. فغشيتهم بالغرق.

ومن ذلك ما يُضمرونَ خبره مما هو مبدأ، أو يضمرون الاسم، وذلك أن يذوق أحدهم الشيء (93/و) فيقول: حلوا طيب. أي: هذا حلو طيبٌ أو يمسهُ، فيقول: لئن. أي: هذا لئن: ويقولون: لولا الله. أي: هلكننا. ويقول الرجل: أما والله لو أتيتني. أي: لكان خيراً لك. ويقولون: بأبي وأمي: يريدون أفديك. ويقولون: هل لك في كذا، ولا يقولون: في حاجة. ويقول الرجل: لا عليك. يريد: لا بأس عليك. ومما جاء في القرآن: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَمَعَشَرَ الْجِنِّ ﴾ (الأنعام/128) أي: يُقال لهم.

وقال تعالى: ﴿ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَتِكُمْ آخَرَ ﴾ (البقرة/185) أي: فعلية عِدَّة. وكذلك قوله عز وجل: ﴿ فَانصَبْ مَا فَرضْتُمْ ﴾ (البقرة/237) أي: فعليكم نصف ما فرضتم ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ ﴾ (النساء/81) أي: أمرنا طاعة.

وقال تعالى: ﴿ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةً مَّعْرُوفَةً ﴾ (النور/53) أي: ليكن منكم طاعةً معروفةً. كقوله: سمعك إليّ، أي: ليكن سمعك إليّ.

وكذلك: ﴿لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَّغٌ﴾ (الأحقاف/35) أي: لهم بلاغ، أو ذلك بلاغ⁽¹⁾. وقوله تعالى: ﴿لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١﴾ مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا﴾ (يونس/69-70) أي: لهم متاع قليل. وكل هذا يوضحه المعنى والأعراب، فيستتير بهما الصواب. ومن الاتساع في الحذف، قول إبراهيم. عليه السلام: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ (إبراهيم/37) ولم يقل: ناساً. وفي القرآن: ﴿وَأَنَا أَنُكَلِّمُ مِنْ كُلِّ نَسَمَةٍ﴾ (إبراهيم/34) (93/ظ)، وأضمر: شيئاً كقولك: عندي من كل شيء.

وقوله عز وجل: ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابْتَهُمْ﴾ (النساء/62) أي: فكيف يصنعون. وقال تعالى: ﴿جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا فَمِنَ السَّمَاءِ﴾ (٥١) هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ﴾ (ص/56-57) أي: هذا لهم ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾. وقال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (النور/20) أي لعذبكم. وقال⁽²⁾ الأخفش [في قوله تعالى]⁽³⁾: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ (النساء/26).

أي: يريد هذا التبيين لكم. كما قال كثير:

أريدُ لأنسى ذكرها فكأنما ثمَّ لى لى بكلِّ سبيل⁽⁴⁾

(1) جاء في الكتاب 1/382، ومعاني الأخفش 2/479: ذاك بلاغ.

(2) القول في معاني القرآن 1/159.

(3) يقتضيها السياق.

(4) البيت من البحر الطويل وهو لكثير عزة في ديوانه 108.

معناه: أريدُ هذا لأنسى ذكرها. أي: هذا الفعل والتصبر.

وقال الاخفش وغيره⁽¹⁾: إن أكثر الحذف في الكلام إذا طال. وربما حذفوا

الخبر كله استغناءً بعلم المخاطب، كما قال الأخطل⁽²⁾:

خَلا أَنْ حَيًّا مِنْ قَرِيشٍ تَفَضَّلُوا عَلَى النَّاسِ أَوْ أَنَّ الْأَكَارِمَ نَهْشَلًا⁽³⁾

ولم يقل: تفضلوا أو فعلوا كذا وكذا. ولم يأت لـ (أن) بخبر، وكذا قال⁽⁴⁾ معمر، والبيت آخر القصيدة.

وفي كتاب الله سبحانه، في إيجاز البلاغة، قوله، عز وجل: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ (الأنعام/ 93) وذكر القصة. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ﴾ (البقرة/ 165) قال الاخفش: فليس لهاتين الآيتين

(1) كسيويه في الكتاب 38/2، والمبرد في المقتضب 337/2.

(2) غياث بن غوث، أبو مالك من بني تغلب، شاعر مبدع، مصقول الألفاظ، حسن الديباجة، أكثر من مدح الخلفاء بني أمية، أحد الشعراء الثلاثة المشهورين بأنهم اشعر أهل عصرهم والأخران هما: جرير والفرزدق. ولد في الحيرة أو الرصافة ونشأ على المسيحية، تهاجى مع جرير والفرزدق، فكان معجباً بأدبه، كثير العناية بشعره، ينظم القصيدة ويسقط ثلثها ثم يظهر ما اختار منها. (مات سنة 90هـ).

انظر: معجم الشعراء المخضرمين والأمويين 13-14، الأعلام 5/ 923، والبيان والتبيين 63/1-70، وسمط اللالي 44.

(3) البيت من البحر الطويل، وهو في شعره (الذي نشره انطوان الصالحاني) 392.

(4) انظر: مجاز القرآن 1/ 331.

جواباً إلا في المعنى وهو أبلغ من إظهاره، وأقرع للقلب من أذكاره والتقدير، (94/و) والله أعلم لرأيت عظيماً⁽¹⁾.

وكذلك: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (آل عمران/ 188) قال⁽²⁾: فلم يذكر للحسبان الأولى جواباً، استغناءً بالجواب الثاني ودلالةً على المعاني.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ﴾ (آل عمران/ 180) أي: لا تحسبن البخل خيراً لهم. فحذف البخل لأن في الكلام الذي بقي دليلاً على المعنى في قوله: يبخلون.

وكذا قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ﴾ ثم قال: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ (البقرة/ 89) فلم يأت للمجيء الأول بجواب، واستغنى بالجواب في الثاني.

وليس من هذا شيء يستعجم على أفهام العرب، ولا على من دنا منهم وأقرب.

وقد يجيء في التنزيل ما يدل بلا تصريح يذكر المقصود، كقوله تعالى: ﴿ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف/ 90) ولم يقل: فإن الله لا يضيع أجره، لأنه داخل في المحسنين. ففي هذا الكلام دليل على المعنى. ومثله: ﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (الشورى/ 43) قالوا⁽¹⁾:

(1) انظر: معاني القرآن 1/ 138.

(2) يعني الاخفش والقول في معاني القرآن 1/ 222.

جواباً إلا في المعنى وهو أبلغ من إظهاره، وأقرغ للقلب من أذكاره والتقدير،
(94/ و) والله أعلم لرأيت عظيماً⁽¹⁾.

وكذلك: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (آل عمران/ 188) قال⁽²⁾: فلم يركز
للحسبان الأولى جواباً، استغناءً بالجواب الثاني ودلالةً على المعاني.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ ﴾ (آل عمران/ 180) أي: لا تحسبن البخل خيراً لهم. فحذف
البخل لأن في الكلام الذي بقي دليلاً على المعنى في قوله: يبخلون.

وكذا قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ﴾ ثم قال:
﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ (البقرة/ 89) فلم يأت للمجيء الأول
بجواب، واستغنى بالجواب في الثاني.

وليس من هذا شيء يستعجم على أفهام العرب، ولا على من دنا منهم
واقترب.

وقد يجيء في التنزيل ما يدل بلا تصريح يذكر المقصود، كقوله تعالى:
﴿ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف/ 90) ولم يقل:
فإن الله لا يضيع أجره، لأنه داخل في المحسنين. ففي هذا الكلام دليل على
المعنى. ومثله: ﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (الشورى/ 43)

(1) انظر: معاني القرآن 1/ 138.

(2) يعني الاخفش والقول في معاني القرآن 1/ 222.

وسئِلَ الأَخْفَشُ وكان قد برَعَ في القياس على كثيرٍ من الناس، فسئِلَ عن قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ﴾ ثم قال، ولم يذكر المِباراة بين الفريقين: ﴿أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا﴾ (الحديد/10) وقال إنَّ المعنى: لا يستوي من أنفق من قبل الفتح وقاتل ومن أنفق من بعد الفتح وقاتل (95/ و) ولكنة حذفه، لأنَّ فيما بقيَ دليلاً على ما ألقى. ألا تراه يقول: ﴿أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾ ولم يقل: هؤلاء لانه رجع بالقول إلى المبتدأ بهم.

وسئِلَ عن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (يس/45) أين الجواب؟ قال: في معنى الآية الأخرى التي تتلوها في قوله: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ (يس/46) قال فالمعنى: إذا قيل لهم: اتقوا أعرضوا، فاستغنى بذلك عما حذف من (أعرضوا) لدلالة قوله: معرضين.

ومثل هذا يجيء في القرآن كثيراً لانتظام الفواصل التي بها يسهل حفظه، وتحسن ديباجة لفظه، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسُوا بِأَسَآ إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ (الأنبياء/12) المعنى: ركضوا. فاستغنى عنه بدلالة قوله: يركضون. بمعنى راکضين، على الحال. وكذا: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ (الزمر/68) أي: نظروا. والله أعلم.

فالألفاظ والإعراب يشتركان في إقامة المعاني، فمن قصر بأحد هما فقد قصر بهما.

وسئِلَ عن قوله: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلنَّفْسِيَّةِ قُلُوبِهِمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الزمر/22): أين الجواب؟ قال: المعنى أفمن شرح الله صدره كالفاسية قلوبهم من ذكر الله؟.

وكذلك (95/ظ) قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ ثم قال: ﴿ وَمَن يَكْفُر بِهِ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴾ (هود/17) فالمعنى أفمن كان على بينة من ربه ومن كفر من الأحزاب واحد؟ أهما لا يستويان فالإيجاز بيان، الأعراب ترجمان. والله تعالى بتعريفها المتان، أما الطائع فيرشده بهما ويهديه، وأما الطاغى فيضله ويعميه ﴿ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (الأعراف/186).

وسئل عن قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَتَّبِعِ بَوَّاحَهُ سَوَاءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ (الزمر/24) أين جوابه؟ فقال: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (الزمر/33) يُريد: أفمن كان كذا جاء بالصدق؟

ومثله مما حذف جوابه وتبين صوابه: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ ﴾ (آل عمران/26) الآية، وحذف: فأعزنا ولا تذلنا، وملكنا ولا تنزع الملك منا. وكان في نفس هذا الدعاء دليل على المسألة بقوله: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ ﴾ أنت تؤتي الملك، فافعل بنا ذلك.

وأن من حرم فهم القرآن وتنزيل الرحمن لقد عدل عن خط البرهان والله ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٢﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ (الرحمن/3-4).

وسئل الاخفش عن قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (البقرة/30) وأشبه ذلك: أين البيان عن الجواب؟ فقال: أن القرآن إنما هو تنبيه، يُريد: اذكر إذ قال ربك للملائكة. يعلمه ذلك واذكروا إذ كان كذا.

والأخفش أعرف بالمعاني من مَعْمَر. فَأَنْ مَعْمَرًا قَالَ⁽¹⁾: (96/ و) (أذ) ها هنا زائدة، والمعنى: قال رَبِّكَ للملائكة، لأنه إخبار. واحتج بقول سالم بن دارة⁽²⁾:

إِذْ لَا يَزَالُ قَائِلًا: أَبْنُ أَبْنِ هُوَذْلَةُ الْمَشَاءِ عَنْ ضِرْسِ اللَّيْنِ⁽³⁾
وزعم أن هذا أول القصيدة، ف (إذا) زائدة. وقال: الهوذلة: تحريك الزبيل، والمشاة: الزبيل، واللين: الحجارة والضرس اختلاف وضعها واحدة مخالفة للأخرى، ثم قال⁽⁴⁾: ويجوز عندي أن يكون معناه: إذ قال رَبِّكَ، أي: خبر بقوله للملائكة: أني جاعلٌ خليفة قالوا: أتجعل؟ أي خبر، قال لهم: كذا، قالوا: كذا، وكذلك أشباه ذلك.

(1) في مجاز القرآن 11/1، أورد آيات أخر مع هذه الآية وتكلم عن مجازها.

(2) هو سالم بن مسافع بن عقبة بن يربوع بن كعب بن عدي، ودارة: لقب أمه واسمها: سيقاء، وسالم شاعر مخضرم. قد أدرك الجاهلية والإسلام، وكان رجلاً هجاءً وبسببه قُتل. وهو القائل:

أنا ابنُ دارةٍ معروفاً بها نسي وهل بدارة با للناس، من عار!

قال التبريزي في شرح الحماسة: ودارة هو يربوع.

انظر: خزانة الأدب 144/2-145، ومعجم الشعراء المخضرمين والأمويين 178، وسمط اللألي 228، 862، الأعلام 73/3.

(3) البيت من بحر الرجز، و الرجز له في تهذيب المنطق 416/1، وخزانة الأدب 141/2، والبيت لابن هرمة في ديوانه 282، ولابن ميادة في اللسان/ ضرس/.

(4) أبو عبيدة في مجاز القرآن 56/1.

إلا أنه قد يجيء محمولاً على ما قبله، مثل قوله: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ﴾ (البقرة/ 50) و ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَى﴾ (البقرة/ 51) كَلَّةٌ مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة/ 47) وَإِذْ فَعَلْتُ بِكُمْ كَذَا، وَفَعَلْتُ.

وسئل⁽¹⁾ عن جواب قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ (الزمر/ 73) فزعم أيضاً أن العرب تزيد (إذا) في كلامها، وأنشد:
* حتى إذا أسلکوهم *⁽²⁾

قال⁽³⁾: معناه: حتى أسلکوهم. وقال: هذا آخر القصيدة. وقال مرة: وهو محذوف الخبر، وقد أبعده فيما تأولته وأدعاه، وأن كان ملتسماً الصواب في مذاهب اللغة.

قال مرة: (إذا) زائدة⁽⁴⁾ وقال مرة ليس لـ (إذا) جواب⁽⁵⁾. فأثبت ما نفاه.

(1) يعني أبا عبيدة.

(2) جزء من بيت من البحر البسيط، لعبد مناف بن ربع الجري، تتمته في شرح أشعار الهذليين 2/ 675، وشرح أشعار الهذليين/ ط دار الكتب العلمية 2/ 138:
حتى إذا أسلکوهم في فتائده شلاً كما تطرد الجمالة الشرداً
وفتائده: مكان أو ثنية، والشل: الطرد، والجمالة: أصحاب الجمال، كما تقول البعالة، والحمارة.

(3) أبو عبيدة في المجاز 1/ 37.

(4) انظر: مجاز القرآن / 11، 35، 36، 41، 183، 335.

(5) لم ينص أبو عبيدة على هذا في المجاز.

وسئِلَ عنها قُطرب⁽¹⁾ وغيره، ممن تُرضى عربيته، فقالوا: المعنى: حتى إذا أسلكوهم شلاً. ف (شَلَوْهم) و(طردوهم) واحداً، مثل قول القائل: حتى إذا لقيناهم (96/ظ) ضرباً وقتلاً. أي: ضربناهم ضرباً وقتلناهم قتلاً.

وفي القرآن: ﴿فَضْرَبَ الرَّقَابِ﴾ (محمد/4) كما قال: ﴿فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (الأنفال/12) يعني قريشاً، والله أعلم، ولقد كانت الأوثان عليهم والعُزَّى من أعظم البلوى، حتى بعث الله محمداً (ﷺ)، مبشراً ونذيراً وسراجاً منيراً بلسان قومه عربياً غير ذي عوج، فما قصرَ علم القرآن عن العرب الذين بلسانهم نزل ثم خالطتهم العجم، فما يقصر في بيان العربية إلا أفهام منهم بطيئة أو قلوب عميئة، والسنن عيئة من طائفة شعوبية سيصلون بحسدهم ناراً حمية عاجلة غير بطيئة، فهم تلك المشيئة فأنهم أعداء الحنيفية.

فأما التقديم والتأخير فكثير في كلام العرب، نحو قولهم: زيدا ضربت، وماء شربت ودابة ركبت، ومالي إلا العسل شراب. كل

(1) أبو علي محمد بن المستنير البصري المعروف بقطرب، كان عالماً باللغة والنحو، أخذ النحو عن سيبويه، وعن جماعة من علماء البصرة، ومما سيبويه قطرباً لأنه كان يخرج فيراه بالأسحار على بابه فيقول له: "إنما أنت قطرب ليل" والقطرب دويبة تدب ولا تفتت.

كان عالماً ثقة، روى عنه الجللة، وكان معلماً لولدي أبي ذلف العجلي. صنف كثيراً، منها: الاشتقاق، والأضداد، ومعاني القرآن (مات سنة 206 هـ).

انظر: كتاب أخبار النحويين البصريين 49، نزهة الألباء في طبقة الأدباء 76، البلغة في تاريخ أئمة اللغة 247، ومعجم المؤلفين 15/12.

هذا مُقَدَّم ومؤخَّر اتساعاً⁽¹⁾ فيما لا يُشكّل من اللغة، كما قال ذو الرّمة⁽²⁾: كان أصوات - مِنْ إِيغَالِهِنَّ بنا - أو آخر الميسر أنقاض

(1) يحتل التقديم والتأخير مكانة عالية في الكلام العربي، فعلى حين ترى النحويين يهتمون به انطلاقاً من مبدأ (الرتبة) أو مراعاة الأصل، نجد البلاغيين يتناولونه انطلاقاً من مبدأ العدول عن الأصل الذي أقرّه النحاة ووضعوا ضوابطه وحدوده.

فالعربي إذا عناه ذكر المفعول قدّمه على الفاعل فيقول: "ضَرَبَ عَمْرًا زيدٌ"

وإذا ازدادت عنايته به قدّمه على الفعل الناصب، فيقول: "عَمْرًا ضَرَبَ زيدٌ"

فإذا تظاهرت العناية به عقدوه على أنه (ربّ الجملة) وركنها المتين، وتجاوزوا به حدّ

كونه فضله، فقالوا: "عَمْرُو ضَرَبَهُ زيدٌ" ثمّ زادوه على هذه الرتبة فحذفوا ضميره فقالوا:

عَمْرُو ضَرَبَ زيدٌ" ثمّ يَتَوَسَّعُونَ فيه ويصوغون الفعل له ويبنونه عليه ثمّ يحذفون الفاعل

فيقولون: "ضَرَبَ عمرو".

وهذه التحولات التي تطرأ على الجملة العربية بالتقديم والتأخير لا تخلو من ظلال

معنوية يقصدها المتكلم قصداً، فهي ليست من قبيل التلاعب بالألفاظ من غير جدوى أو

معنى مراد؛ لأنّ العربي لا يعدل من تعبير إلى تعبير إلا وبصحبه عدولٌ من معنى إلى

معنى، وما يفعل ذلك إلّا توسعاً.

انظر: كتابي/ التوسّع في كتاب سيبويه 106-107.

(2) أبو الحارث، غيلان بن عقبة من بني عدي بن عبد مناة، وذو الرّمة لقب له اختلفوا في

سبب تسميته اختلافاً كبيراً. كان من الشعراء الفحول، عارض الكميّ بقصيدته التي

مطلعها:

ما بال عينيك منها الماء يُنْسَكِبُ كأه من كلّي مَفْرِيةٍ سَرِبُ

فقال ذو الرّمة:

هل أنت عن طلب الأنياع مُنْقَلِبُ أم كيف يُحَسِّنُ مِنْ ذي الشبيبة اللَّعِبُ

يريد: كأن أصوات أواخر الميس. وقوله: من إيغاليهنّ بنا، اعتراض يدلّ على علّة ذلك.

وفي القــــرآن ﴿ فَهَدَىٰ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اٰخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِآذِنِهِ ۗ ﴾ (البقرة/ 213) والله عزّ وجلّ لم يأذن في الاختلاف، وإنما التقدير، والله أعلم: فهدى الله الذين آمنوا بأذنه لما اختلفوا فيه من الحقّ، فأخراً (بأذنه).

ومن ذلك ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اٰتَوْا الْعِلْمَ وَالْاِيْمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ اِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ ۗ ﴾ (الروم/ 56) والتقدير: وقال الذين (97/ و) أتوا العلم في كتاب الله والأيمان لقد لبثتم. أي: في حكم الله. وقذره إلى يوم البعث، فهذا يوم البعث.

وقالوا في قوله: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ۗ ﴾ (هود/ 7): هذا إخبار. وقوله: ﴿ لِيَسْبُلُوْكُمْ ۗ ﴾ (هود/ 7) إنما هو على تقدير ما قبله في قوله: ﴿ الرَّكْنُ اُحْكَمَتِ اٰيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيْمٍ خَبِيْرٍ ۗ ﴾ (هود/ 1) ﴿ لِيَسْبُلُوْكُمْ اَيْكُمْ اَحْسَنَ عَمَلًا ۗ ﴾ لا أنّ العرش على الماء علّة للبلوى.

وكان من عشاق العرب المشهورين، هام بميّة بنت مقاتل المنقرّي، وكانت جميلة بارعة، كان يتمسك بمظاهر الجاهلية، ويستعمل الغريب ويصف الطبيعة.

انظر: معجم الشعراء المخضرمين والأمويين 147، الأعلام 5/ 124، البصائر والذخائر 2/ 73، رسالة الغفران 393.

(1) البيت من البحر البسيط، وهو في ديوانه 76، والبيت من شواهد الكتاب 2/ 280، وانظره في: 179/ 1 و 166/ 2.

وقوله: ﴿مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ﴾ (الشورى / 47).

وقال حسان بن ثابت:

والناسُ ألبٌ علينا فيكَ ليسَ لنا
إلا الرماحَ وأطرافَ القنا وَزَّرُ⁽¹⁾
أي ليس لنا وَزَّرُ إلا الرماح.

وقالوا⁽²⁾ في قوله تعالى: ﴿أَذْهَبَ بِكُنُوبِي هَذَا﴾ تقديره: (فألقه إليهم)
﴿فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ (النمل / 28) وقد قيل: المعنى: ثم تولى
عنهم. أي: استتر، حتى تعلم ما يقولون.

وقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾ (النمل / 14) إنها من عند
الله، فوقع الجحد منهم عناداً.

وقيل في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ
الْعِلْمِ﴾ (غافر / 83): إن معناه: فلما جاءتهم رسلهم بالبينات من العلم مقدّم

(1) البيت من البحر البسيط وهو في ديوانه 256، وفي ديوانه (طبعة دار الكتب العلمية) 120
بلفظ: إلّا السيوفَ وأطرافَ القنا.... والبيت في كتاب سيبويه 335-336 منسوب
لكعب ابن مالك، وهو في ديوانه 209.

وفيك: يعني رسول الله (ﷺ)، والألب، بفتح الهمزة وكسرهما: القوم يجتمعون على عداوة
إنسان، والقنا: الرماح، والوزر: الملجأ والحصن.

والشاهد فيه: تقديم المستثنى على المستثنى منه، والتقدير: ما لنا وَزَّرُ إلا السيوفُ، برفع
السيوف على البدل أو نصبها على الاستثناء، فلما قدمت على المستثنى منه لم يجوز
الإبدال فوجب نصبها على الاستثناء.

(2) القول للأخفش في معاني القرآن 2/ 430، قال (ثم تولى عنهم) مؤخره؛ لأن المعنى:
(فألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تولى عنهم).

ومؤخر⁽¹⁾ وسألت عنها محمد بن يزيد، وكان عندي أنّ القوم فرحوا بما عند الرسل فرح استهزاء، فحاق بهم عقوبة الاستهزاء، فقال: لا، ولكنّ القوم فرحوا (97/ظ) بما اعتقدوا أنّه علمٌ عندهم بتكذيب الرّسل، وإنّهم مبطلون. قلت فلم سمّاه علماً وهو جهلٌ على الحقيقة؟ قال: ألا ترى قوله: ﴿مَجْنُومٌ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (الشورى/16) فسماها حُجَّةً وأن كانت باطلة.

وسألت عنها إسماعيل القاضي فقال: ظنوا أنّهم علماء عند أنفسهم، وكذا قوله: ﴿مَجْنُومٌ دَاحِضَةٌ﴾ ولا حُجَّة لهم، ولكنه سماها حُجَّةً على ادّعائهم ذلك. وللعلماء في معاني اللغة ودلائل الأعراب وجوهٌ تكثُرُ جداً، وقد ذكرنا منها ما فيه كفايةً للمنصفين.

انتهى النصّ المحقق وجاء في آخره:

(تمّ كتاب النفسح في مشور اللغة ومنظومها وأعراب القرآن الشاهد بذلك لها لأربع عشرة ليلة خلت من شهر شوال سنة تسع وثمانين وخمس مائة، والحمد لله رب العالمين والله على نبيه محمد وآله وسلم، وحسبنا الله ونعم الوكيل).
والحمد لله رب العالمين والله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(1) علق الأَخفش في معانيه 2/301 على هذه الآية فقال: "في كلام العرب وفي الشعر كثير من التقديم والتأخير".

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الفردوس
www.moswarat.com

روافد البحث

- أجد العلوم، للسيد صديق بن حسن خان القنوجي (ت 1307 هـ)، وضع
فهارسه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية/بيروت، ط1/1999.
- أبو عثمان المازني ومذاهبه في الصرف والنحو، د. رشيد العبيدي، مطبعة
سلمان الاعظمي، بغداد، 1969م.
- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشرة، أحمد بن محمد بن أحمد بن
محمد بن عبد الغني الدمياطي الشافعي الشهير بالبناء (ت 1117 هـ)
تصحيح الشيخ علي محمد الضبّاع.
- أخبار النحويين البصريين، السيرافي (368 هـ) تحقيق محمد الزيني ومحمد
الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجة، البابي الحلبي 1955.
- أدب الكاتب، ابن قتيبة (276 هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد
الحميد. مطبعة السعادة، مصر، ط3، 1958.
- أساس البلاغة، الزمخشري (528 هـ) مطبعة الشعب، مصر، د.ت.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين بن الأثير (630 هـ) تحقيق محمد
إبراهيم ألبن وأخرون، دار الشعب، مصر، د.ت..
- أسماء المغتالين. محمد بن حبيب (245 هـ) تحقيق عبد السلام هارون،
مكتبة الخانجي، 1954.
- اشتقاق أسماء الله، الزجاجي (340 هـ) تحقيق د. عبد الحسين المبارك،
مطبعة النعمان، النجف 1974.

- أشعار ابي علي البصير، يونس احمد السامرائي، مجلة المورد، المجلد السابع العدد الثالث والرابع 1971.
- إصلاح المنطق، ابن السكيت (244 هـ) تحقيق وشرح احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف 1949.
- الأخبار الطوال، أبو الحنيفة الدينوري (290 هـ) تحقيق عبد المنعم عامر، البابي الحلبي 1960.
- إعراب القرآن، ابو جعفر بن النحاس (328 هـ) تحقيق د. زهير غازي زاهد، مكتبة النهضة العربية ط2/1985.
- الأزهية في علم الحروف، علي بن محمد النحوي الهروي، تحقيق عبد المعين الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية/ دمشق 1971م.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر (463 هـ) تحقيق علي محمد البجاوي، مكتبة نهضة مصر د. ت..
- الأشباه والنظائر، السيوطي، حيدر آباد - الهند 1360.
- الاشتقاق، ابن دريد (321 هـ) تحقيق عبد السلام هارون، الخانجي 958.
- الأشهب بن رميلة، شاعر أمية المغمور، دراسة وتحقيق د. نوري حمودي القيسي، مجلة معهد المخطوطات العربية بالكويت، المجلد الاول، الجزء الاول مصر 1982.
- الاصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني (852 هـ) مطبعة السعادة، مصر، 1328.

- الاصمعيات، الاصمعي (215 هـ) تحقيق احمد محمد شاكر عبد السلام هارون، دار المعارف ط 2/1964.
- الاصول، دراسة ايمستولوجية، د. تمام حسان، بغداد، ط 2/1988.
- الاصول في النحو، محمد بن سهل السراج (316 هـ) تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط 2، 1987.
- الاضداد، أبو بكر الأنباري (328 هـ) تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، الكويت 1960.
- الاضداد في الكلام العرب، ابو اللغوي (351 هـ) تحقيق د. عزة حسن، دمشق 1963.
- الاغانى، ابو الفرج الاصفهاني (356 هـ) طبعة مصورة عن طبعه دار الكتب المصرية.
- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، البطلبيوسي (521 هـ) تحقيق مصطفى السقا و د. حامد عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1983.
- الامالي، ابن الشجري (542 هـ) دار المعرفة، بيروت (طبعة مصورة).
- الامالي، ابو علي القالي (356 هـ) المكتب التجاري، بيروت.
- الامالي، الزجاجي، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة المدني، القاهرة 1382.
- الامالي، ابن دريد، تحقيق عبد السلام مصطفى السنوسي، الكويت 1984.

- الأنساب، السمعاني (562 هـ) حيدر آباد - الهند 1978.
- الانصاف في مسائل الخلاف، ابو البركات الانباري (577 هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ط4-1961.
- الأنوار ومحاسن الأشعار، الشمشاطي (380 هـ) تحقيق صالح مهدي العزاوي، دار الحرية للطباعة، بغداد 1976.
- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني (739 هـ) باشراف مجموعة من اساتذة كلية اللغة العربية بالازهر، مطبعة السنة المحمدية.
- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (754 هـ) دار الفكر، بيروت، ط 2، 1978.
- البداية والنهاية، ابن كثير (774 هـ) مكتبة المعارف، بيروت، ومكتبة النصر، الرياض.
- البرصان والعرجان والعميان والحولان، الجاحظ (255 هـ) تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الرشيد، بغداد 1982.
- البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي (414 هـ) تحقيق د. إبراهيم الكيلاني، مطبعة الانشاء، دمشق 1964.
- البلاغة، المبرد (286 هـ) تحقيق د. رمضان عبد التواب، القاهرة 1965.
- البلغة في أصول اللغة: السيد محمد صديق حسن خان القنوجي، تحقيق نذير محمد مكتبي، دار البشائر الإسلامية، ط1 / 1988 م.

- البلغة في تاريخ ائمة اللغة، الفيروزآبادي (817 هـ) تحقيق محمد المصري، دمشق 1972.
- البيان والتبيين، الجاحظ (ت 255 هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط 5، 1985.
- التاريخ الكبير، البخاري (256 هـ) حيدر آباد، الهند، 1360.
- التبيان في تفسير القرآن، الطوسي (460 هـ) المطبعة العلمية، النجف 1957.
- التبيهات، علي بن حمزة (375 هـ) - طبع مع كتاب المقوض والمدود للبراء - تحقيق عبد العزيز الميني، دار المعارف، 1967.
- التشبيهات، ابن ابي عون (322 هـ) تحقيق محمد عبد المعيد خان كمبرج 1950.
- التعليق المختصر من كتاب أبي سعيد السيرافي في شرح سيبويه، للحسن بن علي الواسطي، مخطوط في خزانة الدكتور عادل هادي حمادي العبيدي.
- التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، ابو هلال العسكري (395 هـ) تحقيق د. عزة حسن، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق 1969.
- التمثيل والمحاضرة الثعالي (429 هـ) تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو البابي الحلبي 1961.
- التوسع في كتاب سيبويه، د. عادل هادي حماد العبيدي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2004.

- الجامع الصغير، السيوطي (ت 911 هـ)، البابي الحلبي، 1954.
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (671 هـ) تحقيق إبراهيم اطفيش، دار الكتاب العربي، مصر، ط3، 1967.
- الجرح والتعديل، ابن ابي حاتم الرازي (327 هـ) حيد آباد، الهند 1952.
- الجيم، أبو عمر الشيباني (206 هـ) تحقيق إبراهيم الابياري وغيره القاهرة 1954.
- الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه (370 هـ) تحقيق د. عبد العال سالم مكرم، دار الشرق، بيروت ط2، 1977.
- الحجة في علل القراءات السبع، أبو علي الفارسي (377 هـ) تحقيق علي نجدي ناصف وآخرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 2، 1983.
- الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل، البطليلوسي (521 هـ) تحقيق سعيد عبد الكريم سعودي، دار الرشيد - بغداد، 1980.
- الحماسة، البحتري (284 هـ) تحقيق لويس شيخو، دار الكتاب العربي بيروت ط2 1967.
- الحماسة البصرية، صدر الدين البصري (659 هـ) نشر مختار الدين احمد، حيدر آباد، الهند 1964.
- الحماسة الشجرية، ابن الشجري تحقيق عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق 1970.

- الحيوان. الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، البابي الحلبي 1943.
- الخصائص، ابن جني (392 هـ) تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب، ط2، 1952.
- الدرر اللوامع على همع الهوامع، الشنقيطي، القاهرة 1328هـ.
- الرسالة الشافعية (245هـ) تحقيق وشرح احمد محمد شاكر، البابي الحلبي، مصر 1940.
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، السهيلي (581هـ) تحقيق عبد الرحمن الوكيل، دار النصر للطباعة، القاهرة 1967.
- الزاهر، ابو بكر الانباري، تحقيق د. حاتم الضامن، دار الرشيد بغداد 1979.
- الزينة في الكلمات الاسلامية العربية، ابو حاتم الرازي (323هـ) تحقيق حسين بن فيض الله الهمداني، مطبعة الرسالة، القاهرة ط2-1957.
- السبعة في القراءات، ابو بكر بن مجاهد (324هـ) تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر.
- السيرة النبوية. ابن هشام الكلبي (218هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي مصر.
- الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه، د. خديجة الحديثي، جامعة الكويت، 1974م.

- الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق احمد محمد شاكر، دار المعارف مصر ط2، 1982.
- الصحاحي، ابن فارس (ت395هـ) تحقيق أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2/ 2007م.
- الصحاحي، ابن فارس تحقيق السيد أحمد صقر، البابي الحلبي - القاهرة.
- الصحاح الجوهرى (398 هـ) تحقيق أحمد عبد الغفور العطار، دار الكتاب العربي - مصر.
- الصداقة والصديق، ابو حيان التوحيدى، تحقيق د. إبراهيم الكيلانى، دار الفكر، دمشق 1964.
- الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية في قراءة عاصم الجحدريّ البصريّ (128 هـ)، تأليف د. عادل هادي حمادي العبيدي، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، ط 1/ 2005م.
- العقد الثمين، تقي الدين الأوسى المكي تحقيق فؤاد سيد، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة 1966.
- العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي (328 هـ) شرح وضبط أحمد أمين وآخرين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1940.
- العمدة، ابن رشيقي القيرواني (456هـ) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، القاهرة 1934.

- العين الخليل بن احمد (175هـ) تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار الحرية للطباعة، ودار الرشيد بغداد 1980-1985.
- الفائق في غريب الحديث، الزنجشيري (ت 538 هـ) تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، البابي الحلبي، ط2.
- الفاخر، المفضل بن سلمة (291هـ) تحقيق عبد العليم الصحاري، البابي الحلبي 1960.
- الفاضل في اللغة والأدب، المبرد (286هـ) تحقيق عبد العزيز الميمني دار الكتب 1956.
- الفهرست، ابن النديم (285 هـ) مطبعة الأستقامة - مصر.
- القاموس المحيط، الفيروز آبادي، نشر دار العلم للملايين، بيروت.
- الكامل في التأريخ، عز الدين بن الأثير (630هـ) دار صادر - بيروت 1966.
- الكامل في اللغة والأدب، المبرد (ت 285هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وسيد شحاته، مطبعة نهضة مصر 1956.
- الكشاف، الزنجشيري، دار الكتاب العربي بيروت 1947.
- اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، السيوطي، المكتبة الحسينية/ القاهرة.
- اللباب في التهذيب الأنساب، عز الدين الأثير (طبع بالاولفست مكتبة مثنى، بغداد).

- اللغات في القرآن، رواية ابن حسنون المقرئ بإسناده إلى ابن عباس تحقيق د. صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت ط2، 1972.
- المبدع في التصريف: محمد بن يوسف بن علي المشهور بأبي حيان الاندلسي (ت 745هـ)، تحقيق د. عبد الحميد السيد طلب، مكتبة دار العربية للنشر - الكويت، ط1 / 1982م.
- المتوكلي، السيوطي (النشرة العربية) تحقيق وليم بيل، القاهرة، 1924.
- المجازات النبوية، الشريف الرضي (406 هـ) تحقيق وشرح طه محمد الزيني.
- المجالس ثعلب (291هـ) تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف ط2، 1962.
- المُحبر، محمد بن حبيب، رواية السكري، تحقيق د. ايلزه ليختن شتير المكتب التجاري، بيروت.
- المحتسب، ابن جنبي، تحقيق على النجدي، ناصف وآخرين، لجنة أحياء التراث، القاهرة 1966-1969.
- المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (458هـ) تحقيق عبد الستار احمد فراج البابي الحلبي، 1958.
- المختصر في أخبار البشر، ابو الفداء (732هـ) المطبعة الحسينية، مصر.
- المخصص، ابن سيده، المكتبة التجارية، بيروت.
- المخطوطات العربية في دور الكتب الأمريكية، كوركيس عواد، مطبعة الرابطة - بغداد، 1951.

- المذكر والمؤنث، المبرد، تحقيق د. رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي، دار الكتب 1970.
- المزهري في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، تحقيق محمد احمد جاد المولى وآخرين، البابي الحلبي، مصر.
- المستطرف، شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي (850 هـ) تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار العلم - بيروت 1981.
- المستقصى في الأمثال، الزنجشيري، تحقيق د. محمد عبد المعيد خان حيدر آباد - الهند 1962.
- المسند، للأمام أحمد ابن حنبل (214 هـ) تحقيق احمد محمد شاكر، دار المعارف 1375.
- المعارف، ابن قتيبة، تحقيق د. ثروت عكاشة، دار المعارف ط 2 1969.
- المعاني الكبير، ابن قتيبة، حيدر آباد، الهند 1949.
- المعجم الكبير، الطبراني (360 هـ) تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي مطبعة الزهراء الحديثة، الموصل ط 2. 1984.
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. نشر د. أبي، ونسك ليدن 1936.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي دار الكتب 1364.
- المعجم الوسيط، تأليف لجنة من الأساتذة، مؤسسة دار العودة للتأليف والطباعة والنشر - تركيا، 1989.

- العرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم: ابو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي (ت 540 هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر.
- المغني، ابن هشام الأنصاري (761هـ) تحقيق د، مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق.
- المقرب، ابن عصفور (669هـ) تحقيق احمد عبد الستار الجوزاري وعبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد 1973.
- الممتع في التصريف: ابن عصفور علي بن مؤمن، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الافاق الجديدة - بيروت، ط3، 1978م.
- المنتظم، عبد الرحمن بن الجوزي (597 هـ) حيدر آبادي، الهند 1257.
- المنصف، شرح ابن جني لكتاب التصريف للمازي، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله امين البابي الحلبي 1954-1960.
- المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب، السيوطي، تحقيق عبد الله الجبوري، مجلة المورد، المجلد الأول، العدد الأول 1971.
- المهلهل بن ربيعة، حياته وشعره، دراسة وتحقيق نافع الراجحي رسالة ماجستير (بالاله الطباعة) بغداد 1986.
- النجوم الزاهرة، ابن تغرى بردي (874 هـ) دار الكتب، 1932.
- النشر في الفقرات العشر، شمس الدين بن الجزري، تصحيح علي محمد الضباع، المكتبة التجارية، مصر.

- النكت في تفسير كتاب سيويه ، ابو الحجاج يوسف بن سليمان الاعلم الشتمري (ت 476هـ) ، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، منشورات معهد المخطوطات العربية - الكويت، ط1/1987م.
- النوار في اللغة، ابو زيد الأنصاري (214هـ) تحقيق ودراسة د. محمد عبد القادر احمد، دار الشرق، بيروت - القاهرة 1981.
- الوجيز في فقه اللغة، لمحمد الانطاكي، منشورات دار الشرق، ط3/1969م.
- الوحشيات، ابو تمام، تحقيق عبد العزيز الميمني، دار المعارف المصرية 1963
- الوساطة، القاضي علي الجرجاني (366هـ) تحقيق وشرح محمد ابي الفضل وعلي محمد البجاوي، البابي الحلبي، ط4، 1966.
- امية بن ابي الصلت، حياته وشعره، دراسة وتحقيق بهجت عبد الغفور الحديشي، مطبعة العاني، بغداد، 1975.
- إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي (646 هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب 1952.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (791هـ) المكتبة التجارية، مصر.
- إيضاح المكنون، إسماعيل باشا البغدادي، مطبعة وكالة المعارف، استانبول 1947.
- إيضاح الوقف والابتداء، ابو بكر الانباري، تحقيق محي الدين عبد الرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق 1971.
- بغية الوعاة، السيوطي، تحقيق محمد ابي الفضل إبراهيم، البابي الحلبي 1965.

- بهجة المجالس وأنس المجالس، ابن عبد البر، تحقيق محمد مرسي الخولي، دار الجليل للطباعة ودار كتاب العربي للطباعة والنشر، مصر 1969.
- تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي (1205هـ) تحقيق نخبة من الاساتذة، الكويت 1965-1984.
- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي (462 هـ) دار الكتاب العربي، بيروت.
- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة (ت 270 هـ) تحقيق السيد احمد صقر، ألبابي الحلبي 1954.
- تزيين الأسواق بتفصيل اشواق العشاق داود الانطاكي (1008هـ) بيروت 1972.
- تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف دار المعرفة، بيروت ط2، 1975.
- تهذيب، إصلاح المنطق، التبريزي (502هـ) تحقيق د. فوزي عبد العزيز مسعود، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1986.
- تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا النووي، إدارة الطباعة المنيرة مصر.
- تهذيب الألفاظ، ابن السكيت، تحقيق لويس شيخو، بيروت 1985.
- تهذيب التاريخ ابن عساكر، الشيخ عبد القادر بن احمد، وقف على طبعة احمد عبيد دمشق.
- تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، حيد آباد، الهند 1325.

- تهذيب اللغة، الازهري (370هـ) تحقيق عبد السلام هارون واخرين،
الدار العربية للطباعة، مصر 1964.
- ثمرات الأوراق، ابن حجة الحموي (837هـ) تحقيق محمد ابي فضل
مكتبة الخانجي 1971.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (ت 310 هـ) نح محمود محمد
شاكر، دار المعارف، ط2 1969.
- جمهرة الاكشال، ابو هلال العسكري، تحقيق محمد ابي الفضل وعبد المجيد
قطماش، المؤسسة العربية الحديثة، مصر، 1964.
- جمهرة اللغة، ابن دريد، حيدر اباد - الهند 1345.
- جمهرة انساب العرب، ابن حزم الاندلسي (456هـ) تحقيق عبد السلام
هارون، دار المطرف ط3 1971.
- جمهرة نسب القريش واخبارها، الزبير بن بكار (256هـ) تحقيق محمود
محمد شاكر، دار العروبة، مصر 1381.
- جولة في دور الكتب الأمريكية، كوركيس عوادج، مطبعة المعارف -
بغداد، 1951.
- حديث الأربعاء، طه حسين، دار المعارف - بمصر، ط 12/1925م.
- حكمة الأشراف إلى كتاب الأفاق، محمد مرتضى الزبيدي، - سلسلة نوادر
المخطوطات الجزء الثاني - تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي
1954.

- حلية الأولياء، الحافظ الاصبهاني (430هـ)، الخانجي، مصر 1932.
- حماسة الخالدين، ابو بكر محمد بن هاشم (380هـ) وأبو عثمان سعيد ابن هاشم (291هـ) تحقيق السيد محمد يوسف القاهرة 1958.
- خزانة الأدب، عبد القادر البغدادي (1039 هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي 1986.
- خلق الإنسان، الأصمعي - ضمن كتاب الكنز اللغوي، تحقيق أوغست هنفري بيروت 1903.
- دراسة لغوية في أراجيز رؤية والعجاج، د. خولة تقي الدين الهلالي، منشورات وزارة الثقافة والأعلام، 1982.
- ديوان إبراهيم بن هرمة، تحقيق د. محمد جبار المعبيد، مطبعة الآداب، النجف الاشرف 1969.
- ديوان ابن مقبل، تحقيق د. عزة حسن، دمشق 1962.
- ديوان ابي تمام شرح التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف مصر 1957-1969.
- ديوان أبي حية النمري ينظر المشترك على المصادر.
- ديوان أبي قيس صيفي بن الاسلت، دراسة وجمع وتحقيق د. حسين محمد باجودة، مطبعة السنة المحمدية، مصر 1973.
- ديوان احيحة بن الجلاح، دراسة وجمع وتحقيق د. حسن محمد باجودة مطبوعات نادي الطائف الادبي، السعودية، 1979.

- ديوان الاعشى الكبير شرح وتعليق د. محمد محمد حسين، المطبعة النموذجية، مصر 1950.
- ديوان الخطيئة، شرح بن السكيت، تحقيق نعمان محمد أمين طه، البابي الحلبي 1958.
- ديوان الحماسة لأبي تمام (رواية الجوهري) تحقيق د. عبد المنعم احمد صالح، دار الرشيد، بغداد 1980.
- ديوان الخرمي، جمع وتحقيق علي جواد الطاهر ومحمد جبار المعبيد دار الكتاب الجديد، بيروت 1971.
- ديوان الخنساء، شرح ثعلب، تحقيق د. انور أبي سويلم دار عمان، الأردن 1988.
- ديوان الطرمّاح، تحقيق د. عزة حسن، دمشق 1968 ديوان طفيل الغنوي تحقيق محمد عبد القادر احمد، دار الكتاب الجديد بيروت 1968.
- ديوان العباس بن مرداس مجمع وتحقيق يحيى الجبوري، دار الجمهورية بغداد 1968.
- ديوان العجاج، رواية الأصمعي وشرحه، تحقيق د. عزة حسن مكتبة دار الشرق - بيروت.
- ديوان الفرزدق، مطبعة الصاوي، مصر.
- ديوان الفرزدق، شرحه د. عمر فاروق الطباع، شركة دار الارقم بن ابي الارقم، ط 1/1997م.

- ديوان القتال الكلابي، تحقيق. د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت 1961.
- ديوان القطامي، تحقيق د. إبراهيم السامرائي و د. أحمد مطلوب دار الثقافة، بيروت 1961.
- ديوان المتلمس. رواية الاثرم وأبي عبيده عن الأصمعي، تحقيق حسن كامل الصيرفي، مطبوعات مجلة معهد المخطوطات العربية (القاهرة) المجلد الرابع عشر - 1968.
- ديوان المعاني، ابو هلال العسكري، مكتبة القدسي 1352هـ.
- ديوان المفضليات، المفضل الضبي (170هـ)، بشرح ابي محمد القاسم الانباري (304هـ) تحقيق كارلوس يعقوب لايل، المطبعة الكاثوليكية بيروت 1920.
- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد ابي الفضل، دار المعارف مصر.
- ديوان أمريء القيس، تحقيق ابي الفضل، دار المعارف، مصر ط 3 1969.
- ديوان اوس بن حجر، تحقيق وشرح د. محمد يوسف نجم، دار صادر دار بيروت 1960.
- ديوان بشر بن أبي خازم، تحقيق وشرح د. عزة حسن، منشورات وزارة الثقافة دمشق ط 2 1973.
- ديوان جران العود النمري، رواية السكري، دار الكتب، مصر 1931.
- ديوان جرير، يشرح محمد بن حبيب، تحقيق د. نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، مصر، 1969-1970.

- ديوان حاتم الطائي رواية هشان بن محمد الليي دراسة وتحقيق د. عادل سليمان القاهرة.
- ديوان حميد بن ثور، تحقيق عبد العزيز الميمني، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة 1965.
- ديوان ذي الأصبع العدواني جمعه وحققه عبد الوهاب العدواني ومحمد الدليمي، مطبعة الجمهورية الموصل 1973.
- ديوان رؤية بن العجاج (مجموعة أشعار العرب) تحقيق وليم بن الورد البروسي دار الآفاق الجديدة، بيروت 1978.
- ديوان سلامة بن جندل، رواية الأصمعي، تحقيق د. فخر الدين القباوة، المكتبة العربية بحلب 1968.
- ديوان سويد بن ابي كاهل، جمع وتحقيق شاعر العاشور، دار الطباعة الحديثة، البصرة، 1972.
- ديوان شعر ذي الرمة، تصحيح وتنقيح، كارليل هنري هيس مكارنتي كبردج 1919.
- ديوان طرفة بن العبد، تحقيق د. علي الجندي، مكتبة الانجلو المصرية.
- ديوان طرقة بن العبيد، تحقيق وتحليل ونقد د. علي الجندي، مكتبة الانجلو المصرية.
- ديوان عبد الله بن رواحة، دراسة وجمع وتحقيق د. حسن محمد باجورة دار التراث، القاهرة 1972.

- ديوان عدي بن زيد العبادي، تحقيق د. محمد جبار المعبيد، دار الجمهورية بغداد 1965.
- ديوان عروة بن الورد، بشرح ابن السكيت، تحقيق عبد المعين الملوحي مطابع وزارة الثقافة، دمشق 1966.
- ديوان علقمة الفحل، بشرح الاعلم الشتمري، تحقيق لطفي الصقال ودريه الخطيب، دار الكتاب العربي حلب 1969.
- ديوان عمارة بن عقيل، جمع وتحقيق شاعر العاشور، مطبعة البصرة 1973.
- ديوان عمرو بن قيمئة، تحقيق حسن كامل الصيرفي، مجلة معهد المخطوطات العربية (دمشق) المجلد الحادي عشر 1965.
- ديوان عمرو بن معد يكرب، تحقيق هاشم الطعان، مطبعة الجمهورية، بغداد 1970.
- ديوان عنتر، تحقيق ودراسة محمد سعيد مولوي، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق.
- ديوان كثير عزة، جمع وشرح د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت 1971.
- ديوان كعب بن مالك، دراسة وتحقيق د. سامي مكّي العاني، مكتبة النهضة، بغداد 1966.
- ديوان مجنون ليلى، جمع وتحقيق وشرح، عبد الستار احمد فرج مكتبة مصر.
- ديوان مسكين الدرامي. جمع وتحقيق خليل العطية وعبد الله الجبوري مطبعة دار البصري، بغداد 1970.

- ذيل الامالي ال نوادر، أبو علي القالي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- رسالة الغفران، لأبي العلاء المعري، تحقيق وشرح د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء)، دار المعارف - بمصر، ط6 / 1977 م.
- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، الحافظ أبو حاتم ابن حيان، تحقيق محمد محي الدين وآخرين، مطبعة السنة المحمدية 1949.
- زاد المسير في العلم التفسير، عبد الرحمن بن الجوزي، منشورات المكتب الاسلامي دمشق 1964-1967.
- زهر الاداب وثمر الالباب، الحصري القيرواني (456هـ) تحقيق د. زكي مبارك - المطبعة الرحمانية، مصر ط2-1931.
- زهر الآداب وثمر الألباب، الحصري القيرواني (456 هـ) تحقيق زكي مبارك - مطبعة الرحمانية، مصر، ط2، 1921.
- سؤالات نافع بن الارزق الى بن عباس، تحقيق د. ابراهيم السامرائي مطبعة المعارف بغداد 1968.
- سمط اللالي، ابو عبيد البكري (487هـ) تحقيق عبد العزيز الميمني لجنة التأليف والترجمة. والنشر، القاهرة 1936.
- سمط النجوم عبد الملك بن حسين العصامي المكسي (111هـ) المطبعة السلفية، القاهرة 1380هـ.
- سنن، ابن ماجة (275هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار أحياء التراث العربي، مصر 1975.

- سنن النسائي (303هـ) بشرح الاسيوطي , المكتبة التجارية، مصر.
- شرح ابيات اصلاح المنطق، للسيرافي النحوي (ت 385 هـ)، تحقيق ياسين محمد النّوأس، الدار المتحدة، ط1 / 1992م.
- شرح ابيات المغني، عبد القادر البغدادي (ت 1093 هـ) تحقيق عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق، منشورات دار المأمون - دمشق، 1974.
- شرح اشعار الهذليين، صنعة السكري (275هـ) تحقيق عبد الستار احمد فراج. دار العربية، القاهرة 1963.
- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (328 هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون، طبعة دار المعارف، ط4، 1980.
- شرح المختار من لزوميات ابي العلاء البلطيوسي، تحقيق د. حامد عبد المجيد، دار الكتب 1970.
- شرح المفصل، ابن يعيش (643هـ) المطبعة المنيرية، مصر شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد (655هـ) تحقيق محمد ابي الفضل، البابي الحلبي. 1960.
- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، لأبي العلاء المعري (ت 449هـ) المعروف بـ (معجز أحمد)، تحقيق د. عبد المجيد دياب، دار المعارف - مصر، سلسلة ذخائر العرب / 65، 1968 م.
- شرح ديوان الحماسة، التبريزي ط بولاق.

- شرح ديوان الحماسة، المرزوقي (421 هـ) نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ط 2 1967.
- شرح ديوان زهير، صنعة ثعلب، (مصورة عن طبعة دار الكتب 1944) الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة 1964.
- شرح ديوان عدي بن الرقاع و الامام ثعلب، تحقيق د. نوري حمودي القيسي و د. حاتم الضامن، مطبعة المجمع العلمي العراقي 1978.
- شرح ديوان عمر بن ابي ربيعة، تحقيق محمد عبي الدين الحميد المكتبة التجارية، مصر ط3، 1965.
- شرح ديوان كعب بن زهير، صنعة السكري، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، 1950.
- شرح ديوان لبيد بن ربيعة، تحقيق د. احسان عباس، وزاره الإرشاد والأنباء، الكويت 1962.
- شرح شواهد المغني السيوطي، بعناية الشنقيطي، لجنة التراث العربي 1966.
- شروح سقط الزند، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، مطبعة دار الكتب القاهرة، 1945.
- شعر إبراهيم بن العباس الصولي (ضمن كتاب الطرائف الادبية) وخرجه عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت.
- شعر ابن الطثرية، صنعة د. حاتم الضامن، دار التربية، بغداد 1973.

- شعر ابي زيد الطائي، جمع وتحقيق د. نوري حمودي القيس، مطبعة المعارف، بغداد 1967.
- شعر الاحوص، جمع وتحقيق د. إبراهيم السامرائي، مطبعة النعمان النجف، 1969.
- شعر الاحوص، جمع وتحقيق عادل سليمان جمال: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة 1970.
- شعر الاخطل، رواية ابن الاعرجي، عني بنشرة الاب انطوان صالحاني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ط2، 1969.
- شعر الاخطل صنعة السكري، تحقيق د. فخر الدين قباوة، دار الافاق الجديدة، بيروت ط2، 1979.
- شعر الاعور الشني، جمع وتحقيق ضياء الدين الحيدري، مجلة البلاغ، البغدادية، السنة الرابعة _ العدد العاشر والسنة الخامسة العدد 1 و 2.
- شعر الراعي التمري واضبارة، دراسة وتحقيق د. نوري حمودي القيسي، وهلال ناجي، مطبوعات المجمع العلمي العراقي 1980.
- شعر النابغة الجعدي، منشورات المكتب الإسلامي 1964.
- شعر النمر بن تولب، د، نوري حمودي القيسي، مطبعة المعارف بغداد 1969
- شعر أمية = أمية بن ابي الصلت.
- شعر بني تميم في العصر الجاهلي، جمع وتحقيق د، عبد الحميد محمود المعيني، مطلب بيع عسير، السعودية 1982.

- شعر دعييل بن علي الخزاعي، صنعة د. عبد الكريم الاشر، مطبوعات
المجمع العلمي العربي، دمشق.
- شعر سابق البربري، دراسة وجمع وتحقيق د، بدر احمد ضيف، دار المعرفة
الجامعية، الإسكندرية 1987.
- شعر سويد بن كراع، صنعة د. حاتم الضامن، مجلة المورد المجلد الثامن،
العدد الأول 1979.
- شعر عبد الله بن الزبعرى، تحقيق د. يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة -
بيروت 1981.
- شعر عبد الله بن الزبير الاسدى، جمع وتحقيق د. يحيى الجبوري، دار
الحرية، بغداد، 1974.
- شعر عبد الله بن المعتز، صنعة ابي بكر الصولي، عني بتصحيحه ب. لوين،
مطبعة المعارف، استانبول 1950.
- شعر عبد الله بن معاوية، جمع عبد الحميد الراضي، مؤسسة الرسالة بيروت
1976.
- شعر عمرو بن شأس الاسدي، تحقيق د. يحيى الجبوري، مطبعة الاداب
النجف 1976.
- شعر قيس بن زهير، عادل جاسم البياتي، مطبعة الآداب، النجف.
- شعر محمد بن وهيب الحميري، جمع وتحقيق د. محمد جبار المعبيد.
- شعراء اسلاميون، دراسة وتحقيق د. نوري محمود القيسي، عالم الكتب،
بيروت ط2، 1984.

- صباح الاعشى، القلقشندي (821هـ) مصورة عن الطبعة الاميرية -
القاهرة.
- صباح الأعشى في كتابة الانشا، القلقشندي (821 هـ) مصورة عن الطبعة
الاميرية - القاهرة.
- صحيح البخاري، الطبعة المنيرية - بيروت.
- صحيح مسلم (261هـ) بشرح النووي، المطبعة المصرية.
- صفوة الصفوة، جمال الدين بن الجوزي (597هـ)، حيد اباد 1355هـ.
- طبقات الحفاظ، للحافظ السيوطي (ت 911 هـ)، دار الكتب العلمية -
بيروت، ط2 / 1994 م.
- طبقات المفسرين، الداودي، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة -
مصر، 1972.
- طبقات النحويين واللغويين، أبو بكر الزبيدي (379 هـ) تحقيق محمد أبي
الفضل، دار المعارف، ط2، 1984.
- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي (231 هـ) تحقيق محمود
محمد شاكر، مطبعة المدني، مكتبة الخانجي القاهرة.
- عيون الأخبار، ابن قتيبة (ت 270 هـ)، دار الكتب، 1928.
- غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين بن الجزري (832 هـ) تحقيق
برجتاسر، مكتبة الخانجي، 1932.

- فرصة الأديب الغندجاني (بعد 430هـ) تحقيق د. محمد علي سلطان دمشق 1981.
- فقه اللغة وسر العربية، الثعالبي، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ألبابي الحلبي 1972.
- فن التقطيع الشعري والقافية، د. صفاء خلوصي، منشورات مكتبة المثنى - بغداد ط 5 / 1977 م.
- فهرس شواهد سيبويه، أحمد راتب النفاخ، دار الارشاد ودار الامانة، ط 1 / 1970 م.
- فوات الوفيات، محمد شاکر الکتبي (764 هـ) تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة - بيروت.
- كتاب الاختيارين، المفضليات والاصمعيات، صنعة الاخفش الاصغر (ت 315 هـ)، تحقيق د. فخر الدين قباوة، دار الفكر - بيروت، ط 1 / 1999 م.
- كتاب تهذيب اصلاح المنطق، للخطيب التبريزي (ت 502 هـ)، تحقيق د. فوزي عبد العزيز مسعود، الهيئة المصرية العامة للكتاب / 1986 م.
- كتاب سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر (180 هـ) مطبعة الأميرية ببولاق، ط 1، 1921.
- كشف الظنون، حاجي خليفة (1067 هـ) وكالة المعارف، استانبول 1941.
- لباب الآداب، أسامة بن منقذ (584 هـ) تحقيق احمد محمد شاکر الرحمانية مصر 1935.

- لسان العرب، ابن منظور (711 هـ) بولاق، مصر.
- لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني (طبع بالاونست عن طبعة حيدر آباد 1330 هـ) بيروت 1971.
- متخير الألفاظ، ابن فارس، تحقيق هلال ناجي، مطبعة فضاله، المغرب.
- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى (212 هـ) تحقيق فؤاد سزكين - الخانجي، 1954.
- مجالس العلماء، الزجاجي (ت 337 هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون، الكويت، 1962.
- مجلة الخليج العربي، المجلد السابع عشر، العدد الأول، جامعة البصرة مركز الدراسات الخليج العربي 1985.
- مجمع الأمثال، الميداني (518 هـ) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر ط2، 1959.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الحافظ الهيثمي (807 هـ) مكتبة القدسي 1353.
- مجمل اللغة، ابن الفارس، دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان مؤسسة الرسالة، بيروت 1984.
- محاضرات الأدباء، الراغب الاسبھاني (502 هـ) دار مكتبة الحياة بيروت 1961.
- مختصر في شواذ القرآن، ابن خالويه (ت 370 هـ)، نشر برجستراسر، دار الهجرة.

- مروج الذهب المسعودي (346 هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - المكتبة التجارية، مصر.
- مشاهير الأمصار، محمد بن حيان البستي، تحقيق م. فلايشهر، لجنة التأليف والترجمة، النشر، مصر 1959.
- معاني القرآن، الأخفش الأوسط، سعيد بن مسعدة (215 هـ) تحقيق د. فائز فارس - الكويت، ط2، 1981.
- معاني القرآن، الفراء (207 هـ) تحقيق محمد علي النجار واهم يوسف نجاتي، الدار المصرية للتأليف والترجمة 1966/1955.
- معجم الأدباء، ياقوت الحموي (626 هـ) عنى بنسخه وتصحيحه، مرجليوث، مطبعة الهندية، مصر 1923.
- معجم البلدان، ياقوت الحموي، تحقيق فيردينار فيستفليد، ليرخ 1866.
- معجم الشعراء المخضرمين والأمويين، د. عزيزة فوال بابتي، دار صادر - بيروت، ط1/ 1998م.
- معجم الشعراء المرزباني (384 هـ) تحقيق عبد الستار أحمد فراجج، البابي الحلبي 1960.
- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- معجم ما استعجم، ابو عبيد البكري، تحقيق مصطفى السقا، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، النشر، مصر 1949.
- معجم مصطلحات العروض والقوافي، د. رشيد عبد الرحمن العبيدي، مطبعة جامعة بغداد، ط1/ 1986م.

- معجم مفردات الإبدال والإعلال في القرآن الكريم، د. أحمد محمد الخراط - دار القلم - دمشق، ط1/1989م.
- معجم الجموع التي لا مفرد لها والأسماء التي لا أفعال لها: تصنيف د. محمد أديب جمران، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1/2001 م.
- معرفة القراء الكبار الذهبي، تحقيق محمد سيد جاد المولى، مصر.
- مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، البابي الحلبي 1369.
- مكانة الخليل بن أحمد في النحو العربي، د. جعفر نايف عباينة، دار الفكر - عمان، ط1/1984 م.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي، البابي الحلبي 1963.
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أبو البركات الأنباري، تحقيق إبراهيم السامرائي، مكتبة الأندلس، بغداد، ط2، 1968.
- نسب قریش، مصعب الزيربي (230هـ) تحقيق أ. ليفي بروفنسال، دار المعارف 1953.
- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، الشيخ محمد الطنطاوي، دار المعارف بمصر، 1973.
- نشأت النحو وتاريخ أشهر النحاة: الشيخ محمد الطنطاوي، دار المعارف بمصر، ط5/1973 م.
- نكت الهميان في نكت العميان، صلاح الدين الصفدي (764هـ) تحقيق احمد زكي، المطبعة الجمالية، مصر 1911.

- نهاية الارب، النبري (733هـ) دار الكتب المصرية 1936.
- نور القبس (المختصر من القبس في أخبار النحاة والأدباء للسيوطي) اختصار الحافظ اليغموري (673هـ) تحقيق رودلف زهايم، فيسهان 1964.
- هدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي، وكالة المعارف، استنبول 1951.
- همع الهوامع، السيوطي، تحقيق عبد السلام هارون و د. عبد العال سالم مكرم - الكويت 1975-1979.
- وفيات الاعيان، ابن خلكان (681هـ) تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com

التفسيح في اللغة



دار دجلة
ناشرون وموزعون



عمان - شارع الملك حسين - مجمع الفحص التجاري

تلفاكس: ٤٦٢٧٥٥٠ ٦ ٠٠٩٦٢ ٦ ٠٠٩٦٢ ٧٩ ٥٢٦٥٧٦٧ - خليوي

ص ب: ٧١٢٧٧٣ عمان ١١١٧١ - الأردن

بغداد - شارع السعدون - عمارة فاطمة

تلفاكس: ٠٠٩٦٢ ١ ٨١٧٠٧٩٢ - خليوي: ٠٠٩٦٢ ٧٧٠٥٨٥٦٠٣

E-mail: dardjlah@yahoo.com

www.dardjlah.com

